الشيخ العلامة

عبد الله بن محمد بن حميد

كما عرفته

بقلم تلميذه

محمد بن صالح العبودي

الجزء الأول

الناشر
دار الفاروقية
الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ/٢٠١١م

ⓒ دار الثلوثية للنشر ، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد ناصر عبدالرحمن

الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد . / محمد بن ناصر عبد الرحمن العبودي . - الرياض ،١٤٣٢ هـ

٢ مج

٤٣٢ ص ، ١٧ × ٢٤سم

ردمك: ٤-٢-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١ - ٣ - ٩٠٢١١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

١-ابن حميد ، عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ١٤٠٢ - ١٣٢٩

٢- القضاه السعوديين أ. العنوان

ديوي ٩٢٢،٥٨٤ ١٤٣٢/٢٥٨٧

رقم الإيداع ١٤٣٢/٢٥٨٧

ردمك : ٤- ٢-٩٠٢١١ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

١-٣-٩٠٢١١-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

الناشـــر

دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email : tholothia@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

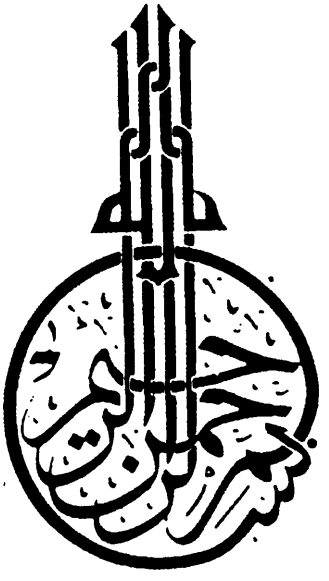

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :-

فإن دار الثلوثية آلت على نفسها العناية بالكتب والدراسات القيمة التي تضفي على مشهدنا العلمي والثقافي بصمة مهمة من الإبداع والتميز.

ولعل شيخنا معالي العلامة محمد بن ناصر العبودي يأتي في طليعة أولئك الموسوعيين الذين أثروا المكتبة بالجديد والمفيد في علوم ومعارف شتى، وما زال حفظه الله يبتكر طرائق التأليف وينشط فيها، حتى صرنا نترقب مع المثقفين والباحثين ما يقوم معاليه بنشره، وباتت مسارات التأليف التي يترسمها حاضرة في أذهان المتابعين، وعلى رأسها عنايته الكبرى بالتراجم والتأليف فيها، وذلك بما تضمه من معارف تاريخية ورؤى ثقافية.

والشيخ العبودي يمتاز بالمداخل المبتكرة في الترجمة، حيث يعنى بتحليل الشخصيات وبيئتها وثقافتها، ويمتد في ذلك حتى وجدنا في تراجمه رابطا بين سيرة المترجم له والارتباط الشعوري معه.

وها هو حفظه الله يزف إلى قرائه كتابا طال انتظاره وكثر السؤال عنه منذ سنين عديدة، خاصة وهو يتحدث عن علامة كبير وعالم جليل وقاض فطن صارت أخباره وأحاديث قضائه ونوادر فطنته وذكائه أحاديث تتلى وصار بعضها أشبه بالأساطير التي تروى.

إنه سماحة العلامة عبدالله بن محمد بن حميد «رحمه الله» الذي ملأ البلاد في سعة علمه وفقهه وفطنته ودهائه .

وقد قيض الله له تلميذه النجيب العلامة محمد العبودي الذي زف هذا الكتاب الفريد في طريقته المتميزة؛ أسلوباً ومنهجاً ليبرز بشكل دقيق صفحات مطوية كادت تنسى من حياة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وذلك بأسلوب سردي أدبي جميل ارتكن فيه على آلية اليوميات التي كان يدونها الشيخ محمد العبودي «التلميذ» لشيخه « عبدالله بن محمد بن حميد» خلال سني الطلب والدرس في طلائع سنوات قدوم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد إلى بريدة قاضياً على القصيم في عام ١٣٦٣هـ .

ويبرز الكتاب - من جهة أخرى - الملكات المبكرة في التميز والإبداع والذائقة الأدبية التي وهبها الله الشيخ محمد العبودي من خلال حسه المبكر في أهمية تدوين الأخبار والأحداث خصوصاً تلك المتعلقة بشيخه الأول.

كما يبرز في هذا الكتاب صور من العلاقة الودية والعلمية والوشائج التي تربط بين الشيخ ابن حميد وتلاميذه، بما يثير مسائل الصلة التي ترويها كتب الأخبار والتراجم عن علماء الأمة الإسلامية، حيث إن علاقتهما تجاوزت حدود الدرس إلى التواضع والتبسط والتودد الذي كان يبديه الشيخ لتلميذه؛ بل إن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ومن خلال تلك العلاقة والوشائج العلمية والأخوية بينهما يتنبأ بالمستقبل لهذا التلميذ النابه وما سيكون عليه لاحقاً، وقد

كان يخصه بعطفه وتعليمه ومباسطته مما يعبر بشكل واضح عن مدى الحس العقلي والفطنة التي منحها الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ليعوِّل على هذا التلميذ الذي صدق فيه حدسه وثبتت فيه فراسته.

ومعالي الشيخ العبودي في ترجمته للعلماء الكبار ككتابنا هذا، فإنه يترجم للأسر كما في معجمه الضخم (معجم أسر بريدة) ويترجم للجهود الشخصية لكبار الشأن كما كتب عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله

وكما سيصدر لاحقاً تراجم لسلسلة من العلماء والقضاة والشخصيات التي كانت لهم علاقة معه وتعرف إليهم عن قرب كما أنه يترجم للعلماء والقضاة غير المعروفين، ويترجم لمن اشتهروا بمختلف الملكات، وضابط ذلك كله هو ما يتصل بمنهج الشيخ في الترجمة، وذلك بالعناية الظاهرة بتلمس أوجه التميز في الشخصية المدروسة والمتحدث عنها .

والثلوثية في إصدارها هذا تسأل الله لمعالي الشيخ العبودي المباركة في العمر والعمل، ولسماحة الشيخ الكبير العلامة عبدالله بن محمد بن حميد الرحمة والغفران، وتعد جمهورها بمتابعة الرصد والنشر للكتب القيمة النافعة.

وكتبه

محمد بن عبدالله المشوح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

معالي الشيخ الدكتور / صالح بن عبد الله بن حميد

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصاحبه أجمعين وبعد: ليس من مقامي وأنا أتحدث عن صلتي بمعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي ان أقول ان صلتي به قديمة ذلك ان هذه الصلة حين نشأت لم أكن فيها بمنزلة التلميذ أو الطالب ، ولكن طفل صغير يتردد بين والده الشيخ عبد الله بن حميد – رحمه الله – وتلميذ والده وصديقه الشيخ محمد العبودي – حفظه الله- في بيتنا المبني بالطين في بريدة.

لقد كنت صغيرا أول ما تفتحت عيني على هذا الرجل، وأستطيع ان احدد أول سنوات الوعي أو إدراك التميز في حدود عام:١٣٧٧ه أو قبلها بقليل.

إن من معالم مبادئ الوعي زيارة جلاله الملك سعود- رحمه الله- الثانية للقصيم، وفيها زار بيتنا مدعواً لمائدة الإفطار، وقد ألقيت قصيدة حفظتها لأني كنت من جملة مجموعة التلاميذ الذين كانوا في استقباله في المطار ليلقوها أمامه حين نزوله من الطائرة. كما أن من معالم الوعي هدم الجامع الكبير الذي كان مبنيا بالطين ليعاد بناؤه على الطريقة الحديثة،في تلك السنوات والأحداث بدأ إدراكي ووعي.

والحمد الله انه وعي يصحبه ويواكبه البدايات في العلم والتحصيل فقد كنت طالبا في المدارس النظامية:(المدرسة الفيصليه الابتدائية) في بريدة ومنتظما في حلقات الوالد- رحمه الله- في الجامع الكبير وفي المكتبة العلمية التي أسسها .

واحسب ان هذا يجعل إدراكي ووعيي للأحداث والوقائع وعي من يحمل عقلية تقبل التعليم والفهم على نحوا أفضل.

في هذه الأجواء كان الشيخ محمد العبودي مع مجموعة من الرجال المنتخبين الذي كان الوالد يخصهم بجلساته الخاصة بعد العشاء وأيام العطل، وهم الشيخ علي بن عبد العزيز العجاجي ، والأستاذ/ علي بن عبد الله الحصين، والشيخ محمد بن ناصر العبودي، والكاتب الخاص للوالد الشيخ محمد بن رشيد الربيش، إضافة إلى ابن أخ الوالد عبد العزيز بن عبد العزيز بن حميد،ونحن الصغار ندعوه العم عبد العزيز تكريما كان يوجهنا الوالد- رحمه الله- وقد أصبح جد أولادي حفظه الله وأمد في عمره.

أقول في هذا الأجواء أتنقل أنا وإخواني بين مجلس الوالد هذا وبين البيت حيث أهلي وإخواني ثم أترابي في الشارع وتنطلق ذكرياتي واتصالي بالشيخ محمد العبودي-حفظه الله- فكان هو التلميذ الصديق اللصيق للوالد- رحمه الله-فكنت أراه في البيت كما أراه في متنزهات الوالد البرية القصيرة اليومية تقريبا قبيل المغرب إلى بعد العشاء، أو ما كان منها من بعد الظهر مع حمل

طعام الغداء إلى البرية، وهذا غالبا ما كان يوم الجمعة بعد ظهرها، وكذلك بعض الدعوات التي يدعي فيها الوالد ونكون معه في الأحيان، هذا هو الشيخ محمد٠٠٠الذي تفتحت عيناي وتفتق إدراكي عليه فهو جليس الوالد ورفيقه ومرافقه، ولا أبالغ اذا قلت أنه كذلك أثيره بالقرب والمحادثة، ثم اذا علم القارئ الكريم طبيعة الرجلين فالوالد- رحمه الله- هو العالم،الذكي النابه، اللبق، الذي يصطفي الرجال،الحريصين على المعلومة الصحيحة والمسالة العلمية المحققة ، كما هو المحب للحديث الودود، وجلسات الصداقة والمؤانسة الجامعة بين الجدية والمرح الوقور، والشيخ محمد العبودي هو المتحدث، الإخباري، المتابع لكل مستجد، المنقب عن كل معلومة،المتفتح في الفهم، مع الظرف،وحسن المنطق،وأنس المجلس،وأدب الحديث، ووقار التعامل.

لقد تعامل اتصال الشيخ محمد وتواصله بالوالد وبيتنا حتى بعد ان انتقل الاثنان من بريدة، فالوالد انتقل إلى مكة ثم الرياض ، والشيخ العبودي إلى المدينة ثم الترحال والرياض.والتواصل بينهما لم ينقطع وكنت أذكر أن الشيخ محمداً حين بدأت رحلاته الأولى إلى إفريقيا ثم بقية قارات الدنيا وقبل إن يصدر كتابه عن إفريقيا الخضراء كان يجلس إلى الوالد ويحادثه ويخبره بما يقابله من أحداث في مبتدأ رحلاته وما يلاقيه من رجال مختلفي المقامات والمنازل، إنها أحاديث تعكس طبيعة الرجلين –كما أسفلت- من تعجب وإعجاب وتحليل واعتبارات وإفادات.

هذه هي الصورة الحميمة التي أحملها عن الرجل الشيخ محمد العبودي وكأنه واحد من أفراد أسرتنا بل هو واحد منها قربا وعلما ومحبة وصلة (والعلم رحم بين أهله).

وإذا خرجت عن أجواء التذكر والذكريات فاني لاأكاد أحيط بجوانب شخصية الشيخ محمد وخصائصها أقول ذلك لأني قريب منه على نحو ماذكرت ، وقريب منه في قراءتي للكثير من كتبة ومؤلفاتة وقد هيئ لي بحكم إمامتي في المسجد الحرام وعضوية مجلس الشورى ثم رئاسته أن تكثر مهماتي الخارجية فكان مما اصحبه من كتب كتب الشيخ عن البلدان التي سوف أزورها فكتبه- حفظه الله- عن رحلاته أطالس تاريخية جغرافية من نوع خاص خرائط وعادات ومعلومات ثرية عن الأرض والسكان والمناخ بكل معانيه وتقلبات أجوائه وقراءتي كذلك لبقية مؤلفاته العلمية من المعاجم اللغوية والأمثال والتاريخية المبدعة عن البلدان والأسر في تفاصيلها وتحاليلها وتراثها العلمي.

فهو فريد في ذكائه وعبقريته ودقة ملاحظته ونبوغه المبكر ودقة تدوينه وعمق تحليلاته.

وحين اخبرني انه سوف يكتب عن الوالد- رحمه الله- ترجمة واسعة مفصلة كنت كلما قابلته سألته عن هذه الترجمة مستفسرا ومستحثا ومستعجلا لإصدارها،وكان يعد،بل يقول إنها عنده جاهزة فهي قد تجاوزت مرحله التسويد، بل هي مشروع يقارب الانجاز مع مايبديه من اعتذار من ان

مشاريعه العلمية متزاحمة وهو محق في ذلك، ثم رجوته أن يطلعني على ترجمة الوالد أو على شئ منها فاستجاب- حفظه الله- مشكورا فزودني قبل فترة ببعض الملازم منها.وحين أطلعني على بعض الملازم تعجبت وأُعجبت لأمرين أولاهما:دقة التدوين والتفضيل والتحليل.

والثاني: وأحسب انه الأهم وهو التدوين المبكر بل المبكر جدا فمعالي الشيخ بدأ التدوين والتسجيل لجميع كتبه ومشاريعه العلمية بما في ذلك كتابه عن الوالد- رحمه الله- منذ عام ١٣٦٧هـ أي قبل ٦٤ عاماً .

كان في عمر الشباب إن لم يكن عمر الصبا وكان التعليم في ديار نجد محدودا جدا فلا أدري أي عبقرية تفتقت عند هذا الرجل فجعلته يبدأ التدوين في هذا المرحلة العمرية المبكرة للغاية، علما بان طبيعة المشايخ والعلماء الذين تلقى عنهم العلم مع علمهم وفضلهم وجلالة أقدارهم لايوصون تلاميذهم وطلابهم بمثل هذا،بل إن احتفاءهم بالتأليف والتصنيف ليس كبيرا وقد ذكر ذلك الشيخ العبودي في تراجمه لمشايخه وللحق فإن الشيخ اخبرني بنفسه بأن الوالد-رحمه الله- هو الذي نصحه بالتدوين والتسجيل ومما قاله له:"انت ياشيخ محمد طالب علم ذكي ونبيه فأنصحك بالتدوين والتسجيل "

وهذا الطالب الذكي النبيه تلقى هذا التوجيه بكل حفاوة وعناية فحفظ الله لنا بكتاباته وتقييداته هذه المعاجم والموسوعات والمدونات مع أني أتوقع ان الوالد- رحمه الله- قد وجه بمثل هذا لنابهين آخرين من تلاميذه ولكن من الأرض ماهي قيعان، والله اعلم بمن خلق.

اقول وحين اطلعت على الملازم التي زودني الشيخ عن الوالد- رحمه الله- بهرني دقة التدوين والتسجيل، فلا يكاد يترك شاردة ولا واردة يرى أهمية تسجيلها إلا سجلها،مع انه-حفظه الله- اعتذر في مقدمة كتابه وفي ثنايا الكتاب عن انه قد يكون دون ما ليس بمهم وأهمل ما كان مهما وهذا منه تواضع علمي.

ثم ان ما دونه وسجله قد أحسن توظيفه وتحليله ووضعه في موضعه ليخرج كل مؤلف من مؤلفاته غزيرا في مادته غنيا بمعلوماته دقيقا في تدوينه عميقا في تحليله.

اما هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ عن سماحة الشيخ عبد الله بن حميد- رحمه الله- كما عرفه الشيخ محمد العبودي فهو كتاب سجل فيه الشيخ محمد منذ عهد مبكر صحبته للوالد في حلقات العلم وجلسات المنزل ورفقة السفر، محللا خصائص الوالد الإنسانية وشخصيته العلمية وطبيعته الاجتماعية.

وقد كان- حفظه الله-وفيا مخلصا أمينا محبا،وأشهد لله أن ما سطره يفيض وفاء ومحبة وثناءاً وإعجابا، عزز ببراهين وإثباتات، فليس عاطفة محضة وكلمات مجردة ولكنه يورد الحادثة او القصة أو الموقف ثم يعقبه برأيه واستنتاجه تعقيبا يدرك منه القارئ المحبة والثناء والإعجاب. فجزاه الله خيرا، وأحسن إليه، وأجزل مثوبته .

أما الحديث عن معالي الشيخ محمد العبودي في شخصيته وصفاته وخصائصه واختصاصاته فحديث طويل متشعب مسترسل لا تغطيه المسافات التي قطعها ، ولا الأقاليم التي رحل إليها، ناهيكم بالصفحات التي دونها، والأفكار التي عالجها.

بل أحسب ان الله قد اقر عينه بما رآه من نتائج أعماله، وآثار همته، وحصاد عمره، وما يقرأه في عيون محبيه ومتابعيه من إعجاب وحسن أسوة في حديثه ، وعلو همته، وحفظ وقته، مما يجعله في مصاف العظماء، ويسجله في دواوين الأمجاد، وما عند الله- بإذن الله وفضله ومنه- خير وأبقى .

واختم بانه ليس من المبالغة ان ما كتب عن الشيخ العبودي وما سوف يكتب سيبقى قاصرا أمام قامة هذا الرجل بما قدم من فكر وعلم وانتاج.

لقد منحه الله بصرا نافذا، وعقلا راجحا، ونفسا متوثبة، مع ديانة وصلاح، وحسّ حضاري متفتح، وقد وظف كل ذلك وسكبه في مؤلفاته علما وتاريخا ودعوة وعبرة، فأحسن الله إليه ، وأجزل مثوبته، فهو نموذج لأجيال الأمة القادرة بإذن الله على إنجاب الرواد النوابغ في مجد وعز تسير في مواطن الإبداع والتأصيل والصلاح مستهدية بكتاب ربها وسنة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم ثم هدي السلف الصالح.

هذا ما أحببت به تقديم هذا الكتاب عن الوالد سماحة الشيخ عبد الله بن حميد- رحمه الله- سائلا الله العلى القدير أن يمنح الجميع الإخلاص والإحسان والتوفيق في القول والعلم والعمل انه سميع مجيب وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم

وحرره

صالح بن عبد الله بن حميد

مكة المكرمة

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين وعليه نعتمد ونتوكل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

أما بعد: فإنه ليس أشق على الإنسان من أن يبدأ بالكتابة عن والده أو عن شيخه الذي هو بمثابة والده إذا كان مثل شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد متعدد المواهب، ذا أثر بالغ في المجتمع والدولة وفي طلبة العلم.

ذلك بأنه لا يدري كيف يبدأ وهو إذا بدأ يخشى أن يكون مقصِّراً بأن يفوته شيء مما يريد أن يكتبه.

ثم إنه يهتم بشيء آخر وهو أن تكون عباراته ذات وقع مناسب عند من يقرؤن كتابه لئلا يظن بعضهم أنه قد بالغ فيما كتبه أو يظن آخرون أنه قد نقص منه.

وعلى أية حال فإن شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد عالم من العلماء المشهورين، وقاض من أكابر القضاة في المملكة العربية السعودية، و ذو أثر عظيم في طلبة العلم بخاصة، وفي البلاد بصفة عامة لاسيما في البلدة التي أحبها وأحبته، وقضى فيها سنوات عديدة من سنوات عمره امتدت إلى أكثر من ربع قرن: مدينة بريدة.

والحديث عنه سيبدو عند بعض من يعرفونه من المعاصرين له أو الذين سمعوا من أخباره من المعاصرين له كالحديث المعاد.

ولكن المؤرخ يكتب للتاريخ، والتاريخ مستمر الوقع ويحتاج دائماً إلى كل صغيرة أو كبيرة تضيء في جانب من جوانبه، وذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، (وإلى الله ترجع الأمور).

ومن الغريب بالنسبة إليَّ أنني وأنا اللصيق بشيخنا عبدالله بن حميد إبان طلبي العلم عليه، وحتى بعد ذلك لم أكتب عنه كتاباً، بل لم أشعر أنني يجب عليَّ أن أكتب كتاباً في حياته، لأن الإنسان لا يرى أو لا يقدر أثر الحوادث التي يعاصرها ولا يقدر أهميتها كما يراها بعد ذلك إذا أصبحت أثراً من آثار التاريخ.

وحتى لا أظلم نفسي حقها أقول: إنه ليس ذلك بسبب كسل مني، أو تكاسل لأنني كتبت مذكرات يومية أثناء تلمذتي عليه، وأثناء صحبتي له في الأسفار على هيئة مذكرات يومية بدت لي عندما كتبتها تافهة لا تستحق التسجيل، واقنعت نفسي يومذاك أن السبب في تسجيلها هو إشباع روح الفضول في ذهني، وليس قياماً بالواجب الذي تفرضه علي معرفتي بحياة شيخي التي لم أكن أظن في ذلك الحين أنه سيأتي على الناس يوم يتشوقون فيه إلى سماع أخباره، وتتبع آثاره، وأن يوجه بعضهم اللوم لي بحكم التلمذة اللصيقة على الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد على التقصير في ذلك.

ولو كنت تصورت الأمر على حقيقته الحاضرة آنذاك لكنت حبرت فيه الكتابة تحبيراً، ولكنت قيدت المهمل، وفصلت المجمل من سيرة حياته التي

تستحق ذلك، ومع هذا وجدتني أضع تلك اليوميات المتعلقة بشيخنا ابن حميد من مذكراتي في هذا الكتاب، لما ذكرته ولكونها كتبت في يومها ودونت في وقتها وقد مضت على بعضها خمسون سنة أو تزيد.

فقد كان شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد آنذاك وبخاصة في عشر السبعين من القرن الرابع عشر وفي عشر الثمانين ملأَ الأسماع والأبصار، وكان الناس يجلونه ويحترمونه، بل يضعونه في المرتبة العليا من الإجلال والإحترام، لعلمه وكيفية توجيهه طلبة العلم الدارسين عليه، ولبراعته في القضاء ونزاهته فيه التي لا يتطرق إليها الشك.

ولا يدور في خلد أحد أنه سوف يحيف في القضاء أو حتى يقصر في استكمال الموجبات والمسببات من المستندات سواء المكتوبة أو المعروفة بشهادات الشهود فيها، ثم لمكانته عند الدولة ممثلة في عاهل البلاد ومنقذها من الفوضى والتحارب ومن البغي والعدوان الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رحمهما الله.

وحتى لو لم يكن الشيخ عبدالله بن حميد شيخاً لي يقتضيني الواجب تجاهه أن أكتب عنه كتاباً أسجل فيه ما لا يعرفه بعض الناس عنه لكان حقه على مثلي من المؤلفين أن يؤلف عنه كتاباً حافلاً لأنه من كبار العلماء، ويكفي في ذلك أن يعرف المرء أنه تولى منصب (رئيس المجلس الأعلى للقضاء) بعد أن كان أمضى في قضاء البلدان عشرات السنين.

وهذه الوظيفة تشبه أن تكون وظيفة (رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية) وأنه يتميز عن كثير من العلماء بالذكاء والدهاء وحسن السياسة، بل في خصال الرئاسة حتى قال بعضهم بحق: إنه لو لم يكن شيخاً عالماً كبيراً، لكان جديراً به أن يكون أميراً على منطقة القصيم، أو ما يشابهها من المناطق.

وبعد: فإن بعض القراء الكرام ربما يستكثر أوراق هذا الكتاب.

وأقول له: إن ذلك أقل مما تجب كتابته عن الشيخ عبدالله بن حميد.

رحم الله شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد وجزاه عنا خيراً.

المؤلف

تلميذه: محمد بن ناصر العبودي

أول ما عرفت الشيخ عبدالله بن حميد

تمهيد:

عند ما توفي قاضي القصيم وعالمها الشيخ الكبير عمر بن محمد بن سليم في شهر ذي الحجة من عام ١٣٦٢هـ رحمه الله، كان قائماً بعملين رئيسين أولهما أنه قاضي مدينة بريدة وما يتبعها من القصيم.

والثاني أنه كان الشيخ المدرس لكافة الكبار من طلبة العلم الذين كانوا يدرسون عليه في الجامع وغيره.

أما الأول فقد تدارس كبار جماعة أهل بريدة وأعيانها وهم الرشود- جمع رشودي- وبالذات فهد بن علي الرشودي والمشيقح وبخاصة عبدالعزيز بن حمود المشيقح وابنه عبدالله الأمر ورأوا أن أصلح من يخلف الشيخ عمر بن سليم على قضاء بريدة من علماء أهلها هو الشيخ محمد بن عبدالله الحسين، فأبرقوا للملك عبدالعزيز آل سعود بذلك يرشحون لقضاء بريدة الشيخ محمد الحسين.

أما طلبة العلم فإنهم أجتمعوا ومنهم الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي وعلي بن سليمان الضالع، وصالح بن إبراهيم الرسيني وكتبوا للملك عبدالعزيز آل سعود كتاباً يطلبون فيه أن يعين للتدريس في بريدة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ليجلس لهم في المسجد الجامع وغيرهم، وليكون شيخاً لهم

في العلم دون أن تكون له علاقة بالقضاء يريدون بذلك أن يستمر طلب العلم والدرس في بريدة على يده ولا ينقطع.

أما القضاء فقد وافق الملك عبدالعزيز على تعيين الشيخ محمد بن عبدالله الحسين له، وباشر القضاء بالفعل ولكنه لم يستمر فيه طويلاً.

وأما التدريس فإن الملك عبدالعزيز آل سعود لم يوافق على ارسال الشيخ عبدالعزيز بن باز لهم، لأنه كان في ذلك الوقت قاضياً ومدرساً في الخرج، وإنما أرسل الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

أما سبب ذلك فإنه يعلم أن المشايخ وطلبة العلم في بريدة كانوا في مطلع القرن انقسموا إلى فريقين أحدهما آل سليم وتلامذتهم وهم بطبيعتهم يناصرون آل سعود، لإنهم من تلامذة المشايخ من آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبالتالي هم يؤيدون الملك عبدالعزيز آل سعود.

والفريق الثاني فريق الشيخ إبراهيم بن جاسر وهؤلاء يؤيدون في أول الأمر التوسع في الإفتاء فيبيحون السفر إلى بلاد الأمصار لكونها بلاداً إسلامية، ويعتقدون أن تركيا دولة مسلمة، بل قد سمعنا أن الشيخ عبدالله بن عمرو من كبارهم كان يدعو للدولة التركية بالنصر والتمكين على أعدائها، وحفظ لنا من كلامه في خطبة الجمعة في جامع بريدة قوله: (اللهم انصر السلطان وانصر عساكره، على الدولة الفاجرة)، يريد إحدى دول أوروبا التي كانت تحارب تركيا.

ولكن الملك عبدالعزيز هو ملك للجميع، ولم يسعه عندما تولى السلطة وهزم آل رشيد وأبعدهم عن القصيم إلا أن يستعمل السياسة التي تضمن العدل مع الجميع، ومن ذلك أنه كان يزور الشيخ ابن جاسر في بيته إذا زار بريدة كما يزور غيره من المشايخ.

إلا أنه عامل الرجل الثاني في الجماعة وهو الشيخ عبدالله بن عمرو بخلاف ذلك لأنه كان فيما بلغ الملك عبدالعزيز آل سعود قد ذهب إلى العراق يحرض الأتراك على إرسال جيش إلى ابن رشيد يقاوم به الملك عبدالعزيز آل سعود.

فأرسل إلى الشيخ ابن عمرو من قبض عليه، وقتِل في الرياض عام ١٣٢٦هـ.

وعندما أعلن أميرالقصيم محمد بن عبدالله المهنا فسخ الطاعة للملك عبدالعزيز بن سعود والاستقلال بالقصيم عين الشيخ إبراهيم بن جاسر قاضياً على بريدة في وقته.

وعندما سويت مسألة محمد بن عبدالله بن مهنا وعاد حكم بريدة وما يتبعها للملك عبدالعزيز عزل الشيخ ابن جاسر عن القضاء، وعين بدلاً منه الشيخ عبدالعزيز بن بشر من أهل الأفلاج وقد درس وعاش في الرياض فترة.

وقد أراد الملك عبدالعزيز من ذلك أن يتألف جماعة الشيخ ابن جاسر بأن يعين في بريدة قاضياً ليس من آل سليم، ولا من تلامذتهم، ولكن بلغه بعد ذلك أن ابن بشر رحمه الله مال إلى جماعة الشيخ ابن جاسر منحرفاً

عن آل سليم، وأتباعهم فنقل ابن بشر من قضاء بريدة إلى قضاء الأحساء بعد أن لبث فيه خمس سنين تزوج أثناءها من أهل بريدة وألف العيش فيها، فاعتذر من الملك عن تولي قضاء الأحساء، واستأذن في أن يبقى في بريدة متخلياً عن القضاء فيها ولكن الملك عبدالعزيز أكد عليه السفر إلى الأحساء، وتولي القضاء فيها.

ثم عين الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم على قضاء بريدة فنقله من قضاء البكيرية حيث كان قاضياً فيها إلى قضاء بريدة، وذلك في عام ١٣٣٥هـ.

وبعد وفاة الشيخ عبدالله بن سليم في عام ١٣٥١هـ، عين الملك عبدالعزيز أخاه الشيخ عمر بن محمد بن سليم فبقي فيه حتى توفي في آخر عام ١٣٦٢هـ، كما تقدم لذا أرسل الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد مدرساً وشيخاً لطلبة العلم فيها لأنه يعرفه بالعلم وبالعقل والدهاء ومن ذلك أنه لن يعمل عملاً غير مناسب فيما يتعلق بالعلاقات مع جماعة الشيخ إبراهيم بن جاسر.

من قضاء سدير إلى التدريس في بريدة:

كان الشيخ عبدالله بن حميد آنذاك قاضياً في ناحية سدير، وقد غلط بعض المترجمين للشيخ حين ذكر أنه عين لقضاء المجمعة، فقد أخبرني الشيخ نفسه أن ناحية سدير فيها أملاك قديمة، ولها قضايا معقدة، وأنهم طلبوا من الملك عبدالعزيز آل سعود أن يعين قاضياً لهم، قال: وقد سكنت في المجمعة، فالشيخ عبدالله بن حميد كان يقضي بين الناس من أهل سدير ومن أهل المجمعة لأنه أقام في المجمعة.

وكان الشيخ عبدالله بن حميد يعمل في أولى الوظائف القضائية التي تولاها وهي قاضٍ في الرياض مع رئيس المحكمة فيها، آنذاك وهو الشيخ عبدالله بن زاحم الذي نقل بعد ذلك من قضاء الرياض إلى قضاء المدينة المنورة.

حدثني شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قال: كنت قاضياً في ناحية سدير، وكان يأتي إليَّ رجل مسن من أهلها حسن الحديث فكنت استظرف حديثه وأستمع إليه.

قال: وفي يوم من الأيام جاء إليَّ وهو كاسف البال، ويظهر الحزن، وقال لي: يا شيخ: انت تبي تروح عنا وتخلينا يا أهل سدير.

قال الشيخ عبدالله فنفيت ذلك له، وكنت صادقاً فأنا لا أعرف أنني سأتركهم ولا أنوي ذلك.

قال: فقال لي الرجل: بلى انت تبي تتركنا يا شيخ: أنا رأيت البارحة فيما يرى النائم أنك طرت من عندنا واتجهت شمالاً.

قال: والطيران في المنام رفعة، فسيوف تذهب عنا إلى بلد أكبر منا.

قال الشيخ ولم يكن في خلدي ، ولم أكن سمعت شيئاً عن ذلك من قبل.

وبعد أيام تلقيت أمراً من الملك عبدالعزيز آل سعود يطلب مني الحضور إلى الرياض ثم قال : لقد اقتضى نظرنا أو قال: اقتضت المصلحة نقلكم إلى بريدة مدرساً وشيخاً لطلبة العلم فيها.

وبذلك تحقق حلم ذلك الرجل فقد غادر قضاء سدير بعد مدة يسيرة إذ كان عين فيه عام ١٣٦٠هـ في شهر ذي القعدة ولم يلبث فيه إلا ثلاث سنين وأياماً.

كان الشيخ آنذاك في الخامسة والثلاثين من عمره فهو يعتبر شاباً ليس في شعره شعرة واحدة بيضاء.

قدم الشيخ إلى بريدة مدرساً للمشايخ وطلبة العلم وكان على القضاء فيها الشيخ محمد بن حسين، ومع الشيخ ثلاثة من طلبة العلم أخذهم من سدير ونزل في بيت وهم معه لأنه ليس معه أهله، فلم ينقل أهله معه إلى بريدة وإنما كانوا في الرياض.

وبدأ الجلوس للتدريس في المسجد الجامع، وكانت طائفة من المشايخ وطلبة العلم أكبر منه سناً، وبعضهم ممن كانوا تولوا القضاء فصاروا من تلامذته،

ولكن صغر سنه بالنسبة إلى بعضهم لم يكن عائقاً من الانتفاع بعلمه لأنه بهرهم بمعلوماته في العلوم الفنية كالنحو والفرائض، وبالعلوم الأخرى التي يقرؤنها عليه في الكتب.

وبخاصة طريقته التي كانت جديدة عليهم وهو استعماله الأسلوب الذي فيه شبه ببعض أساليب التعليم الحديث من تنويع إيصال المعلومات للطلبة من التقرير إلى المناقشة فكان يناقش بعضهم في حلقة الدرس، وكان يطلب من بعضهم أن يتولى شرح الموضوع لا بالنيابة عنه أي الشيخ وإنما استجابة لطلب الشيخ عبدالله الذي أراد أن يحملهم على الانتباه، ويرى من ينتبه منهم للدرس ممن هو غافل، أو غير فاهم له.

كانت سني آنذاك ثماني عشرة سنة، وكنت بدأت طلب العلم على شيخنا الشيخ صالح بن إبراهيم بن كريديس ولم يتول قضاء رغم أهليته لذلك لأن الوظائف القضائية، أو لنقل أماكن القضاء محدودة في وقته، وهو أول شيخ لي وبعده الشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي الذي صار قاضياً للمذنب بعد ذلك.

ثم مدرساً عندي في المعهد العلمي في بريدة الذي أصبحت بعد ذلك مديراً له.

وكذلك كنت قرأت على الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محاكم القصيم، قبل أن يتولى القضاء، لذلك كنت رغم سني مؤهلاً حسب المعتاد للقراءة على المشايخ الكبار.

وقد اعتاد الناس عندنا أن المبتدئ في طلب العلم لا يجلس للقرائة التي يراد بها المشاركة في الدراسة على المشايخ الكبار ولو كان كبير السن، بل لابد

من أن يحصل على قدر من طلب العلم قبل ذلك، أو هو على حد التعبير الشائع ما يشبه المرحلة من مراحل الدراسة قبل الجامعة، لذلك لم أقرأ على الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في هذه الفترة شيئاً، بل كنت أحضر دروسه وأعجب كما يعجب غيري من هذا الرجل النحيل الذي يتفجر علماً، ورأيناه قد ابتكر طريقة للتعليم لم نألفها.

كان بعض الناس إذا انتهى الدرس يلحقون بالشيخ عبدالله بن حميد في طريقه إلى بيته يسألونه عن بعض المسائل فكان يجيبهم وينصرفون عندما يهم بدخول بيته.

وذلك أنه ليس معه أحد من أهله وإنما أحد الذين أحضرهم معه من المجمعة كان يتولى القيام بشئون السكن وإعداد القهوة والآخران يقرأن عليه في الكتب.

من بريدة إلى الرياض:

لبث الشيخ عبدالله بن حميد في بريدة على هذه الصفة مدرساً وشيخاً لطلبة العلم فيها ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ثم ذهب إلى الرياض.

لم يذهب إلى سدير، لأنه قد نقل منها وانتهى عمله فيها وأما بالنسبة إلى الرياض فإنها بلده وسوف يقابل الملك عبدالعزيز آل سعود فيها.

ولكنه لم يبق في الرياض إلا مدة يسيرة عاد بعدها إلى بريدة قاضياً ومدرساً، لأن الملك عبدالعزيز آل سعود عينه قاضياً فيها بعد أن ترك الشيخ محمد بن حسين القضاء فيها وأصبح منصب القاضي فيها شاغراً.

نسب الشيخ عبدالله بن حميد:

لا خلاف في أن الشيخ عبدالله بن حميد من قبيلة بني خالد وبلدته التي ولد فيها ولأهله فيها أملاك من النخيل هي حارة معكال في الرياض معروف أن في أهلها من بني خالد الذي هم كانوا حكام الأحساء من القديم، واستمر حكمهم على الأحساء قرابة ٢٢١ سنة.

وقد سألت الشيخ عبدالله عن ذلك أي عما إذا كانوا من أمراءِ بني خالد فمنعه ورعه بأن يجزم بشيء من ذلك بل لم يتحمس له، وإنما قال لي: إن والدي مات وأنا صغير، وكذلك عمي، ولذلك لم أسأل أحداً منهم هذا السؤال الذي هو: أ نحن من آل حميد أمراء بني خالد لفترة من السنين؟ والذين تفرعوا من آل عريعر حكام بني خالد الأقدمين المشهورين في التاريخ الذين أثروا فيه أثراً بالغاً.

قال: إلا أنني كنت وأنا صغير أقرأ على شيخي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض فكان كثيراً ما يقول لي إذا رأني: أهلاً بابن عريعر، يشير إلى أنني من آل حميد الذين انحدروا من آل عريعر حكام الأحساء.

قال لي الشيخ عبدالله: ولا أعرف غير ذلك.

والغريب أن الشيخ عبدالله بن حميد رغم حرصه على معرفة أحوال الناس وإلى من يرجعون إليه لم أسمعه ولا مرة واحدة طيلة السنين يحدث عن أصله، أو يقول: إنه من آل حميد حكام الأحساء أو أنه من آل عريعر.

وهذا يدل على أنه لم يكن يعلق أهمية على ذلك.

وفيما يتعلق بزمن حكم آل حميد على الأحساء رأينا كلاماً للأستاذ عبدالله بن محمد بن خميس عن إمارة آل حميد على الأحساء في معرض كلامه على شعر الشاعر راشد الخلاوي وذكر ممدوحه منيع بن سالم، قال: قرن الشاعر راشد الخلاوي.

أما الذي عاش فيه الخلاوي (على وجه التقريب) فهو القرن الحادي عشر الهجري، أو أوائل القرن الثاني عشر، بدليل أن ممدوحه مَنِيع بن سالم أحد أمراء الأحساء في عهد الإمارة الحُمَيْدية، وهذه الإمارة بدأ تاريخها سنة (١٠٨٠هـ) وانتهى سنة (١٢٠١هـ) أشار إلى ذلك بعض المؤرخين في بيتي شعر، قال:

رأيتُ البَدْوَ آل حُمَيْدَ لمَّا ... تَوَلَّوْا أحْدثُوا في الخَطِّ ظُلْما
أتَى تاريخُهُم لما تَوَلَّوْا ... كَفَانا اللهُ شَرَّهُمُ (طَغَى الما)

فمجموع حروف (طغى الما) الأبجدية يُمَثِّلُ بَدْء تاريخهم، أما تاريخ انتهاء إمارتهم، فأشار إليه آخر بـ(غار) فمجموع حروف (غار) هو تاريخ نهاية إمارتهم، فهذا الاتفاق العجيب (طغى الماءُ وغار) هو بدء تاريخهم ونهايته أي (١٠٨٠هـ- ١٢٠١هـ) فولاتها بعد منتصف القرن الثاني عشر بحكم أنهم عاصروا الدور الأول لدولة آل سعود، وخروج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ذكرهم التاريخ، وتحدث عنهم.

ولم يذكر منيع بن سالم بينهم، مما يدل على أنه من أُمراء ما قبل عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومحمد بن سعود، أي في أواخر القرن الحادي عشر أو أول القرن الثاني عشر تقريباً.

ومعلوم أن دعوة الشيخ محمد- رحمه الله- بدأت سنة ١١٥٧هـ.

انتهى.

والحقيقة أن الشيخ عبدالله بن حميد لعقله وتقديره للأمور يعرف أن هذه الأشياء ليست بذات أهمية في تقدير الرجل، وإنما الأهمية للعلم والعقل وحسن التصرف مع الناس، بخاصة إذا كان مثله قاضياً يفصل بين الخصوم، وبكلمته إذا حكم قد تقطع الرقاب، أو تجلد الجلود، أو يستعاد المال ممن أخذه بغير حق، أو بحكم بغرامة على مَنْ يستحقها.

فهو رغم نسبه المرموق لم يكن عنصرياً.

ولذلك لم أسمع منه طيلة السنين أنه وصف أحداً بأنه قبلي أو غير قبلي، أو سالني عما إذا كان فلان قبيلياً، فضلاً عن أن يذكر أن القبليين أو غيرهم أشرف من غيرهم على سبيل المثال أو بالعكس.

ورأيته منذ أن وصل إلى بريدة يختار جلساءه وخلصاءه على غير أساس قبلي.

وما عرفته وربما عرفه أكثر الناس عن الشيخ عبدالله بن حميد أذكر مثالاً على ذلك أنه عندما عين رئيساً لشئون الحرمين وفيها وظائف كثيرة اختار لتلك الوظائف من يراه أهلاً لها بغض النظر عن أصوله القبلية.

ولم أجرأ أن أسأله عن ذلك مثلما لم يجرؤ غيري أن يسأله عنه، لأن السؤال عن مثل هذه الأمور لا يليق بطالب العلم، ولا يليق بالشيخ الكبير مثل الشيخ عبدالله بن حميد أن يقر على مثل ذلك السؤال.

ولكنه أثنى على أشخاص بذواتهم وفصل ذلك بقوله: إن أولئك الأشخاص أوفياء ولم يصف الذين غيرهم بقلة الوفاء.

وعلل ذلك بقوله: إن بعض الناس الذين كانوا يأتون إليَّ عندما كنت قاضياً قد تركوا ذلك، وصاروا لا يأتون إليَّ، ولا يزورونني أما أولئك الناس من غيرهم فإنهم أكثر مجيئاً إليَّ واحتفاءً بي مما كنت في سلطة القضاء بدون أن يعود عليهم نفع مادي.

قال: ولو كان الأمر متعلقاً بالكلام لما استحق الأمر أن ينظر فيه فضلاً عن أن يذكره وإنما كانوا يعرضون عليَّ خدماتهم، وصار طلبة العلم منهم يتزايد عددهم عليَّ بل صاروا يدرسون عليَّ أكثر من غيرهم.

وكانوا يشكرونني دون أن يكون وصل إليهم مني شيء إلا إذا كان ذلك بذل العلم الذي كنت أبذله لهم مثل غيرهم.

إنَّ الحديث عن مثل هذه الأمور العنصرية بغيض ولكن جاءت المناسبة له لأبين موقف شيخي من ذلك.

ومن ذلك أنني رأيت شيخنا يثني على من يستحق الثناء من رجالات بريدة وغيرهم بغض النظر عن انتمائهم القبلي، ويذكر لي بيني وبينه بعض الرجال

الذين لا يستحقون الثناء بقطع النظر عن ذلك أيضاً.

وكان شيخنا ابن حميد رحمه الله يتعجب من تعصب بعض الناس من أهل جنوبي نجد ويقول: إن أهل القصيم ليس عندهم مثل هذا التعصب، وقد حدثني أنه عندما كان على قضاء الرياض تقدم إليه اثنان من إحدى الأسر يتظلمون من كون رجلاً من القبليين تزوج بامرأة منهم وهم قبليون من أن فلاناً ذكروه كان تزوج عمتها، وقالوا إننا نريد أن يطلقها لأن الذي تزوج عمتها قد تكلم الناس في نسبه مع أنه قبلي.

قال شيخنا فتعجبت من ذلك، وقلت لهما: لا حق لكما في هذا الكلام، ويجب أن تكفا عنه، وإلا طلبت من ولي الأمر أن يؤدبكما ويمنعكما من ذلك!!

وما ذكره شيخنا عن عدم التعصب أو قلته عند أهل بريدة صحيح حسبما أعرفه عن أهل مدينتي (بريدة).

ولادته وطفولته:

سألت الشيخ عبدالله بن حميد عن تاريخ مولده فذكر أنه في عام ١٣٢٨هـ وقال: ولدت أنا في عام ٢٨، وولد الشيخ عبدالعزيز بن باز في عام ١٣٣٠هـ فأنا أكبر منه بسنتين ثم سألت الشيخ عبدالعزيز بن باز عن سنة ميلاده وذلك من أجل استخراج بطاقة له لأول مرة عندما كنا معاً نعمل في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة فقال: أنا ولدت في عام ١٣٣٠هـ أي كما ذكر الشيخ عبدالله بن حميد، وقد أثبت هذا في بطاقته في الجامعة الإسلامية فسألته عن مولد الشيخ عبدالله بن حميد؟ فقال: لا أدري، ولكنه أكبر مني.

وفي القيودات التي قيدها الشيخ عبدالعزيز بن باز حول وفيات بعض كبار المشايخ وتواريخ حيواتهم لم يذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز تاريخ ولادة الشيخ عبدالله بن حميد، وإنما ذكر تاريخ وفاته وسوف يأتي نقل كلامه في فصل (قالوا عن ابن حميد) فيما بعد إن شاء الله.

وأخوال شيخنا عبدالله بن حميد هم آل صالح.

واسم والدته: طرفة بنت صالح آل صالح، وآل صالح هم من القدماء في منطقة الرياض، كان لهم ملك في (صياح) نخيل على شفير وادي حنيفة بين الرياض وقرية منفوحة القديمة، وكان فراغ كبير في القديم الذي أدركناه بين الرياض ومنفوحة.

وأذكر أنهم كانوا مرة دعوا الشيخ عبدالله بن حميد عندما كنت معه في الرياض عام ١٣٦٧هـ على العشاء بعد العصر فذهبنا مع الشيخ إلى نخلهم في صياح.

كما أنه حال وصلنا مع الشيخ عبدالله إلى الرياض في عام ١٣٦٧هـ كان أول ما فعله أن ذهب يسلم على عم والدته واسمه إبراهيم بن صالح.

وقد وجدناه شيخاً صالحاً بهيَّ الطلعة يبين نور الإيمان على وجهه، مطمئن النفس.

كان الشيخ عبدالله قال لي قبل أن نصل إليه: إن سنه مائة سنة أو تزيد سنتين أو نحوهما، وذكر أنه تحقق من ذلك مما ذكره عم والدته عن تاريخ أشياء يذكرها مثل وفاة الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ.

فإذا قدرنا أن عمره اثنتي عشرة سنة عند وفاة الإمام فيصل تكون ولادته في عام ١٢٦٠هـ ويكون عمره عندما زرناه في عام ١٣٦٧هـ مائة وسبع سنين، وإذا خفضنا سنه افتراضاً عند وفاة الإمام فيصل فقلنا إنها ست سنين كان عمره مائة سنة فقط.

والذي نعرفه من حالة أطفالنا في القديم أن الذي عمره ست سنين لا يكاد يعقل مثل هذه الأمور وربما كان عمره ثمان سنين- على أ قل تقدير، فيكون عمره عند ما زرناه مائة وسنتين كما ذكره لي شيخنا رحمه الله.

والمهم أنه كان في كامل قواه العقلية، بل لم يتغير من عقله ولا ذاكرته شيء، ولكن السنين ذهبت ببصره، وبشيء من سمعه، فكان يحتاج إلى أن يتأنى محدثه في الكلام ويرفع صوته قليلاً وشيء آخر وهو أنه صار مقعداً، أو شبيهاً بالمقعد بمعنى أنه يصعب عليه المشي.

ومنزل الأسرة في نخل لهم في حارة صياح، وهي أسفل قليلاً من الرياض على مجرى وادي حنيفة فيما بين الرياض القديمة وبين منفوحة كما قلت وقد عهدت تلك المنطقة ليس فيها غير النخيل التي على شفير الوادي، ولكنها دخلت الآن في مدينة الرياض ودخلت معها قرية منفوحة التي هي أبعد منها عن الرياض وتجاوزتها عمارة الرياض من تلك الجهة إلى ما كان عنها من جهة الجنوب والشرق.

وعرفت من هذه الأسرة الكريمة أسرة (آل صالح) أخوال شيخنا عبدالله بن حميد عبدالرحمن بن إبراهيم بن صالح بوساطة زيارته لشيخنا فيما بعد ذلك، وعرفت أنه وزير للأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود عندما كان لكل ابن من أبناء الملك عبدالعزيز وزير يعني مساعداً له على أمور الحياة يقبض ماله من عادات مالية عند الحكومة أو غيرها، ويخدمه في الشئون العامة له.

وذلك قبل تطور المملكة وتطور الخدمات فيها.

وقد حدثني عبدالرحمن بن إبراهيم بن صالح آل صالح آنذاك، بمآثر الأمير سلطان من الكرم واللطف بأسرته وبسائر الناس، ومن السخاء النادر، وهو يدعو له، ويكثر من ذلك.

وكل هذا بعد أن ترك عمله الأساسي القديم (وزير الأمير سلطان) لأن الجيمع تركوا تلك التسمية، ولكونه كبر سنه وتقاعد بعد أن تعقدت الأمور الحياتية وصارت الأمور التي عند الأمير سلطان تحتاج إلى جماعة من ذوي الخبرة والتجربة من عصبة من الرجال.

وفيما يجدر ذكره أن عبدالرحمن بن إبراهيم آل صالح هذا هو الذي خلف أخا الشيخ عبدالله بن حميد على زوجته واسمه عبدالعزيز عندما توفي وابنه لم يولد بعد، وقد ولد وأسموه على اسم والده عبدالعزيز، فصار اسمه عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد وسيأتي الكلام عليه.

وكانت ولادة الشيخ عبدالله بن حميد في (معكال) وهي قرية ونخيل واقعة إلى الجنوب من ميدان دخنة في جنوب الرياض القديمة، بعد نحو مائتي مترٍ، ولكنها كانت منفصلة عن الرياض، وكان فيها منزله، أي مكان سكنى أسرته، وهي بمثابة قرية صغيرة اسمها (معكال) رغم قربها الشديد فيما نراه من الرياض القديمة.

وقد ورد ذكر معكال في تاريخ قديمة، قال الأستاذ خالد بن أحمد السليمان في كتابه الرياض:

معكال:

بلدة عامرة قديمة منذ أكثر من سبعة قرون كانت تشكل مع بلدة مقرن ما يعرف بالرياض في القرن الثاني عشر.

واسم معكال قديم قد يعود إلى عصور الجاهلية، يقول الأستاذ عبدالرحمن بن سليمان بن رويشد إنه ورد في الألعاب الشعبية لعبة تسمى ثور وبقرة، كان إنتهاء اللعب فيها بالقسم بشخصين عظيمين هما كال ومعكال، فيقول من يراد إحراجه في اللعبة كال وضرب معكال.

وتعتبر معكال التطور التاريخي لمدينة حجر التي اختفى اسمها وحل معكال، ومقرن محلها، وكونت في القرن الثاني عشر مدينة الرياض الحالية.

قال ابن سليمان:

لقد كان معكال مسرحاً قوياً لمعارضة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، فقد كان وكراً لأصحاب الشركيات والعقائد الفاسدة، فقد كان فيه رجل ضال ومبتدع اسمه تاج بن شمسان (انظر رسم القبه) كذلك رجل آخر يقال له طالب الحمضي يقول عنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1]، إنه أشرك بالله ويزعم إن حسين وإدريس ينفعون ويضرون ويزعم أنهم ينخون ويندبون، وهذا من رد الشيخ محمد على سليمان بن سحيم الذي كان معارضاً شديداً لهذه الدعوة الجليلة[2].

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى سليمان بن سحيم أما الدليل على أنك رجل معاند ضال على علم أني كتبت ورقة لابن صالح من سنتين فيها تكفير الطواغيت شمسان وأمثاله وذكر فيها كلام الله ورسوله،

(١) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٨٩.

(٢) روضة الأفكار والأفهام، ١: ٣١.

وبينت الأدلة فلما جاءتك نسختها بيدك لموسى بن سليم ثم سجلت عليها ما ينكر هذا إلاَّ أعمى القلب وقرأها موسى في البلدان وفي منفوحة وفي الدرعية وعندنا.

فإن كنت من أول موافق لنا على كفرهم ويقول ما ينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فالعلم الذي جاءك بعد هذا بين لك أنهم لبسوا بكفار بينه لنا[1].

وفي رسالة من الشيخ محمد إلى سليمان بن سحيم[2]:

إنك وأباك مصرحون (.....) لكن صاير لكم خمامةٌ في معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء وندا ريكم وودنا إن الله يهديكم ويهديهم.

وفي رسالة أخرى وجهها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أهل الرياض قال فيها: وكذلك أيضاً من أعظم الناس ضلال متصوفة في معكال مثل موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما، يتبعون مذهب ابن عربي من أئمة مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى، فكل من لم يدخل في دين محمد ﷺ، ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر برئ من الإسلام لا تصح الصلاة خلفه، ولا تقبل شهادته[3].

وربما إن هذا الانحراف عن العقيدة كان من أهم أسباب الحروب بين الرياض والدرعية خاصة لما آلت السلطة في معكال إلى دهام بن دواس في

(١) الرسائل الشخصية للإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٨٨.

(٢) روضة الأفكار والأفهام، ١/ ١٣٨.

(٣) روضة الأفكار، ص٣٤٤.

مقرن في هذه الفترة بدأ إطلاق اسم الرياض على هذه المدينة المهمة.

وقد كان لمعكال تاريخ حافل بالأحداث فقد ذكر العصامي[1]، في تاريخه إن شريف مكة غزا معكال في سنة ٩٨٦ وحاصرها مدة من الزمن بجنود يقدر عددهم بخمسين ألفاً فاحتلها وقتل من أهلها الكثير وأسر الكثير.

وأمر في البلدة رجلاً يدعى محمد بن فضل أميراً عليها وقد سجل أحد شعراء مكة هذه الوقعة بقوله:

ويحسب الناس من أهل البديع ومن أهل السلمية الغبراء ومعكانا

وأكد هذا الحديث الفاخري[2] في تاريخه، ولكنه قال إنها حدثت في سنة ٩٨٨هـ، وشريف مكة هو حسن ابن أبي نمي.

قال ابن بشر في حوادث سنة ١١٨٥هـ، وفيها غزا عبدالعزيز معكال فقتل منهم ستة رجال منهم عقيل بن زائد[3]، ولقد اشتعلت الحروب بين مقرن و معكال سنين طويلة، والغريب أن الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن ريس يقول إن قيادة إحدى المعارك التي بين مقرن ومعكال كانت قيادة أهل معكال برئاسة سليمان بن سحيم ومكان هذه المعارك مقيصبه، جسدها قول الشاعر:

يا ماحلى والشمس باد شعقها ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال

(١) سمط النجوم العوالي، ٤: ٢٦٨.

(٢) الأخبار النجدية، ص٦٢.

(٣) عنوان المجد، ١: ٧٥.

وقد ازدهرت الزراعة والنخيل في معكال وتعددت نخيله منها نخل آل سلمة، ونخل آل خضر، ونخل آل بريكان، ونخل آل مطيويع، ونخل آل نوح، ونخل آل إسماعيل، ونخل آل سكران، ونخل آل منيف آل فريع، وكانت نخيل آل كنعان من النخيل المشهورة في معكال، وقد سكنت تلك الأسر في نخلها هذه، وكذلك من نخيل معكال نخل الجلوى، ونخل آل نفيسه ونخيل طريفه بنت عبيد الرشيد، وأما تحديد معكال فيحده من الشمال دخنة وجبره، ومن الجنوب منفوحة وصياح، ومن الشرق البطحاء، ومن الغرب نلاحظ أن نخل جري يقع في غرب معكال، كما يذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن الحقباني، وجري قرب الغريبي نخل قرب الخراب مما يدل على أن مساحه معكال أكبر بكثير من مساحته الحالية، وكان قربه من مقرن وتقاربهما في الحدود سبباً في قيام الحروب بين هذين البلدين، أما معكال حالياً فقد غلب عليه اسم شرق سلام، أما فيما سبق فقد كان سلام كله يدخل في مسمى بلدة معكال.

ويقول الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل: كان سكان معكال يقيمون كل أسرة في نخلها، وتسمى الحويط وتربط تلك الحويطات بمسالك من الطرق الملتوية المسماة دروب، ويقول إن من النخيل في معكال ما غرس منذ ٥٠٠ سنة أو تزيد، ويقول أيضاً أقدم ما عرفنا من الحويطات العامر، وهو حويط النجمي وهو ملك آل حمدان، ولم نعلم أبداً سوراً بَني على معكال ولكنها كانت داخل حامي دهام ابن دواس.

قول فيما يتعلق بوالد الشيخ عبدالله بن حميد:

ليست لدينا معلومات كثيرة عن والد الشيخ عبدالله بن حميد الذي توفي والشيخ ابن حميد صغير.

وقد ذكر الأستاذ ناصر العمري: خبر تأخره في الزواج، أن محمد بن حميد والد الشيخ عبدالله من سكان معكال في الرياض ومن قبيلة بني خالد تأخر عن الزواج وتقدم في عمره حتى بلغ خمسين عاماً، وهو لم يتزوج ولم يرغب في الزواج، وكان الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب على علم بتأخره عن الزواج فقام بإحضاره وأحضر عنده رجالاً وعصياً ولما أحضر محمد بن حميد قال له: إننا نريد ضربك فقال: وما الجناية التي حصلت مني حتى أضرب؟ قال الشيخ: إن لم تتزوج فذكر أنه سوف يتزوج فتركوه، وقد تزوج فعلاً ورزق بولدين أحدهما الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

أما الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن فله ترجمة في كتاب مشاهير علماء نجد ص٩٥، وقد ذكر المؤلف أنه ولد عام ١٢٧٦هـ، وتوفي عام ١٣١٩هـ، وكنت أظن أن الشيخ إسحاق عاش عمراً طويلاً أكثر مما ذكر مؤلف كتاب مشاهير علماء نجد[1].

انتهى.

(١) ملامح عربية، ص٣١٤.

ومن المعلومات النادرة عن أجداد الشيخ عبدالله بن حميد ما أخبرني به مدير مكتب الشيخ عبدالله وكاتم سره الشيخ صالح بن عبدالعزيز الغصن، قال:

حدثني شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد قال: كان جد والدي عبدالرحمن بن حسين حافظاً للقرآن، وفي إحدى المرات خلفه الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ليصلي بالناس صلاة التراويح فلما قرأ سورة مريم وبلغ قوله تعالى (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**).

فلما سجد وطال سجوده صار الجماعة ينبهونه بالتسبيح ويرمونه بالحجارة خشية أنه نام.

ثم تبينوا أن الرجل قد توفي رحمه الله.

وهذه حالة يرجا له فيها حسن الختام بإذن الله.

طفولة الشيخ عبدالله بن حميد:

أصيب الشيخ عبدالله في طفولته بمصائب عظيمة كان بعضها وهو طفل لم يميز، وبعضها بعد ذلك، وكلها تشيب الولدان، وتزلزل الأركان من عقل الإنسان، ولكن الله سبحانه الذي ابتلاه بذلك عوضه عنه عقلاً وافياً إلى درجة الدهاء، وعلماً وافراً إلى درجة الاستاذية، وذكاءً نادراً إلى درجة معرفة الأشياء من مقدماتها، وكأنما عواقبها مكتوبة أمام فكره النير من تلك المقدمات.

فتوفي والده محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حميد والشيخ عبدالله في السنة الثانية من عمره، فصار يتيم الأب على صغره.

ثم أصيب وهو في الثالثة بمرض الجدري فأفقده بصره وصار يتيماً أعمى.

وفي السنة السادسة من عمره توفيت والدته فأصبح يتيم الأبوين، مكفوف البصر، فكفلته إحدى المحسنات لبعض الوقت وكان الشيخ رحمه الله يذكرها بالخير ويدعو لها، وبخاصة أنه وهو طفل لا يبصر من الدنيا شيئاً ليس له أب ولا أم يرعيانه إذْ اختطفهما الموت، ويقول: إن تلك المرأة لم تقصر في توفير ما كان يحتاجه في صغره على ضيق العيش في البلاد بعامة في تلك الأزمان، وبخاصة لمن كان مثله يتيم الأبوين لا يبصر من الدنيا شيئاً.

وعلى ذكر فقده البصر أقول: إنني لم أسمع منه حتى كلمة واحدة عما كان يذكره قبل أن يفقده إذْ أصابه العمى وهو صغير.

وذلك بخلاف الشيخين شيخه محمد بن إبراهيم آل اشيخ الذي أصبح المفتي الأكبر للمملكة العربية السعودية، ورئيس القضاة، فكان يحدثني عن أشياء كان يعرفها قبل أن يكف بصره، وكان يسمي ذلك بتعبيره (قبل ما تغدي عيوني) وغدت عيونه أصلها ضاعت، ومعناه ذهبت ولم تعد تبصر، من ذلك أنه كان حدثني قال:

كنت قبل ما تغدى عيوني وأنا صبي صغير كان معي عسيب من النخل أدليه في بئر الوسيطي التي كان أصلها نخلاً هي مجاورة لميدان دخنة من جهة الشرق، قال: فكنت أحرك ماء البئر بذلك العسيب الذي معي.

قال لي ذلك في معرض كلامه على وفَرة الماء في الرياض في القديم، وقلته في الوقت الذي كان يحدثني فيه وهو عام ١٣٧٣هـ.

وبخاصة بعد أن ركبت الآلات الرافعة للمياه على الآبار فاستنفدت مياهها.

وبخلاف زميله ورفيقه في طلب العلم وفي المجد العلمي بعد ذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز الذي كان يحدثني في مناسبات عدة عما كان يعرفه قبل أن يذهب بصره، لأن بصره لم يذهب جملة واحدة، وإنما كان بالتدريج بمعنى أنه أصابه مرض في عينيه فأذهب أكثر نورهما، ولكن بقيت فيه بقية كان يستعملها في العمل في دكان لأخيه بل شقيقه محمد بن عبدالله بن باز الذي عمر قرابة مائة سنة، وهو أكبر من الشيخ عبدالعزيز بقليل.

وحدثني شيخ من المعمرين من أهل الرياض قال: أنا أذكر عندما كان الشيخ عبدالعزيزبن باز في السوق، وكان يحرج على بعض الأشياء التافهة، والحراج هو المناداة على السلعة فيمن يزيد.

ثم أصيبت عيناه بمرض آخر قضى على كل نور فيهما، وسوف أذكر ما يتعلق بالشيخ ابن باز في كتابي عنه إذا قدر لي أن أكمله وأسآل الله تعالى أن يعين على ذلك.

طلبه العلم:

أدخلته عمته في مدرسة لمعلم للصبيان كان شهيراً في الرياض اسمه (علي بن صالح المديميغ) من أهالي الرياض المعروفين .

ولكن الغريب الآن وهو ليس غريباً في القديم هو التصغير في اسم أسرته (مديميغ) فلم تسم المدموغ مثلاً ، وهي طريقة أولع بها أهل نجد ولكنها ظاهرة في أسماء أهل الرياض القديمة حتى إنه إذا صار اسم الأسرة كبيراً، واحتاجوا إلى أن يلقبوا أحداً من أفرادها بلقب لقبوه بلقب مصغر.

ومن الطرائف في ذلك أن في الرياض كتَّاباً ايضاً صاحبه مصغر الاسم وهو عبدالله بن مفيريج على لفظ تصغير مِفْرِج أو مفَرِّج بمعنى الذي يفرج الكربة عن الناس والذين له بهم علاقة.

وكان (علي بن مديميغ) هذا صاحب كُتَّاب بتشديد التاء شهير في الرياض واستمر مدة ودرس فيه طائفة من أهل الرياض حتى أدركته عندما زرت الرياض لأول مرة عام ١٣٦١هـ ولم أدخله لأنني كنت عرفت القراءة والكتابة من الكتَّاب في بريدة وهما غاية من يدخل في تلك الكتاتيب.

وعلي بن مديميغ حافظ لكتاب الله تعالى، وكان يعتني بمن يريد أن يحفظ شيئاً من القرآن عناية خاصة، مع أن كتَّابه ليس فيه فصول وسنوات دراسية.

ومن ذلك أن المكفوفين وهم أقلية عنده بطبيعة الحال· كان يؤثرهم بالمساعدة على تحفيظهم القرآن الكريم أو ما تيسر من سوره.

وعندما حفظ شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد القرآن الكريم على المذكور الذي كان يقرأ القرآن على طريقة أهل نجد في تلك العصور التي تتسم بالسرعة، وعدم إعطاء الحروف حقها.

قرأ الشيخ عبدالله بن حميد عندما شب عن الطوق على الشيخ عبدالظاهر أبو السمح إمام المسجد الحرام في مكة المكرمة من أجل تجويد القرآن الكريم، وحسن تلاوته، لا من أجل حفظه، حيث كان أنهى حفظه على (ابن مديميغ).

قراءة الصغير على المشايخ الكبار:

من العادة المتبعة عند أهل نجد أن طالب العلم الصغير السن المبتديء بالطلب لا يقرأ على المشايخ الكبار بمعنى يتعلم عليهم العلم حتى يحصل على نصيب منه يكون تعلمه ممن هم أصغر من المشايخ الكبار سناً أو أقل علماً.

ولكن الذي عرفناه عن شيخنا أنه بدأ الدراسة أو تلقي العلم المباشر من مشايخ كبار السن والقدر.

ومن أكثر الذين كان شيخنا يذكرهم بالخير ويدعو لهم الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ قاضي الرياض، و قد أفاض شيخنا في حديثه عنه بعد أن تعشينا عنده في بيته في عام ١٣٦٧هـ وكان دعا شيخنا إلى العشاء مثل سائر العلماء والنابهين من آل الشيخ آنذاك، مع أن الأمور المالية لهم مثلما هي لغيرهم سيئة في ذلك الزمان، ولكنه الالتزام الأدبي الذي يدل على التقدير للشخص المدعو شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد، وكنت مع الشيخ في سفرته تلك إلى الرياض.

ذهبنا مع الشيخ لتناول العشاء في بيت شيخه الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ويقع في ذلك الوقت في شمال حي دخنة فوجدناه شيخاً في الثمانين من عمره، إذْ ولادته كانت في عام ١٢٨٧هـ، وكان أبناؤه هم الذين يصنعون القهوة، ويقدمون الطعام وهو يباسط الشيخ عبدالله بن حميد، ويدعو له، وقد فهمت من حالته أن كبر السن كان أثر عليه، إلا أنني عرفت بعد ذلك أنه كان يعاني من مرض ألم به، وبقيت آثاره فيه آنذاك.

وهو عالي النسب إلى الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فهو صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن (الشيخ محمد بن عبدالوهاب) رحمهم الله.

كما درس شيخنا وهو صغير على عالم آخر من علماء آل الشيخ هو الشيخ محمد بن عبداللطيف وهو ابن عم الشيخ صالح بن عبدالعزيز كما أنه في رتبته بالنسبة إلى القرب في سلسلة النسب من الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقد تولى قضاء شقراء في وقت من الأوقات وله رسالة أرسلها إلى الملك عبدالعزيز فيها جرءة عجيبة على إظهار رأيه فيما يتعلق بتركيب البرقية (اللاسلكي) في المملكة.

كما تلقى شيخنا شيئاً من علم النحو على الشيخ حمد بن فارس من علماء الرياض المشهورين.

من الطريف فيما يتعلق بالشيخ حمد بن فارس غير كوني أعرف بيته فيما يسمى بالدحو وهو غربي محلة دخنة في الرياض، إذْ سكنت مع أسرتي في بيت قديم هناك عام ١٣٨٠هـ لمدة شهرين فكان بيت ابنه مقابلاً لذلك البيت.

وقد سمعت بيتين من الشعر العامي لشاعر من أهل الرياض:

يا ليتني وَلْد ابن شلهوب ... والاَّ وَلَد حَمْد بن فارس

اللي براس القلم مكتوب ... يجيه خرجه وهو جالس

وذلك لكون ابن الشيخ حمد بن فارس له مقرر شهري في الحكومة، ولم أكن أعرف قدر ذلك المقرر فسألت ابن ابن فارس وهو حفيد الشيخ حمد بن فارس الذي كانت وفاته أي الشيخ حمد عام ١٣٤٥هـ عن المقرر الذي كان لوالده في المالية حتى غبطه عليه ذلك الشاعر؟ فقال ضاحكاً: إنه نصف قلة تمر من قلال الحسا في الشهر، والقلة هي مقدار معروف الوزن من التمر يوضع في وعاء الخوص، ويضغط عليه حتى لا يبقى منه شيء من الهواء، وبذلك لا يدخله السوس ولا الدود.

ونعود إلى ذكر شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله، فنقول: إنه استمر في الجد والاجتهاد في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، حتى صار مثلاً أعلى لغيره من الطلبة في هذا الأمر، وكان يستمر في الدراسة لا يمل منها، ولو في الأوقات التي يراها بعض الناس أوقات راحة.

وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمن يعرف الشيخ عبدالله بن حميد بأنه ذو طبيعة متوثبة لا تقبل الكسل أو التواني، ولكن ذلك كله كان حتى في أثناء طلبه العلم في طفولته مع العقل البعيد عن الطيش ومع احترام أساتذته والمشايخ الذين يتلقى العلم عنهم.

يقول الشيخ عبدالله بن حميد: أول ما بدأت طلب العلم وأنا صغير صرت أقرأ في المسجد وأرفع صوتي قليلاً فسمعني أحد المشايخ ورفع صوته قائلاً من هذا الذي يكسر في القرآن ويلحن؟

يقول الشيخ عبدالله فسمعته وتألمت وذهبت إلى أحد الإخوان فشكوت ذلك عنده و قلت هذا ما قال الشيخ.

فقال لي: لا تخف فإن رسول الله ﷺ يقول ما منا إلا راد ومردود عليه.

قال الشيخ عبدالله فارتحت لها في و قته وحسبت أنه حديث سأقابل به الشيخ الذي تكلم بحقي.

وطبيعي أن هذا كان في أول طلبه العلم في صغر سنه إذْ اعتقد أن جملة (ما منا إلا رادٌ ومردود عليه) هي حديث نبوي، وهو الآن يضحك من ذلك.

شيخه الأكبر:

وشيخه الأكبر بمعنى الذي تلقى عنه العلم أكثر واستمر يدرس عليه وقتاً أطول، هو إلى ذلك قد وصف رسمياً بأنه (أكبر) وذلك في ذكر وظيفته الرسمية في وقت من الأوقات بأنه (المفتي الأكبر) للمملكة العربية السعودية وهو العلامة الكبير صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي يعتبر شيخ المشايخ في زمانه، وذلك بأن كبار العلماء والمشايخ قد درسوا عليه وتخرجوا به ومنهم شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد، والمفتي العام للمملكة الشيخ الشهير عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ورئيس المحاكم في المدينة المنورة الشيخ عبدالعزيز بن صالح ورئيس محاكم مكة المكرمة الشيخ سليمان بن عبيد آل عبيد، ورئيس محكمة مكة الشيخ عبدالله بن دهيش، وطوائف من العلماء والقضاة، ربما يصل عدد كبارهم إلى مائة شخص أويزيدون والمقصود من ذلك من تولوا مناصب رفيعة كالقضاء أما جميع تلامذته فإنهم يبلغون المئات.

كلمة لابد منها:

هنالك كلمة لابد أن تقال في هذا المجال، بخاصة للإخوة الدارسين دراسة عصرية الذين تلقوا مصطلح (عالم، وجمعه علماء) من الغرب وأنه يدل على العالم بالأمور الطبيعية والتجريبية المجردة، ومن ذلك علماء الطب وعلماء الفلك وغيرهم.

فإن كلمة (العالم والعلماء) عندنا لها مدلول خاص، فالعالم يطلق على العالم العارف بالعلوم الدينية المعروفة في ذلك العصر، ومن أهمها علم الفقه الذي هو أصل التشريع وهو القانون، ومنه تستمد قوانين الحكم بين الناس، وبعض العلماء عندنا ليسوا من المقلدين للفقهاء، و المشايخ المتقدمين في المسائل الفقهية وفي مسائل أصول الفقه وإنما هم فقهاء يستنبطون الأحكام من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ.

وتلك الأحكام هي قوانين الدولة، وليست قوانين للأحوال الشخصية فقط، كأحكام الزواج والطلاق والإرث خاصة، بل هي أحكام للسكان كلهم.

ولذلك يعتمد عليهم الساسة الكبار كالملك عبدالعزيز آل سعود، في صيانة حقوق الناس وفي العقوبات ا لتي يستحقها الجناة فهي إذاً دستور البلاد بل أهم من ذلك فإنها الدستور، وتطبيق الدستور.

لذلك صارت للعالم عندنا هذه المنزلة الرفيعة، وصارت للقاضي الأهمية التي تتناسب مع ما ذكر.

ولابد من أن يكون القاضي إلى جانب علمه على مستوى عظيم من الورع والعفة عن الأموال العامة، والعدل الذي لا يلحق به الشك في إصدار الأحكام في المسائل التي يحكم فيها في قضائه.

وبالنتيجة كان العلماء شركاء في توفير الأمن في البلاد عن طريق إصدار الأحكام والعقوبات الرادعة لمن يخلون بالأمن ويتضمن ذلك أحكام القتل وقطع اليد والجلد بإقامة الحدود أو بالتعزير لما دون الحد.

صحيح أنه لابد لذلك من كون الحاكم ينفذ ما يصدره القاضي من أحكام في مثل هذه الأمور، وقد عهدناهم والذين كانوا قبل زماننا من الحكام ينفذون أحكام القاضي بكل دقة لأن ذلك يوفر لهم الأمن والسير بالبلاد بدستور أو قانون لا يعترض عليه الناس وهو الحكم الشرعي.

العلماء الموسوعيون:

وعلماؤنا الذين أدركناهم وحدثونا عن مشايخهم الذين تعلموا عليهم كانوا علماء في علوم الدين وما يتصل به وليسوا كذلك فقط، وإنما الواحد منهم كان موسوعياً فهو فقيه ومحدث ونحوي ومفسر وعالم بالعقيدة وأصول الدين، وغير ذلك.

فقد أخبرنا شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد أنه أخذ عن مشايخه في أول الأمر كتب العقيدة والتوحيد مثل كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وكشف الشبهات له، والعقيدة الواسطية، وفي الحديث الأربعين النووية، وبلوغ المرام في أحاديث الأحكام وشرحه، وفي الفقه قرأ متن زاد المستقنع للحجاوي وشرحه الروض المربع للبهوتي في الفقه الحنبلي.

وقرأ على شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في كل العلوم المعروفة في ذلك الزمان من ذلك أنه قرأ عليه في التوحيد والعقائد الرسالة التدمرية في العقيدة وكذلك الحموية كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية ورد الإمام أحمد بن حنبل على الزنادقة والجهمية، كما قرأ عليه عمدة الاحكام ومصطلح الحديث.

وكل هذه يحفظها الطالب لاسيما مثل الشيخ عبدالله بن حميد حفظاً عن ظهر قلب، ويفهمها فهماً تاماً كما سمع عليه دون حفظ صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داوود وسنن النسائي.

وفي الفقه قرأ عليه مختصر المقنع، ونظم مفردات الإمام أحمد وشرحها وحفظ عليه (زاد المستقنع) علماً مع الفهم.

وفي النحو قرأ عليه (متن الآجرومية) و(قطر الندى) وشرحه وملحة الإعراب للحريري وشرحها وألفية ابن مالك وشرحها لابن عقيل وحاشية السجاعي عليها وحاشية الخضري عليها أيضاً الى كتب عديدة أخرى.

وينبغي أن ننوه بأن ليس معنى قرأ على شيخه كذا أنه قرأها عليه في الكتاب قراءة مجردة، فالشيخ عبدالله بن حميد لا يستطيع القراءة، وإنما المراد أنه درسها عليه دراسة، وسمع شرحها ومعانيها منه، وحتى المبصرين فإنهم إذا قالوا: قرأ على شيخه الكتاب الفلاني أرادوا أنه درسه عليه دراسة.

وإذا أضيف إلى ذلك عقلية كعقلية الشيخ عبدالله بن حميد المتوثبة المتطلعة للمعرفة، كان التحصيل أكثر مما يسمعه في الدرس من غيره من الطلبة على الشيخ، ومما يطالعه من الكتب التي تقرأ وبخاصة من صغار الطلبة الذين يقرؤون على المشايخ فيستفيد المشايخ من قراءتهم مراجعة وتذكُّراً، ولذلك عندما رأى شيخه الأكبر محمد بن إبراهيم نجابة الشيخ عبدالله ووفرة محصوله من العلوم عينه مساعداً له في تدريس العلوم في المسجد الذي يؤم فيه الشيخ محمد بن إبراهيم ويدرس فيه الطلبة وهو المعرف بجامع دخنة، وكان بعضهم يسميه قبل ذلك (مسجد الشيخ) وذلك في عام ١٣٥٦هـ ولكن رغم كثرة ما تلقى شيخنا من العلوم عن شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل

الشيخ ورغم مشاركة مئآت الطلبة له في الدراسة على الشيخ فإنني لم أسمع من الشيخ عبدالله كثير أخبار مما كان يجري في درس الشيخ محمد بن إبراهيم، ولا كيف يجري القاء الدروس من الشيخ وتلقيها من الطلبة، ولكن ذلك كان معروفاً لنا من العادة، لكوني حضرت بعض حلقات الدروس على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مستمعاً.

بل كان الشيخ إذا ذكر شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم يترحم عليه ويدعو له ويذكر الإمتنان له في حياته.

مثله في ذلك مثل زميله المبرز مثله في الطلب على الشيخ محمد بن إبراهيم وهو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

فقد عملت معه في الجامعة الإسلامية ثلاث عشرة سنة، وبطبيعة الحال ليست كل تلك السنوات صالحة فضلاً عن أن تكون حافلة بأخبار شيخه وزملائه الذين يدرسون العلم على شيخه، ولكن كانت هناك جلسات مع الشيخ عبدالعزيز في خارج موقع العمل سواء التي في البيوت أو خارجها لم أسمع من الشيخ عبدالعزيز إذا ذكرعنده شيخه الشيخ محمد بن إبراهيم إلا أن يذكره بخير ويدعو له، ويشكره ولكنني لم أسمع منه مثل الأخبار التي أشرت إليها.

ولعل ذلك من الشيخين ترفعاً عن الحديث عن بعض طلبة العلم بما قد يفسر بأنه ذكر لهم بما لا يسر بعضه لو اطلعوا عليه.

عود إلى ما أشرت إليه من اتساع مدارك علمائنا وكثرة العلوم التي كان العالم منهم يحسنها من العلوم الدينية ومن علوم اللغة المتصلة بها كما كانت تسمى مثل النحو والصرف وفقه اللغة.

أقول: إنني أنا درست على شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد في فنون عديدة فوجدته في كل علم درسته فيه كأنه لا يحسن غيره، لغزارة ما يعرفه منه ومن ذلك أنني درست عليه النحو والتوحيد والفرائض والحديث والفقه من الفقه ما كانت دراسته حفظاً أو غيباً كما كان طلبة العلم يعبرون عن ذلك مفردات الإمام أحمد بن حنبل وهي المسائل التي انفرد بها عن الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأبي حنيفة، ثم قرأت نظراً درساً في كتاب (غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى) للإمام مرعي بن يوسف الحنبلي.

وقرأت عليه في الحديث والتاريخ واللغة ومصطلح الحديث، وخلاصة تهذيب الكمال في اسماء الرجال وهي في رواة الحديث وغير ذلك.

وهذا إلى جانب ما كنت استفدته من قراءات الزملاء من طلبة العلم الذين كانوا يقرؤون عليه في الدرس ونحن نستمع لذلك وهي عشرات الكتب من الأمهات الكبيرة ومن الكتب التي هي أصغر منها.

إلى جانب ما سمعنا منه من الفتاوى التي يقبل الناس على الشيخ يستفتونه فيها وأكثرها من نوازل المسائل.

والنوازل- ان لم تكن تعرفها- هي المسائل التي وقعت بالفعل يريد المستفتي أن يعرف راي الشيخ فيها، والنوع الآخر المسائل الافتراضية التي لم تقع بحيث يريد الطالب لا المستفتي لأن المستفتي يستفتي عن المسائل الواقعة التي هي نوازل، وإنما هذه المسائل الافتراضية يسميها بعض الفقهاء بصور المسائل.

ولا أريد أن أذكر طرائف المسائل الافتراضية لئلا أخرج عن المقصود من ذكر علمائنا ومشايخنا وسعة علومهم، وصبرهم وجلدهم في الجلوس للطلبة في تدريسهم.

وفي الجملة فإن شيخنا عبدالله بن حميد كان في بريدة القاضي الذي كاد يكون رئيس قضاة المنطقة لولا أنه لا توجد وظيفة (رئيس قضاة) فيها وهو شيخ المشايخ وطلبة العلم، لأن أكثرهم كانوا من تلاميذه وهو المفتي الذي يرجع إليه العامة وحتى القضاة والمشايخ عندما تعرض لهم مسائل تحتاج إلى بحث وتفكير.

وعلى ذكر الفتيا أقول: إن شيخنا أخبرني في عام ١٣٦٧هـ، أو ما يقرب من هذا التاريخ لأنني لم أكتب تاريخه أنه تلقى من وزارة الخارجية السعودية صورة استفتاء وجه للمملكة العربية السعودية من بعض المسلمين في فنلندا ملخصه أن النهار يقصر في الشتاء قصراً غير معتاد ويطول في الصيف طولاً غير معتاد، وأن الشفق لا يغيب في الصيف والشفق هو الذي يعرف به دخول وقت صلاة العشاء عندنا وعند بلاد المسلمين المعروفة وهم يسألون عن حكم ذلك.

قال شيخنا وقد أخبرني شخص في وزارة الخارجية أنها أرسلت مثل هذا الاستفتاء إلى سماحة الشسيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وإليه أي إلى الشيخ ابن حميد.

وقد طلب مني الشيخ عبدالله أن أبحث عن هذه المسألة في كتب الفقه الموجودة في المكتبة وأنا أعرف مكان وجودها في الكتب تلك، لأنني كنت (القَيَّم فيها) أي كالمأمور أو الموظف الوحيد فيها.

وكنت أشتريت من مكة المكرمة في وقت سابق كتباً كان الشيخ عبدالله اجتمعت عنده تبرعات مالية للمكتبة أذكر منها تبرعاً من أسرة (المزيني) أهل بريدة الذين كانوا انتقلوا إلى الكويت فاشتغلوا فيه بالتجارة وحصلوا على ثروة طائلة.

فذهبت إلى مكة المكرمة بناء على أمر شيخنا واشتريت كتباً ومراجع كان من أهمها أمهات كتب المذاهب الفقهية مثل المبسوط للسرخسي وشروح الأم للإمام الشافعي وحاشية ابن عابدين في الفقه الحنفي.

وقد رجعت إلى هذه مع حاشيتها وعنوانها (رد المحتار في شرح درة المختار) في الفقه.

ووجدت المسألة فيما يقرب من ذلك وإن لم يكن مثل ما جاء في الاستفتاء بالضبط ومؤداها أن بعض سكان البلدان الشمالية ذكروا أن الوقت يضيق عن

أداء بعض الصلوات في الشتاء ويتسع في الصيف وأنهم كانوا ينقلون ذلك عن أناس تقع بلادهم بعيدة عن بلادهم.

ثم قال ما معناه أو ما فهمناه منه: إنهم يسيرون على توقيت أقرب بلد للمسلمين وقد تأمله شيخنا، وإن كان لم يقنع بما ذكره الكتاب ربما لأنه ونحن معه لم نكن نتصور الموضوع على حقيقته في ذلك الوقت.

ولذا أذكر أن الشيخ عبدالله لم يسارع في كتابة الفتوى في هذه المسألة، وإنما كتب أو كان- كما فهمت ذلك- ينوي الكتابة لشيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ به.

وأقول الآن: إنني قد سنحت لي فرصة تصور الموضوع تصوراً كاملاً لأنني عايشته ولم أكن سمعت به فقط، بل وصلت إلى تلك البلدان التي فيها الإشكال من ثلاثة مواضع الأول: مدينة مورمانسك في شمال روسيا وهي واقعة على ساحل المحيط المتجمد الشمالي.

وعندما وصلنا إليها يوم ٢٣ يونيو من عام١٩٩٠م الموافق ليوم الثلاثاء ١٤١٠/١١/٢٦هـ، وجدنا الشمس فيها لا تغرب مطلقا بل تظل تدور في أفق السماء ولا ترتفع في كبد السماء وذكر لنا أهل المدينة أن الوقت يظل هكذا بدون غروب للشمس في أيام معدودة من آخر شهر يونيو وأن المنطقة التي تقع إلى الشمال منهم لا تغيب عنها الشمس لأيام أكثر في الصيف، كما أنها لا تشرق عليهم في الشتاء لأيام أيضاً كذلك.

والموضع الثاني مدينة في شمال فنلندا ...

والموضع الثالث: مدينة نوفي أورنقوي في شمال سيبيريا التي وصلناها يوم الاثنين ١٣/٤/١٤٢٠هـ الموافق ٢٢/٧/١٩٩٩م.

وكل هذه لا تغيب الشمس عنها في وقت قصير في الصيف، وإذا ذهب الإنسان شمالاً منها في ذات الأيام التي لا تغيب الشمس فيها، لأنه بذلك يقترب من القطب الشمالي.

وكنت مما قرأت سابقاً فهمت أن المسلمين في مثل هذه الأماكن مخيرون بين رأيين أحدهما أن يكون توقيتهم في الصلاة وأمثالها هو توقيت أقرب بلد إليهم فيه غروب وشروق حقيقي في كل أيام السنة، وأنهم في مدينة (نوفي أورنقوي) هذه قد اختاروا توقيت مدينة تومين التي تبعد عنهم بنحو ألف وخمسمائة كيلو جهة الجنوب.

ولذلك كنا نصلي معهم صلاة المغرب والعشاء والشمس تملأ الأسواق.

أما نحن فقد آثرنا ما ورد في الحديث عن أيام الدجال وأن بعضها في طول شهر، وجاء في الحديث أن بعض الصحابة سأل النبي ﷺ عن وقت الصلاة آنذاك، فقال: اقدروا له، أي قدروا تقديراً.

وهذا ما فعلناه، وجعلنا نصلي الظهر في الثانية عشرة والعصر في الرابعة بعد الظهر حسب الساعات، وليس حسب الشمس لأن الشمس لا تغيب أبداً في تلك الفترة.

كما كنا صلينا المغرب في السادسة والعشاء في الثامنة وهكذا.

ولكنني فكرت في بقية الأوقات في هذه البلاد التي فيها مصلون أكثر بالنسبة إلى عدد المسلمين في باقي المدن الروسية، فقد ذكر المسلمون أن عدد المسلمين في مدينة نوفي انقوري هو ٣٠٪ وذلك أن الحياة فيها شاقة لا يصبر عليها كل شخص.

فكرت في بقية الأحكام مثل صيام رمضان ومثل عدة الوفاة وعدة الطلاق وهما مقدران بالأيام ولا أيام هنا حقيقية في بعض أيام الشتاء والصيف، وكذلك أيام النذر والكفارة بالصيام.

ولذلك قلت: إنه لابد للمجامع العلمية وللجامعات المعنية بالفقه أن تدرس علماً جديداً اسمه كما تخيلته (فقه المناطق القطبية).

وهذا العلم لم يكن موجوداً من قبل لأن تلك الأماكن لم تكن مسكونة من قبل لقسوة الجو فيها في الشتاء ولكن وسائل التدفئة الحديثة كافحت البرودة فيها.

فالحكومة الروسية أنشأت محطات في كل المدن الروسية الباردة ترسل بخار الماء الحار إلى البيوت كما ترسل الكهرباء.

والقول كذلك في ظلمة الجو في بعض أيام ا لشتاء حيث لا تشرق الشمس وإن كانت قد أسعفتهم الكهرباء بتبديد الظلام.

زوجات الشيخ ابن حميد:

أولى زوجات الشيخ عبدالله بن حميد كانت صغيرة نسبياً وهو صغير، ولذا لم يرزق منها بأولاد وطلقها.

وثانية زوجات الشيخ عبدالله بن حميد وهي أم الكبار من أولاده هي (نورة بنت محمد الوهيبي)

قال الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد ابن أخي الشيخ وكان والده مات وهو في بطن أمه فسمي على اسمه عبدالعزيز وتربى في بيت عمه الشيخ عبدالله في طفولته.

كنت مكثت في بيت عمي الشيخ عبدالله بن حميد تحت رعايته وتحت رعاية زوجته الصالحة البارة (نورة بنت محمد الوهيبي) - رحمهما الله- وقد كانت حافظة لكتاب الله، وتقرأ على العم الشيخ عبدالله أمهات الكتب غفر الله لها.

وقال عنها ابنها الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء:

أما والدتي فكانت تجيد قراءة القرآن إجادة تامة وتحفظه عن ظهر غيب، حتى إن والدي الشيخ عبدالله بن حميد- رحمه الله- يتعجب من حسن قراءتها لأن المعهود أن النساء لا تكاد تحسن القراءة.

فقال لها: اين قرأتي القرآن؟ فقالت: أقرأنيه أخي عبدالعزيز.

وهذا مما يدل على عظم اهتمامه ومتابعته لأن إجادة القراءة وبخاصة من النساء في ذلك الوقت تحتاج إلى متابعة وعناية خاصة.

ومع العلم كذلك بأن الحماس في تعليم النساء في ذلك الوقت ضعيف جداً بل قد يكون من الثقافة السائدة عدم تمكين بعض النساء من التعلم.

أما أخوها عبدالعزيز فكان مغايراً لأهل وقته لما يتمتع به من عقل وحكمة، وفقه في الدين الصحيح.

قال: بل إن الوالدة- رحمها الله- كانت تحسن قراءة الكتب الأخرى وكانت في بعض الأحيان تقرأ على الوالد- رحمه الله- بعض المراجع والمصادر من كتب الحديث والتفسير وإن كان هذا قليلاً لكنه يدل على ما نشأت عليه من حسن التربية والتعليم بل إنها كانت- رحمها الله- تحفظ أحاديث نبوية وأبياتاً من شعر الحكمة وكثيراً ما تستشهد بها وتحثنا على التزام مضامينها ومن ذلك:

الصبرُ كالصبرِ مرَ مذاقه ... وفي عواقبه أحلى من العسل

إذا ابتليت فثق بالله وارضَ به ... إن الذي يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه ... لا تيأسن فإن الصانع الله

الدار دار نعيم إن عملت بما ... يرضى الإله وإن خالفت فالنار

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهل

وغيرها من الأبيات.

الشيخ عبدالعزيز بن محمد الوهيبي:

أقول: لقد عرفت أخاها الشيخ عبدالعزيز بن محمد الوهيبي صهر الشيخ عبدالله من حضوره إلى شيخنا كثيراً، ومن اهتمام الشيخ بما يقوله، فقلت في نفسي أول الأمر وقبل أن أعرفه: لولا أن هذا رجل مهم لما اهتم شيخنا بما يقوله لأنني أعرف من عادة شيخي وزن أقدار الرجال عنده من كيفية استقباله لهم وإنصاته لما يقولون.

وبهذه المناسبة أقول، وكتابنا يتحدث عن الشيخ عبدالله بن حميد أن شيخنا رحمه الله كانه يزن أقدار الرجال الذين لا يعرفهم، ولم يكونوا متميزين بفصاحة أو علم بما يلقيه عليهم من أسئلة، فكان يسأل الواحد منهم عن شيء يعرفه الشيخ ويعرف سامعه ذلك فيعجب غاية العجب، إذْ أن من عادة الناس أن يسألوا عما لا يعرفونه، و لكن شيخنا رحمه الله يزن عقول الرجال بما يقولونه عن شيء يعرفه، فإن قال الرجل الحقيقة إجمالاً كما كان يعرفها الشيخ عبدالله من قبل عرف أنه صادق، وإذا جاء بتفصيلات لها يعرفها الشيخ أو لا يعرفها عرف أنه جيد في تعبيره.

ورأيت بعضهم يجيب الشيخ بإجابات مخالفة للواقع عن شيء أنا أعرف أن الشيخ يعرفه، فلم يكذبه الشيخ عبدالله وإنما عرف حقيقته بهذه الطريقة العاجلة وسكت عنه.

أعود إلى ذكر الشيخ عبدالعزيز بن محمد الوهيبي فأقول: إن أمثاله لم يكونوا ينعتون عند الناس بنعت الشيخ لأن الشيخ عند أهل نجد أول ما عقلنا الأمور إلى ما بعد ذلك بزمن هو من تولى القضاء أو جلس في المساجد يدرس الطلاب ويقرؤون عليه الكتب العلمية.

ولكن عبدالعزيز الوهيبي ليس كذلك وإنما طلب العلم مثل غيره على المشايخ في المسجد، ثم كف عن ذلك لأن طالب العلم المجيد على قلة الطلاب المجيدين نهايته أن يكون قاضياً ولا يريد ذلك.

لقد عرفت الأخ عبدالعزيز الوهيبي المذكور بعد ذلك معرفة شخصية وصارت بيننا صداقة، لأنه عاقل متزن هادئ الطباع، مع ذكاءٍ مستتر لا يظهر إلاَّ عند البحث.

وهو من أهل منفوحة، واسمه يدل على أن صاحبه من الوهبة وينطق به في القصيم بإسكان الواو وفتح الهاء بعدها ياء ساكنة فباء مكسورة وآخره ياء نسبة.

أما (الوهيبي) في اسم صهر الشيخ هذا فالنطق به يختلف عن ذلك فهو بكسر الواو والهاء بعدها ياء ساكنة فباء مكسورة وآخره ياء نسبة، فهو على صيغة النسبة إلى (وهيب) بكسر الواو والهاء، على حين أن الأول هو على صيغة النسبة إلى (وهيب) بإسكان الواو وفتح الهاء.

حضرت مرة مجلساً لشيخنا ليس فيه إلا ذلك الرجل وهو يتناقش مع هذا الرجل حول أملاك من النخيل والأراضي لآل حميد أهل الشيخ عبدالله.

ومع الشيخ عبدالعزيز الوهيبي، مجموعة وثائق قليلة فهمت أنها تخص أسرة الشيخ وأنهم يريدون بيعها، لأن أقيام العقارات في معكال قد ارتفعت، ولم أكن قد هممت في ذلك الوقت بالكتابة في أحوال الأسر، وبالتالي لم يكن اهتمامي بالوثائق، لا لقلة بها من هذه الناحية، وإلا لكنت كتبت لها بخطي صوراً، وذلك قبل وجود آلات تصوير الأوراق والوثائق.

وقد وكله شيخنا على ما في تلك الأوراق ولا أعرفه بالتفصيل الآن، ولكنني عرفت من كلام الشيخ عبدالعزيز الوهيبي أنه طالب علم، عميق الفهم بأمور الشرع، جيداً في معرفة ما يدلي به الخصوم حول العقارات.

ثم تكررت رؤيتي له إلى أن بلغني خبر وفاته في عام ١٣٩٢هـ رحمه الله.

ولمعرفتي الحقيقية به وأنه يستحق أن ينوه بترجمته على ضوء ما اتبعته في (معجم أسر بريدة) من ترجمات لطلبة العلم والشخصيات البارزة فقد طلبت من ابن أخته صاحب المعالي الدكتور صالح بن شيخنا عبدالله بن حميد أن يكتب لي ترجمته فكتب ذلك واقتطفت منه ما يلي:

نبذة في سيرة الخال عبدالعزيز بن محمد الوهيبي- رحمه الله:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فهذه نبذة مختصرة في سيرة خالي عبدالعزيز الوهيبي- رحمه الله- كتبتها بناءً على طلب من معالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي- حفظه الله.

هو عبدالعزيزبن محمد بن عبدالله بن علي الوهيبي.

ولد في بلدة منفوحة جنوب الرياض في عام ١٣٢٤هـ.

توفي والده محمد وهو صغير وكان الخال عبدالعزيز أكبر إخوانه الأشقاء وهم: نورة وعلي، فقامت والدتهم هيا بنت عبدالله بن رشيد- رحمها الله- على تربيتهم والعناية بهم وما لبثت أن توفيت وهو لم يزالوا صغاراً فاصبح عبدالعزيز هو المسؤول عنهم بحكم كبر سنه فيهم وقد قام بواجبه خير قيام.

دراسته وطلب العلم:

يعد الخال عبدالعزيز من جملة الطلاب الذين تلقوا العلم على يد سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها.

فقد درس عليه العلوم الشرعية في مسجد الشيخ المعروف في حي دخنة في الرياض، وكان من حرص الخال- رحمه الله- أنه إذا أذن المؤذن الأول لصلاة الفجر انطلق من بلدته منفوحة مشياً على الأقدام مع زميله الشيخ عبد العزيز الشعيبي ليحضرا درس الشيخ.

والخال يتصف بالعقل والحكمة مع الذكاء والحرص، وقد حصل علماً حسناً غير أنه لما شَعر أنه قد يعين في القضاء انقطع عن حضور الدروس ورعاً وتديناً.

مما أثر من حكمته وتدينه:

للخال- رحمه الله- خبرة حسنة في العقار والبيوت والأراضي في تقدير أقيامها وبنائها ولأجل هذا فإن تجار العقار يلجأون إليه عند الاختلاف أو الخصومات وغالباً ما يكون رأيه وتقديره قاطعاً للنزاع، لما عرف به من العلم والخبرة والنزاهة والديانة ورجاحة الراي وحسن تقدير الأمور ومداخل الصلح، فكان محل ثقتهم وقبولهم وصدق النصح لهم.

ومما يروى أنه كان لرجل من أهل البادية بيت في الرياض، وكان موقع هذا البيت يحول دون السوق والطريق فعرض عليه أهل السوق أن يبيع عليهم البيت وقدروا لذلك مبلغ خمسة آلاف ريال فاستشار الخال عبدالعزيز فأشار عليه بأن البيت قيمته أكثر من ذلك، ثم قال له: إن طلبوا شراء بيتك فأحلهم عليَّ وأنا أتولى بيعه، فلما جاءوا إلى الخال عبدالعزيز عرضوا عليه عشرين ألف ريال ابتداءً فأبى، فبلغوا صاحب البيت بامتناع الخال، فجاء صاحب البيت إلى الخال وقال إني أرغب في البيع فقال الخال: إن قيمة البيت أكثر من ذلك بكثير ولو أني غير أمين لأخذت منك البيت بهذا المبلغ واستفدت من الزيادة،ولكن دع الأمر لي.

فرجع صاحب البادية إلى أهله وترك الأمر للخال، ثم إن الخال باع البيت بمائة ألف ريال، فلما رجع الأعرابي ما كاد يصدق، ثم إن الخال أشار على الرجل أن يشتري بجزء من المبلغ عقاراً يدر عليه من ريعه وبقية المبلغ ينتفع به، فامتثل الرجل ووكل الخال في التصرف فاشترى له ثلاثة منازل بمبلغ خمسة

وسبعين ألف ريال وأعطاه خمسة وعشرين ألف وأشار عليه بأن يجعل أحد هذه المنازل وقفاً له ولوالديه ويخرج منه اضحية لهم.

حدث أن استأجرتْ منه امرأة مع أيتام لها بعضهم قد كف بصره بيتاً بأجرة شهرية قدرها ريالان وكانوا فقراء يدفعون شهراً وشهرين لا يستطيعون فما كان من الخال- رحمه الله- إلا أن عرض عليهم أن يشتروا البيت فقالوا نحن لا نستطيع دفع الأجر بانتظام فكيف نشتري البيت- فال رحمه الله- سوف أحتسب الأجرة من القيمة وبعد فترة ليست بالطويلة قال لهم: قد استوفيت ثمن البيت ونقل ملكيته لهم.

قدم جماعة من البادية إلى الخال في مزرعته (حصنية) في بلدة منفوحة ومعهم عجوز مسنة وقالوا: إن هذه العجوز تعجز عن التنقل معنا لكبر سنها فلو أبقيناها عندك حتى نفرغ من مهمتنا وسوف نأخذها في طريق عودتنا فوافق- رحمه الله- ولكنهم لم يرجعوا.

وهذه عادة بعض البادية حين يكون معهم هرم أو مسن أو مريض مرضاً معدياً فإنهم يضعونه في المدينة تخلصاً منه وهذا من جفائهم وقسوتهم.

ولما تيقن الخال من عدم رجوعهم استأجر لها من يخدمها لعجزها عن خدمة نفسها مع أن حالة الخال المادية ضعيفة وبقيت عنده- رحمه الله- حتى توفيت وقد استفتى أهل العلم في مباشرة إنزالها القبر بنفسه إذْ لم يكن لها أقارب فأفتوه بجواز ذلك- رحمه الله.

هذه بعض سيرته ومآثره- رحمه الله- وقد عرفته في صلاحه وتدينه وحزمه في تربية أولاده، كما كان على صلة وثيقة بوالدي- رحمه الله- والوالد يقدره تقديراً كبيراً لصلاحه وحكمته وحسن رأيه وكان يستشيره بل كان وكيله في كثير من شؤونه حيث كان الوالد عمل في سدير ثم في القصيم ثم في مكة المكرمة، فكان هو وكيله قي الرياض في كل ما يحتاج إليه الوالد ولا سيما في شؤونه الخاصة.

وفاته:

توفي في الثالث من شهر ذي الحجة عام ١٣٩٢هـ، على أثر حادث دهس بدراجة نارية- رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وأصلح ذريته وعقبه، وقد خلف من الأولاد: صالحاً- ومحمداً- وعبدالاله وأربع بنات.

حرره

صالح بن عبدالله بن حميد

١٤٣١/٦/٥هـ

أولاد الشيخ عبدالله بن حميد:

تزوج الشيخ في حياته أربع زوجات الأولى منهن كان عند ما تزوجها صغير السنِّ، وهي صغيرة ولم يرزق منها بأولاد، وقد توفيت.

والثانية هي: أم أكبر أولاده وأشهرهم وهي نورة بنت محمد الوهيبي، وقد رزق منها الشيخ عبدالله بأبناء وبنات وهم:

محمد وعبدالرحمن، وصالح.

والثالثة: نورة بنت عبدالرحمن بن علي القفاري، رزق منها:

عبدالعزيز، وأحمد وسعد وإبراهيم، ومن البنات: لطيفة والجوهرة.

والرابعة: لؤلوة بنت محمد بن راشد الرقيبة وقد توفيت سنة ١٤٢٩هـ، رزق منها:

عبدالوهاب، وعبدالمحسن، وهدى وهند.

أبناء الشيخ:

محمد:

وهو أكبرهم، وهو من مواليد عام ١٣٥٥هـ في مدينة الرياض، درس في الكتاتيب في بريدة ثم على والده، ثم توظف في رئاسة الحرم المكي إلى أن تقاعد ويعيش الآن متقاعداً في مدينة الرياض.

عبدالرحمن:

من مواليد عام ١٣٦٢هـ في مدينة بريدة، درس في المدرسة الابتدائية فيها، ولما ارتحل الشيخ إلى مكة واصل دراسته فيها، على والده، (له ترجمة).

عبدالعزيز:

من مواليد ١٣٦٨هـ في مدينة بريدة، تعلم في مدارسها، ثم انتقل مع والده إلى مكة المكرمة وأكمل دراسته، كما درس على والده.

عمل في رئاسة الحرمين إلى أن تقاعد.

صالح:

وستأتي ترجمته.

أحمد:

وستأتي ترجمته أيضاً.

سعد:

من مواليد عام ١٣٨٠هـ في مدينة بريدة، وانتقل مع والده إلى مكة ودرس

في مدارسها كما درس على والده، عمل موظفاً في جامعة أم القرى بمكة ثم انتقل إلى المؤسسة العامة للصوامع ومطاحن الدقيق بالرياض، وما زال على رأس العمل.

إبراهيم:

من مواليد عام ١٣٨٢هـ في مدينة بريدة، وانتقل مع والده إلى مكة ودرس في مدارسها الحكومية حتى تخرج من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى عام ١٤٠٩هـ ويعمل مدرساً في دار الحديث المكية، وإماماً وخطيباً لجامع ذي النورين في حي العوالي بمكة، ثم في جامع الأميرة فهده السديري في مكة المكرمة ولا يزال مدرساً في دار الحديث ١٤٣١هـ.

عبدالوهاب:

من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٩٦هـ تعلم في المدرسة النظامية، وواصل دراسته حتى حاز درجة الماجستير في الفقه المقارن من جامعة أم القرى في مكة، ويعمل الآن محاضراً في الجامعة نفسها، ويدرس الآن في مرحلة الدكتوراه- ١٤٣١هـ.

عبدالمحسن:

من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ تعلم في المدارس النظامية فيها وواصل دراسته حتى تخرج في جامعة أم القرى بمكة المكرمة. ثم الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز في جده .

يعمل الآن كاتب عدل في وزارة العدل بمكة المكرمة.

البنات:

لطيفة:

تزوجت ثم توفي زوجها.

الجوهرة:

تخرجت من جامعة أم القرى وتعمل الآن ١٤٣١هـ أستاذة في جامعة الإمام.

هدى:

تخرجت من جامعة أم القرى وهي ربة بيت زوجها خليل بن عبدالعزيز القاسم.

هند:

تخرجت من جامعة أم القرى وهي الآن ربة بيت، وزوجها إبراهيم بن عبدالمحسن البديوي.

ترجمة الأستاذ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله بن حميد:

ولد حفظه الله في مدينة المجمعة بمنطقة سدير إبان تولي سماحة والده القضاء بتكليف فيها، وكان ذلك في سنة ١٣٦٢هـ، فهو ثاني أبناء الشيخ من حيث الترتيب العمري بعد شقيقه محمد، وأمه الفاضلة هي نورة بنت محمد الوهيبي رحمها الله تعالى.

وكما تأثر الأستاذ عبدالرحمن بتوجيه والده وتربيته فقد كان لأمه أثر بالغ في تنشئته على الصدق والجد والمثابرة في اكتساب الصفات الفاضلة التي درج عليها أبناء الشيخ رحمه الله، وقد درس على والده النحو والحديث والتوحيد ضمن حلق جامع مدينة بريدة الكبير.

وبعد أن تولى شيخنا عبدالله بن حميد قضاء القصيم التحق ابنه عبدالرحمن في التعليم العام ليكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة بمدينة بريدة، ولما انتقل والده- رحمه الله- إلى مكة المكرمة لرئاسة الإشراف الديني بالمسجد الحرام تسنى لابنه عبدالرحمن أن يكمل تعليمه الثانوي في مدرسة الملك عبدالعزيز الثانوية، ومن ثم التحق بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً) قسم اللغة الإنجليزية.

ولم يتسن له إكمال المرحلة الجامعية واستعاض عن ذلك باجتياز دورات متعددة في معهد الإدارة العامة تضمن له عدم الانقطاع عن العمل وتقديم الدعم والمساندة لأعمال والده الخاصة.

التحق الأستاذ عبدالرحمن بالعمل وهو في ريعان الشباب في مدينة بريدة وتدرج في العمل الوظيفي الحكومي منذ تأسيس الرئاسة العامة للإشراف الديني بالمسجد الحرام، وتولى مسؤوليات واسعة من خلال عمله مديراً عاماً للإدارة ومديراً للمتابعة والتفتيش كان فيها أهلاً للثقة التي منحت له لما يتمتع به من حكمة ورجاحة عقل وبعد نظر وترفع عن سفاسف الأمور.

واستمر في عمله الحكومي إلى أن تقاعد سنة ١٤٢٦هـ وكان طيلة عمله محل تقدير واحترام لكل من عمل معه.

وللأستاذ عبدالرحمن خمسة من الأبناء وثلاث بنات، وفقه الله لتربيتهم وتعليمهم جميعاً إلى أن أكملوا جميعهم التعليم الجامعي وتأهلوا للعمل في القطاعين الحكومي والخاص، ولا يزالون يحظون بدعمه وتوجيهه ورعايته لهم.

الدكتور صالح:

الدكتور صالح بن شيخنا عبدالله بن حميد هو أكثر أبنائه نباهة واشيعهم ذكراً، وقد شغل مناصب رفيعة متعددة في الدولة وله نشاط اجتماعي واسع.

ويكفي في نباهة ذكره أنه شغل منصبين رفيعين كان يشغلهما والده الشيخ عبدالله بن حميد هما رئاسة شئون الحرمين الشريفين وهي بمرتبة وزير.

والثاني: رئيس المجلس الأعلى للقضاء وهي بمرتبة وزير أيضاً.

وطبيعي أنه لم يتول هذين المنصبين في وقت واحد، وإنما كان عين في الأولى وبعد فترة وشغل غيرها من المناصب عين في المنصب الآخر وهو (رئيس المجلس الأعلى للقضاء) الذي لا يزال يشغله حتى كتابة هذا السطور في عام ١٤٣١هـ.

وقد وضع أحد الإخوة ترجمة حافلة مفصلة له رأيت إثبات أكثرها هنا، وأكثر ما جاء فيها أعرفه معرفة شخصية.

صالح بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد:

ولادته ونشأته:

ولد بمدينة بريدة- في منطقة القصيم عام ١٣٦٩هـ، ونشأ بها وتربى في كنف والده العالم العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد- رحمه الله- وكان ملازماً له.

تحصيله العلمي في الكُتَّاب:

كان ملازماً لوالده أخذ عنه التوحيد والفقه واللغة العربية فحفظ بعض المتون مثل كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية والعقيدة السفارينية وفي الفقه أخصر المختصرات وزاد المستقنع وعمدة الفقه، وفي اللغة العربية متن الأجرومية وملحة الإعراب وبعض ألفية ابن مالك.

كما قرأ عليه في المطولات مثل تاريخ الدول ومآثر الأول للقرماني وسمط النجوم العوالي للعصامي ومختصر السيرة للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وكان في الصغر قد قرأ على الشيخ محمد بن صالح المطوع في بريدة كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد وحفظ عليه القرآن الكريم.

كما درس في كُتَّاب الشيخ سليمان الرزقان في الإجازات الصيفية.

انتقاله مع والده إلى مكة المكرمة:

كان انتقل في سن الخامسة عشرة مع والده إلى مكة المكرمة حيث عين والده

الشيخ عبدالله رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام بمكة المكرمة.

وقد عاود حفظ القرآن في المسجد الحرام في سن السادسة عشرة على يد الشيخ الحافظ محمد أكبر شاه المقرئ المجود المتقن وعنده منه إجازة برواية حفص، ويعد من أوائل خريجي جمعيات تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة- الدفعة الثانية، وهي جمعية كتب الله فيها خيراً كثيراً.

وبعد أن انتقل مع والده إلى مكة المكرمة واصل تعلمه الثانوي بالقسم العلمي في مدرسة الملك عبدالعزيز الثانوية في مكة المكرمة، إلى أن تخرج فيها في صفر عام ١٣٨٧هـ.

المرحلة الجامعية:

أتم دراسته الجامعية في جامعة الملك عبدالعزيز - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في مكة المكرمة، وحصل على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى من قسم الشريعة والتربية منتظماً في ١٣٩٥/٥/١٨هـ.

شهادة الماجستير:

حصل على مؤهل العالمية الماجستير في الفقه وأصوله من جامعة الملك عبدالعزيز عام ١٣٩٦هـ بتقدير ممتاز بعنوان: القيود الواردة على الملكية في الشريعة الإسلامية.

شهادة الدكتوراه:

حصل على مؤهل العالمية الدكتوراه في الفقه وأصوله من جامعة أم القرى

بمكة المكرمة في عام ١٤٠٢هـ، بتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة بعنوان: رفع الحرج في الشريعة الإسلامية: ضوابطه وتطبيقاته.

وظائفه:

- عين على وظيفة معيد في جامعة أم القرى بتاريخ ١٣٩٢/٩/٢٥هـ.
- عين على وظيفة محاضر في جامعة أم القرى في ١٣٩٧/٧/١٨هـ.
- عين على وظيفة أستاذ مساعد في جامعة أم القرى في ١٤٠٢/٥/١٩هـ.
- كلف بالعمل رئيساً لقسم الاقتصاد الإسلامي في جامعة أم القرى لمدة عامين من ١٤٠٢/٦/١هـ.
- عين رئيساً لمجلس الدراسات العليا الإسلامية المسائية بكلية الشريعة في جامعة أم القرى بقرار التشكيل ذي الرقم: (٢/١٠٨٨/١٥/٤/٣٠) والتاريخ ١٤٠٣/٣/١٨هـ.
- أعيد تعيينه رئيساً لمجلس الدراسات العليا الإسلامية المسائية في جامعة أم القرى لمدة سنتين من ١٤٠٥/١/١٣هـ.
- باشر الإمامة في المسجد الحرام متعاوناً في شهر ربيع الأول ١٤٠٣هـ، ثم عين إماماً وخطيباً للمسجد الحرام بقرار من الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، وباشر عمله ابتداءً من تاريخ: ١٤٠٤/١/١هـ.
- عين وكيلاً لكلية الشريعة في جامعة أم القرى في ١٤٠٤/٤/٢٥هـ.
- كلف بالعمل عميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم

القرى لمدة ثلاثة أشهر اعتباراً من ١٤٠٥/٣/٢٧هت بالقرار ذي الرقم: (٢/١٢٧١/٤٣/١/٣) والتاريخ ١٤٠٥/٣/٣٠هـ.

- عين عضواً للمجلس الأعلى العالمي للمساجد في غرة ربيع الآخر لعام ١٤٠٤هـ.

- عين عميداً لكلية الشريعة في جامعة أم القرى بتاريخ: ١٤٠٥/٦/٦هـ، بعد انتخابه بالإجماع من مجلس الكلية.

- عين نائباً للرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي للشؤون الإدارية بالمرتبة (الممتازة) بالأمر الملكي الكريم بتاريخ ١٤١١/٥/٢٤هـ.

- عين عضواً في مجلس الشورى بالأمر الملكي الكريم الصادر بتاريخ ١٤١٤/٣/٣هـ، (الدورة الأولى: لمدة أربع سنوات).

- عين رئيساً لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي بمرتبة وزير بالأمر الملكي الكريم الصادر في ١٤٢١/١١/١٢هـ.

- صدر الأمر السامي الكريم بتاريخ ١٤٢٢/٣/٦هـ بتعينه عضواً في هيئة كبار العلماء.

- عين رئيساً لمجلس الشورى بمرتبة وزير بالأمر الملكي الكريم ذي الرقم: (أ/٢٥٤) والتاريخ: ١٤٢٢/١١/٢٤هت، (لمدة أربع سنوات).

- جددت رئاسته لمجلس الشورى بالأمر الملكي الكريم ذي الرقم: (أ/٣٠) والتاريخ ١٤٢٦/٣/٢هـ (لمدة أربع سنوات).

- وأخيراً عين رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء بمرتبة وزير بالأمر الملكي ذي الرقم: (أ/٥) والتاريخ ١٤٣٠/٢/١٩هـ.

الإمامة والخطابة في المسجد الحرام:

قام بمهمة الإمامة في أحد مساجد مكة قرابة عشر سنوات كما كان يقوم بخطابة الجمعة نيابة عن إمام المسجد الجامع في الحي الذي يسكن فيه في مكة المكرمة، ثم عهد عليه بالإمامة في المسجد الحرام وصدر القرار بتعينه إماماً وخطيباً في اليوم الأول من شهر المحرم عام أربع وأربعمائة وألف من الهجرة.

الرحلات لنشر الدعوة في الداخل والخارج:

للشيخ الدكتور صالح بن حميد نشاط ملموس في الدعوة فهو مشارك ذو حضور متميز في النشاطات الدعوية عن طريق الجمعيات والهيئات في الداخل والخارج ومتعاون في محاضراتها وندواتها في داخل البلاد وخارجها حريص على إجابة الدعوات لمثل هذا، وإمامة المسجد الحرام هيأت له فرصاً في هذا مذكورة في الداخل والخارج.

الدروس بالمسجد الحرام:

بدأ تدريسه بالمسجد الحرام من شهر ذي الحجة عام ١٤٠٢هـ، ثم صدرت موافقة ملكية على تعيينه مدرساً ومفتياً بالمسجد الحرام.

ودروسه يومية بعد صلاة الفجر عدا يوم الجمعة وبعد انتقاله إلى مدينة الرياض بحكم عمله رئيساً لمجلس الشورى حرص عند وجوده بمكة على أن يقوم بالتدريس والإمامة والخطابة بالمسجد الحرام ويتناول في درسه العقيدة والتوحيد والتفسير والأحكام والدرس التوجيهي في التربية والأخلاق.

مشاركته في المؤتمرات العلمية والعالمية:

له مشاركات في المؤتمرات العلمية سواء ما كان منها عن طريق المسجد الحرام وشؤونه أو عن طريق الجامعات والتعليم العالي أو في موقعه كعضو ورئيس لمجلس الشورى.

أشرف على طباعة موسوعات كتب علمية منها:

- موسوعة (نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ).

وتعد هذه الموسوعة من المشروعات العلمية الكبيرة توفر لها عدد من المختصين استقصوا ذكر أخلاق الرسول ﷺ وبينوا فضائل أخلاق النبوة وما ينبغي للمسلم أن يتحلى به من الأخلاق الفاضلة وما يتجنبه من الأخلاق الذميمة.

- كتاب اليسير في اختصار تفسير ابن كثير.
- تفسير ابن كثير الكبير.

تقدير عمله في رئاسة مجلس الشورى:

قال الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان عضو مجلس الشورى في كتاب: (سنوات في مجلس الشورى).

سنوات في مجلس الشورى:

انطوت الأيام، وبعد بضعة أشهر من بدء الدورة فوجئنا يوم الخميس ١٤٢٢/١١/١٠هـ بخبر وفاة رئيس المجلس الشيخ محمد بن جبير، فقد عاجله

الأجل إثر أزمة قلبية، وتلك هي أقدار الله، ففي بداية الأسبوع كان يرأس المجلس وفي آخره دخل المستشفى، وفاضت روحه إلى بارئها، فرحمة الله عليه.

وفي الأسبوع التالي صدر الأمر الملكي بتعيين فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيساً للمجلس، وباشر الرئيس الجديد عمله، ودارت عجلة الشورى مرة أخرى، وهو الرئيس الذي قضيت معظم تجربتي البرلمانية معه في مرحلة جديدة من عمر الشورى في المملكة.

وهذه المرحلة شهدت تطوراً كبيراً، إذ تأكدت من خلالها في أذهان المتابعين للمجلس وأنشطته ملامح نضجه، فهو الآن يتجاوز مرحلة الاقتصار على تقديم الشورى المجردة لولي الأمر، ويقتنص بعض القوة عن طريق دراسة الأنظمة واللوائح والاتفاقات، وتحليل تقرير الأداء الحكومي، ومناقشة خطط الدولة واتخاذ القرارات المتكاملة المستوفاة على نحو ما يجري في البرلمانات الدولية المتطورة من ممارسات نيابية.

وكان الشيخ صالح قد تتلمذ على يد ابن جبير - رحمه الله- في حسن إدارة المجلس، وتنظيم الحوار، والإيمان بضرورة بذل الجهد للحفاظ على التجربة الشورية من مخاطر التهميش، وعدم التفريط في أي مكسب تحصل عليه.

وكانت أخلاقه الرفيعة وأدبه الجمّ قد استحوذ على قلوب الأعضاء وعواطفهم، وكان موقعه السابق عضواً بينهم عاملاً فاعلاً في تفهم رغباتهم في الارتقاء بالمجلس وتنمية تأثيره، وكانت رغبته في ذلك لا تقل عنهم.

اتسمت رئاسته للجلسات بالمهارة الشديدة والاحترام المتبادل، والحزم الواضح مع لين الجانب والرفق في التوجيه، فهو إذ يدير منتدى الرأي، وميدان الفكر، يتعامل مع فرسان الكلمة، وصفوة العقول، حيث هناك مدارس متنوعة، ومشارب مختلفة وربما متعارضة، وكان مدركاً أنه في قيادته كسائس الخيول في الحكمة والصبر، فيربِّتُ على كتف هذا ويهدئه، ويرشد ذاك مع الرفق، وربما يشتد حزمه مع أحدهم، في حين تراه كأنه يهادن الآخر ويفوّتُ فرصة التوتر، وكثيراً يفض الاشتباكات المعتادة في الرأي بين الأعضاء، فتنصرف الجياد عزيزة كريمة.

ولم أسمع طيلة عضويتي في المجلس تذمراً أو شكوى من أي عضو أياً كانت منطلقاته الفكرية، ومهما اختلفَ مع الشيخ صالح في الراي، فقد كان يحترم الجميع وجميعهم يقدرونه، عادلاً في إدارته، يعطي كل ذي حق حقه، وكان في سبيل ذلك صبوراً رقيقاً، وكم أرسلت إليه (قُصاصات) تعليقاً على بعض المداخلات المزعجة- أدعو له فيها بالصبر على سماع القول الثقيل، أو الاستطراد الطويل من بعض الأعضاء، فيرد بابتسامة رقيقة، وأحياناً يجيبني- كتابة- بأن زميلك المتحدث له الحق في قول ما يشاء، وعلينا أن نتحمل، فالمجلس للجميع!

وكثيرة هي القضايا المثيرة للجدل التي اختلف عليها الأعضاء وانقسموا حولها بين محافظين ومجددين، فاذا به تارة يحاول التوفيق إن لمح اختلافاً في الألفاظ وتقارباً في الجوهر، وتارة يفتح باب المجلس للإعلام ووسائله لرصد

المناقشات المثارة، فيجلي للرأي العام حقيقة أن المجلس لا يقبع داخل أسوار عالية تفصله عن الناس، بل هو يعيش هموم المجتمع، ويمثل مدارسه الفكرية، التي تطرح كل منها وجهة نظرها في قضايا الوطن ومستقبله.

وقد أدرك فضيلته أهمية الإعلام، و أثره في الرقابة على الأجهزة الحكومية ودوره في التأثير على تلك الجهات، كما أدرك أهميته في تجسير التواصل بين الأعضاء والمواطنين، الذين مرَّ عليهم زمان، وهم لا يعرفون ماذا يحدث داخل أروقة هذا المجلس!

حينئذٍ خطا بالمجلس خطوة واسعة جريئة، حين تحمل مسؤولية فتح أبواب المجلس للمرة الأولى أمام وسائل الإعلام، فرأينا التلفزيون يعرض كل أسبوع جانباً من جلسات المجلس، وتنامى الانفتاح الإعلامي، فإذا بالمصورين والصحفيين يشاركون الأعضاء حضور الجلسات ويرصدون مناقشاتهم ويبثون مداخلاتهم الرسمية وتعليقاتهم الجانبية، ويعرضون في صحفهم جانباً من الإثارة التي لا يبثها التلفزيون الرسمي، وها هو ذا يغض الطرف عما تثيره تلك الصحف، وما تتداوله القنوات الإعلامية المختلفة، وكأنه يقول: (لم آمر بها ولم تسؤني) فقد كان يريد لهذا المجلس أكبر قدر من التفاعل والتأثير والتأثر من خلال ذلك الوهج الإعلامي.

وأذكر أنني تقدمت بمداخلة مطولة في إحدى الجلسات التي كان يحضرها وزير الثقافة والإعلام، وبثها التلفزيون السعودي، وكان ذلك بعد أحداث

(٩/١١)؛ حيث ناقشتُ الوزيرَ في الجهود الإعلامية في الدفاع عن ثوابت الأمة وقيمها، وتطرقت إلى السؤال الاستنكاري عن كيفية أن تنبري قناة فضائية محدودة الإمكانات- هي المستقلة- للذود عن فكر الأمة وأعلامها، وتخصيص حلقات منهجية عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب- رحمه الله- على الرغم من أن التلفزيون السعودي الرسمي أولى بذلك وأقدر عليه!!

وقد أزعج الوزير المسؤول- آنذاك- ما قام به التلفزيون من بث المداخلة، وألقى باللوم على المسؤولين الذين سمحوا بإذاعة الآراء التي تنتقد الوزارة، لكنهم فاجؤوه بأن تلك هي رغبة مجلس الشورى، فهو الذي يعدّ بمعرفته دون تدخل من أحد (المادة الإعلامية) التي تذاع تلفزيونياً على مسؤوليته!.

هكذا أراد الشيخ ابن حميد أن يوظف الإعلام لخدمة القضايا التي يناقشها، فيزرع المهابة في المجلس وقضاياه في نفوس المسؤولين.

وفي خطوة أخرى لا تقل عن خطوة الإعلام أهمية، استُحدِثَت آليةٌ جديدة على نظام المجلس مع دورته الرابعة، باركها الشيخ ابن حميد ودعمها، هذه الآلية بدأت تلمع تحت قبة المجلس بين الحين والحين، لكنها على يده صارت منهجاً ومساراً للمجلس، حين كان يتطرق الأعضاء إلى الحديث عن الشأن العام في بداية كل جلسة، فيدلون بآرائهم و طموحاتهم فيما يخص المجتمع، ويقدمون الاقتراحات والحلول، وصارت بعض الموضوعات لأهميتها تشكل لها اللجان التي تتدارسها، وتقدم تقاريرها؛ تلك التقارير التي صار المجلس

يرفعها لولي الأمر، بصفتها مشورة ورأياً، أو تتحول إلى مشروع نظام من خلال المادة الثالثة والعشرين التي نصت على أن: (لمجلس الشورى اقتراح مشروع نظام جديد، أو اقتراح تعديل نظام نافذ، ودراسة ذلك في المجلس، وعلى رئيس مجلس الشورى رفع ما يقرره المجلس للملك).

وهكذا تقدم الشورى خطوة ثانية إلى الأمام؛ فبعد أن كان دوره يقتصر على مناقشة ما يأتي من موضوعات من ولي الأمر، أصبحت هناك من الموضوعات ما تناقش أولاً في المجلس، ثم ترفع إلى ولي الأمر.

ومما لا شك فيه أن الإنجازات التي تحققت في عهد ابن حميد ترجع- إضافة إلى حسه الوطني- إلى ما يتمتع به من تواصل اجتماعي رفيع؛ ففي المسجد الحرام هو الخطيب والإمام، وفي حلقات الدرس هو المعلم والمحاضر، وهو يشارك المجتمع والناس في مناسباتهم، ويدرك همومهم وتطلعاتهم، ويتصل بالقيادة السياسية ويعي ما تصبو إليه، وربما اشترك في لجان خاصة عند ولي الأمر، فها هو ذا يقف في موقف وسط؛ ليمثل جسراً بين الدولة والمجتمع، وهو يسمع الكثير من آراء الناس في الشورى، وما يرجونه منه ويشاطرهم الرأي، ويعرف حدود الشورى وظروف الدولة ويشاطرهم المسؤولية؛ ومن ثم كان ابن حميد يعرف متى يقتنص الفرصة لصالح الشورى وكيف يقتنص الصلاحيات؟!

وقد صحبته في رحلتين لأذربيجان وإيران في المدة ما بين ٤/٥ إلى ١٤٢٤٣/٤/١٣هـ.

وحين سافرنا مع الدكتور صالح بن حميد؛ وجدناه شيخاً في الاسفار، وسيداً في الترحال، ومنذ إقلاع الطائرة من الرياض إلى باكو، وخلال الساعات الثلاث التي استغرقتها الرحلة، كان الشيخ ندياً في القول مرحاً في التعامل، وطوال الرحلة كان حسن الصحبة كريم المعشر، نلتقي في جناحه باستمرار، فنسمع جواهر القول وطيب الحديث، ننهل من علمه ونخجل من تواضعه.

وكما قال الدكتور عائض الردادي عن رحلته التي صحب فيها الشيخ إلى إيسلندا: (كانت صحبة الشيخ الرئيس د. صالح بن حميد مميزة، كما يتحدث زملاء سابقون صحبوه في زيارات سابقة، بفتح الشيخ جناحه في السكن مجلساً يجتمع فيه مع مرافقيه، ولا تغيب عنه القهوة العربية ورفيقاها التمر والشاي السعودي بنوعيه الاحمر والأخضر، وكان الشيخ حفيّاً بمرافقيه، ويدعوهم للحضور في أي وقت عدا النوم، وكان يجلس في المجلس وحوله بعض الكتب التي اصطحبها، وفيه كنا نؤدي الصلوات جماعة، ولا يغيب عن الشيخ لطفه وحفاوته المعتادة) [1].

لقد كان الشيخ صالح- حفظه الله- امتداداً طبيعياً لوالده الشيخ عبدالله بن حميد- رحمه الله- فهو من العلماء الربانيين، صفاءَ نفسٍ، وصدقَ حديثٍ، ووضوح رأيٍ.

ومع أن الشورى ترتبطُ بالسياسةِ، وتتطلب دهاءَ الساسةِ ومراوغاتهم،

(١) رحلة ٣ أيام في إيسلندا (عجائب طبيعة وطبائع بشر)، د. عائض الردادي.

فإنه اجتاز الموقف بنجاح، واستطاع أن يثبت أن العلماء يستطيعون التعامل مع الحياة وفق فقه الواقع، لا فقه التنازلات.

إنتهى.

رسائل إلى الشيخ الدكتور صالح بن حميد:

الشيخ الدكتور صالح بن شيخنا عبدالله بن حميد رجل دولة ورجل علم، ورجل منصب، ومع ذلك هو رجل اجتماع ومشاركة أيجابية في بحث المسائل المهمة لعامة الناس لذلك وردت إليه رسائل عديدة لا سبيل إلى ذكرها كلها، وإنما أذكر أنموذجاً منها:

صاحب المعالي رئيس المجلس الأعلى للقضاء – حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... أما بعد:-

يطيب لي أن أرفع لمعاليكم- حفظكم الله- الشكر الجزيل على ما شهده جهاز القضاء من تعزيز لمكانته وتطوير متزن لجهازه وما نشاهده من حرص معاليكم الكبير على هذا الجهاز الهام وقضاته، وإن ما حصل لهذا الجهاز من نقلة كبيرة منذ تولي معاليكم رئاسته رغم قصرها إنما يدل – إن شاء الله- على إخلاصكم وتوفيق الله لكم للإرتقاء بجهاز القضاء في هذه البلاد والذي يُميزه عن البلاد الأخرى بأن مرجعيته في أحكامه لكتاب الله سبحانه وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم، وإن من آخر الإنجازات على يد معاليكم ما شهده الملتقى الأول للقضاة من نجاح كبير في تنظيمه ومكان انعقاده ومحاور النقاش

حول موضوع اللقاء وما حصل فيه من تفاعل كبير بين جميع المشاركين فيه، ولا شك أن هذا الملتقى نقلة كبيرة ومتميزة في عمل هذا الجهاز.

سائلاً المولى عز وجل أن يجزيكم خير الجزاء وأن يضاعف لكم الأجر والثواب إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

قاضي المحكمة العامة بمحافظة ثادق

د/ عبدالمجيد بن راشد العبود

معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن عبدالله بن حميد حفظه الله

رئيس المجلس الأعلى للقضاء وخطيب المسجد الحرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أسال الله تعالى أن تكونوا بخير حال وعافية.. وبعد.

لقد استمعت إلى خطبتكم الغراء يوم العيد المبارك التي انتصرتم فيها للخير وللعمل الخيري والتطوعي ودافعتم عنه دفاعاً مجيداً، وبينتم غاياته ومجالاته وأنه سمة من سمات المسلم، ومن أوسع سبل المنافسة والمسارعة في الخيرات وسد الحاجات وتخفيف المعاناة، وأشرتم إلى أثره في تهذيب النزعات السلبية والمادية للنفس، ونشر الأمن ووحدة الأمة وسيادة الدولة وقوتها واستقرارها وتنمية مقدراتها، وأوضحتم الآثار السلبية الخطيرة لإغفال هذا العمل وأن هذا الإغفال يمس حاجات المحتاجين ويحرم الناس من تحقيق رغباتهم وتطلعاتهم للمثل العليا في البذل والعطاء، وأشرتم في ختامها إلى وجوب الوقوف الحازم أمام الهجمة الظالمة وحملات التشويه التي يواجهها العمل الخيري بدافع محاربة الإرهاب والتداعيات المؤسفة ذات الصلة بهذا الفهم الخاطئ.

ولقد سرنا حقاً إعادة طرقكم لهذا الموضوع، نظراً لما لمعاليكم من تقدير وقبول عند الناس، ولما لخطبة إمام الحرم خاصة في يوم العيد من أثر واعتبار. نسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتكم، ولقد زادنا اعتداداً بها أمور

عدة من بينها صدق اللهجة البادي على لسان معاليكم الذي عبر عنه موقفكم تجاه هذه القضية، وكونها تلقى على مسمع من ولاة الأمر رعاهم الله ووفقهم لكل خير، وكونها أيضاً تنقل للعالم كله نقلاً حياً.

وأود أن أؤكد أن لكلماتكم الصادقة أثراً كبيراً في نفوس العاملين في القطاع الخيري، فهي تشد من أزرهم، وتشجعهم على بذل المزيد من الخير للناس، وتطمئنهم إلى أنهم ليسوا وحدهم في الميدان كما أنها ستسهم في إزالة كثير من الشكوك والأوهام التي يبثها الأعداء وبعض ضعاف النفوس في المجتمع والساحة الدولية حول العمل الخيري الإسلامي وأفراده ومؤسساته.

صاحب المعالي: أسأل الله أن يجعلكم مفاتيح للخير، مغاليق للشر، وأن يكلل مساعيكم بالتوفيق والنجاح، وأن يجزيكم عن المسلمين والناس أجمعين خير الجزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

الأمين العام
للندوة العالمية للشباب الإسلامي
د: صالح بن سليمان الوهيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

نيويورك ١٩ ذو الحجة ١٤١٦هـ- ٦ مايو ١٩٩٦م.

حضرة صاحب المعالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد حفظه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو مجلس الشورى السعودي والعالم الإسلامي العظيم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فقد قرأت بالصحف العربية بعض المقاطع من خطبكم الرائعة أمام أكثر من مليون حاج وإنني أرفع شكري وتقديري العظيم لهذه الخطبة الرائعة التي وضعت الحقيقة أمام المسلمين بشأن هذا السلام ا لمزيف بين إسرائيل الدولة الإستعمارية المعتدية على الأرض الإسلامية والأماكن المقدسة الإسلامية والحقوق الإسلامية، وإنني أحيي معاليكم لهذه الشجاعة والإيمان الذي من شأنه أن يوقظ الأمة العربية النائمة الغافلة عن الخطر الإسرائيلي الآن والذي سيزيد في المستقبل لأن إسرائيل تريد السيطرة والهيمنة على الأمة العربية واستباحة الأراضي العربية والأماكن الإسلامية المقدسة وهدم المسجد الأقصى المبارك.

ويشرفني أن أرفع لمعاليكم المذكرة التي أرسلتها إلى رؤساء الدول العربية عن هذا الموشوع ومذكرة قديمة أخرى عن نفس الموضوع وأرجو معاليكم أن تستمروا في خطبكم الرائعة لنصرة الإسلام والمسلمين.

وأرجو التكرم بإرسال نص خطبتكم العظيمة لكي أوزعها على جميع المساجد في الولايات المتحدة وكندا.

وتفضلوا بقبول عظيم تحياتي واحترامي وشكري

عيسى نخلة

المحامي

ممثل الهيئة العربية العليا لفلسطين في نيويورك

وهذه بعض القصائد الشعرية في الشيخ الدكتور صالح بن حميد:

قال مشوح بن عبدالله المشوح من أهل بريدة في الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد:

أركب الشذا أم سنا الكائنات ... أم الحرف أقبل كالصافنات

أم المجد لملم أطرافه ... ونسقها بعد طول الشتات

وجاء إليك يروض إباءً ... لينهل منك بديع الصفات

ويرشف منك جميل المعاني ... ويدفع عنك حديث الوشاة

أيا ابن الهدى وسليل المعالي ... ويا شامةً في جبين الحياة

سرى نحوك الشعر في موكب ... يعانق فيك سماء السمات

كما البدر أنت ومثل الصباح ... إذا انسل من رحم الظلمات

طلعت علينا فأشرق نورٌ ... لقينا به أجمل الأمنيات

وفجر من الحب يحضن روح الـ ... مدى ويسوق السنا للسراة

عمدت لمدحك حتى عييت ... فأفحم شعري وحارت دواتي

وماذا أقولُ؟! وبعض معينكَ ... يغرق بحراً من الكلمات

عرفناكَ بين البرايا إماماً ... يهز بكاه جبال السَّراة

وعلماً يسير على الأرض هوناً ... على قدمي ثقة وثبات
ومنبر حق إذا قام أصغى الـ ... أنام كأنهمو في صلاة
فتغرس فيهم بذور الإخاء ... وغرسك أزكى من السنبلات
وما كان إلا رحيق حديث ... شهيٌ كما الشهد في النحلات
لك الله هل ثم في الكون نورٌ ... ولم تلق منه خيوط الصلات
لك الله هل وطيء الأرض حسنٌ ... ولم يتغمدك بالنفحات
لك الله كم جادك الله علماً ... وكم نلت منه جميل الهبات
حباك من القول سحراً حلالاً ... ومجداً سنياً بعيد الفلاة
وروحاً من الحب تنبض عطفاً ... وتحنو على الناس كالأمهات
سرت نحوها من حشانا قلوبٌ ... أتتك لتشكو جحيم البغاة
أغاروا علينا بكل قبيح ... وساقوا إلينا أخس الصفات
وجابوا إلينا الخنا بأياد ... تهدهدنا في سرير السبات
ينادوننا أن نخلي هدانا ... ونشرع أشرعة للشتات
وكم أطلقوا في نسانا سهاماً ... فردت يداك سهام العداة

ألا أيها الجدول المشرئب ... إلى خافق ناصع كالصفاة
إلى ابن حميد تعال نهني ... ونمطر نهراً من الدعوات
إذا أنا لم أرو بالشعر حراً ... فلا خير في ولا في حياتي

١١/٨/٤٢٤١هـ

تحية عرفان واحتفاء:

مهداءة لصاحب الفضيلة الرئيس الأعلى لمجلس القضاء الأعلى:

أشرقت جازان وافتر القضاء ... عن أسارير ابتهاج وصفاء
وازدهت صامطة فواحة ... بأريج العطر في ثوب احتفاء
برئيس المجلس الأعلى الذي ... أثلج الصدر ووافى للعطاء
صالح بن احميد والمجد زها ... برجال العلم أصحاب السناء
صوته أشذى الدنا في حرم ... وبيان القول في خط القضاء
وولى الأمر أسدى موطني ... مَنْ له يحيا بحب واصطفاء
باختيار ثاقب عينه ... ودعا الله له بالارتقاء
هذه (صامطة) يا شيخنا ترنو لكم ... وعليها العبءَ قد شدّ العناء
ناسها كثير مداها واسع ... وعلى المحكمة فصل القضاء
ما لها بعد الإله غيركم ... تغدقوا الإمداد من أجل البناء
وجزى الخير لكم حالاً بها ... بارك الخطو لكم رب السماء
مرحباً أهلاً وسهلاً بكموا ... في قلوب فرحت هذا اللقاء
وعلى الرحب وفي أعيننا ... ولكم منا جزيل في الدعاء

علي بن إبراهيم الحملي

١٤٣١/١/١٣هـ

قصيدة مهداة إلى سماحة رئيس المجلس الأعلى للقضاء فضيلة الشيخ صالح بن الشيخ عبدالله بن حميد بمناسبة زيارته التفقدية للمحكمة الجزئية بالرياض:

مَرْحَباً مَرحَباً وأَهْلاً وسهلاً ... ما تَضوَّعَ النَّفْلُ في الرُّبَى والوِهَادِ

واغْتَدَى الطَيرُ في الصَّباح وأزْجَى ... لحْنَه الفذَّ بَيْنَ وَرْدٍ وكَادي

زَارنَا الشيخُ صَالحُ بنُ حُمَيد ... حُبُّهُ حَلَّ في صَميم الفُؤَاد

تلكَ أَحْلى المُنَى فَرددْ دُعَاءً ... وفَّقَ الله شَيخنَا للسَّدَاد

حَالُنَا اليومَ في حُبُور وبُشْرَى ... باجْتمَاع يَزيدُ حُسْنَ الوِدَاد

شيخنُا صَالحٌ نَتَاجٌ لشيخ ... كَانَ رَمزاً للعَدْل بَين العبَاد

مَعْلَماً لقَضَاء في كُلِّ أَمْر ... باتْبَاع للمُصْطَفى خَيرهَاد

يَرْحم الله شَيخنَا ابنَ حُمَيْد ... يُعْرفُ الزَرْعُ عنْدَ وقْت الحَصَاد

أنْتَ يا شَيخُ قَدْ عرفنَاكَ بَراً ... تَبتغي الخَيرَ دَائماً بازْدِيَاد

نَاصراً للقُضَاة في كُلِّ شأن ... تَبتغي الأَجْرَ عنْدَ رَبِّ العبَاد

مُنصفَ الكُلِّ للعَدالة أَهْلٌ ... شَيخُنَا صَالحٌ رفيعُ العمَاد

أسْأَلُ الله أنْ يَمُنَّ بعفْو ... واجْتيَاز لهَوْل يَوم المَعَاد

فَازَ والله مَنْ تَحلَّى بصَبْر ... جَاهَدَ النَفْسَ عَن صُنوف الفَسَاد

والتَّفَاني في نُصْرة الحقِّ دوماً ... والتَّواصي عَلَى الهُدَى والرَّشَاد

القاضي بالمحكمة الجزئية بالرياض

إبراهيم بن محمد الحميدان

١٤٣٠/٦/١٦هـ

صاحب المعالي الأستاذ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد رئيس مجلس الشورى

وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأدعو الله تعالى لكم مزيد العون والتوفيق والسداد

فقد سمعنا عن مواقفكم المشرفة تجاه قضايا الأمة في مجلس الشورى، وفي الحرم الشريف من خلال خطبكم، حيث كان لها أثر في صد دعاة التغريب.

والشيء من معدنه لا يستغرب، فجميع الناس يعرفون مواقف سماحة الوالد الشيخ العلامة عبدالله بن حميد رحمه الله ورفع قدره في عليين.. آمين.

وإننا إذ نشكر لكم تلك المواقف نرجو الله تعالى أن يتقبلها منكم، وأن يوفقكم لما فيه مصلحة البلاد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دعاة مركز الدعوة والإرشاد بالدمام

عبدالرحمن بن محمد الهرفي، عبدالرحمن بن محمد الشنفري، حمد بن محمد الزيدان

ابن حميد يجيد الإنكليزية ويفهم الفارسية:

في سابقة جديدة ينتظم المسؤول الاول في واحدة من أكبر الهيئات السعودية في صف تعليمي وهو على رأس العمل، إذْ يجلس رئيس مجلس الشورى الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد وعدد من طاقمه الإداري في المجلس على مقاعد دراسية، وذلك لتلقي بعض المحاضرات والدروس التي تعرض تجارب عالمية في شأن العمل البرلماني والرقابي والتشريعي والاستشاري لتطوير أعمال مجلس الشورى ودوره الرقابي.

يأتي ذلك وفقاً لتعميم داخلي أصدره رئيس المجلس، بعد التباحث مع عدد من البيوت الاستشارية العالمية التي تملك الخبرة في مجال الأعمال البرلمانية، للاستفادة منها في نقل أفضل التجارب العالمية والممارسات البرلمانية لتطوير أعمال المجلس وتحديث عملياته.

ومن المنتظر أن ينتظم رئيس المجلس وأعضاؤه في ورشتي عمل تقيمهما شركتان عالميتان للاستشارات الإدارية، هما (ماكينزي آند كومباني) و(بوز آلن هاملتون) وذلك يومي ١٦ و٢٣ حزيران (يونيو) المقبل، في مقر المجلس في الرياض، وذلك بعد قيام مسؤولي الشركتين العالميتين بزيارات للمجلس، واطلعوا خلالها عن كثب على آلية سير أعمال المجلس، وبحثوا مع الأعضاء ومديري الإدارات أبرز التحديات والمشكلات التي يواجهها المجلس، وتستعرض ورشتا العمل تجارب عالمية مختارة، ويقدمها مسؤولو الشركتين، في مجال

العمل البرلماني والرقابي والتشريعي والاستشاري، كما سيتم البحث في أولويات تطوير العمل تحت قبة المجلس والطموحات والخطوات المستقبلية.

ويتمتع الدكتور ابن حميد بخبرات واسعة في مجالات عدة، إضافة إلى كونه أحد أهم أركان هيئة كبار العلماء، وهي أعلى مؤسسة دينية في البلاد، وخطيباً للمسجد الحرام في مكة المكرمة، إلى جانب إمامه باللغة الفارسية إبان دراسته سنة واحدة في مجال العلوم الطبية في إيران في السبعينات الميلادية من القرن الماضي، إلى جانب تصحيحه لمترجمي اللغة الإنكليزية في لقاءاته بالمسؤولين الأجانب والسفراء الذين يزورون مجلس الشورى باستمرار.

ويلاحظ المتابعون لسير أعمال المجلس انفتاحاً كبيراً من رئيسه ابن حميد، على آراء عدد من أعضائه التي قد لا يؤيدها استناداً إلى خلفيته الشرعية، لكنه يحتكم في آخر المداولات إلى قانونية الطرح ورأي غالبية الأعضاء وأصواتهم المؤيدة أو المعارضة، كما يفاجئ ابن حميد، بين الفينة والأخرى زوار المجلس، خصوصاً الأجانب منهم، بأريحية وتفهم كبيرين أثناء حواراته معهم عن مواضيع ساخنة، كوضع المرأة في المملكة وانتخاب أعضاء المجلس.

الدكتور أحمد بن الشيخ عبدالله بن حميد:

قال صاحب كتاب (القضاء والقضاة في المملكة العربية السعودية) في ترجمة الدكتور أحمد بن الشيخ عبدالله بن حميد:

زميلنا وشيخنا وأستاذنا من مواليد ١٣٧٠هـ[١]، بالقصيم تخرج من كلية الشريعة بالرياض عام ٩٣/٩٤هـ وكان الأول على دفعته يمتاز بقوة الحفظ وبعد النظر والأدب الجم وقور كريم الخلق محب للخير والصلاح من صغره استفاد من والده استفادة عظيمة حيث لازمه مدة طويلة، وكان محل إعجاب وتقدير شيوخه ومعلميه تنبأوا فيه النجابة، أكمل الدراسات العليا وحصل على الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بمكة المكرمة.

عمل مديراً لمركز الدراسات العليا الإسلامية المسائية ووكيلاً لكلية الشريعة لفترة واحدة ويعمل الآن رئيساً لقسم الدراسات العليا الشرعية أشرف وناقش العديد من الرسائل العلمية وقام بمناقشة بعض الرسائل خارج الجامعة له مشاركات في بعض المؤتمرات والدورات في الداخل والخارج له: القواعد لأبي عبدالله المقري وبعض البحوث التي لا تزال مخطوطة قام بالتدريس بالحرم المكي الشريف مقابل الركن اليماني.

(١) الصحيح أن ولادته كانت في شعبان عام ١٣٧٢هـ، وقد قيدتها بنفسي.

أسرة الشيخ عبدالله بن حميد:

أسرة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد بمعنى أقاربه من أبناء عمه الذين يجمعه بهم اسم (آل حميد) أو الحميد عددهم قليل جداً، فكأنما لسان حالها ينشد مع الشاعر:

تعيرنا أننا قليل عديدنا ... فقلت لها: إن الكرام قليل

فلم أعرف من هذه الأسرة الكريمة إلاَّ شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد الذي ألفت هذا الكتاب في سيرته وابن أخيه عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد، وقد سمي على اسم والده، لأن والده مات وهو حمل في بطن أمه فسمي على اسمه.

ولكن الله سبحانه وتعالى قد عوض الأسرة خيراً كثيراً من الأولاد من بنين وبنات فشيخنا خلف ثمانية أبناء وأربع بنات، وابن أخيه عبدالعزيز رزق بأبناء وبنات.

وقد تكلمت فيما سبق على أبناء شيخنا وبناته.

أما صديقنا ابن أخيه الشيخ عبدالعزيز فأن له تسعة أبناء هم:

محمد- رحمه الله- توفي في أمريكا وهو يحضر لدرجة الدكتوراه في التربية وعلم النفس.

وعبدالرحمن حصل على الماجستير من أمريكا في الاقتصاد وبقي يعمل هناك.

أما صالح فأستاذ في كلية المعلمين في علم النفس.

وأحمد: مهندس في جامعة أم القرى.

وفهد: أستاذ في إحدى المدارس الحكومية. ثم انتقل اخيراً إلى الكلية التقنية استاذاً فيها .

وكذلك عبدالوهاب أستاذ ومدير مدرسة حكومية.

وكذلك عبدالملك أستاذ في إحدى المدارس الحكومية.

أما بناته:

فالجوهرة- رحمها الله- كانت في معهد المعلمات.

ومنيرة: معلمة وإدارية في إحدى المدارس الحكومية متخصصة في الجغرافيا.

وزينب: معلمة ووكيلة مدرسة حكومية.

ومها: معلمة ووكيلة مدرسة حكومية.

وقد غرس في أبنائه وبناته حب العلم والإطلاع والتحصيل ويدرك ذلك من يجالسهم ويلمس ما يتمتعون به من سعة الإطلاع ومشاركة في كثير من العلوم وسعة الأفق والثقافة.

نبذة في ترجمة عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد:

هو عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن حميد.

من مواليد الرياض عام ١٣٤٨هـ.

توفي والده وهو في بطن أمه فسمي باسم أبيه وقد تربى في كنف جدته لأمه سارة بنت ناصر المسردي زوجة جده محمد بن عمر بن بكر رحمهم الله جميعاً.

وعندمابلغ السابعة التحق بالكتاتيب عند محمد بن سنان وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره ذهب مع عمه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد إلى المجمعة عندما عين الشيخ قاضياً في سدير، ودخل مدرسة المجمعة الحكومية.

وبعد سنتين ذهب مع عمه الشيخ عبدالله بن حميد إلى القصيم بعد أن عين الشيخ فيها قاضياً وأكمل دراسته في المدرسة الفيصلية، وكان مديرها آنذاك الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم، و بعده تولى إدارة المدرسة الشيخ ناصر العمري، وحينما أنهى السنة السادسة عين مدرساً في نفس المدرسة لمدة أربع سنوات.

وتزوج من ابنة الشيخ عبدالله بن إبراهيم أبا بطين عام ١٣٧٠هـ، وكان مكث قبل ذلك في بيت عمه الشيخ عبدالله بن حميد تحت رعاية زوجته الصالحة

البارة نورة بنت محمد الوهيبي- رحمها الله- وقد كانت حافظة لكتاب الله وتقرأ على الشيخ عبدالله أمهات الكتب غفر الله لها.

وفي عام ١٣٧٢هـ ذهب مع عمه إلى الحجاز في مهمة شرعية قضائية، وكانت مع الشيخ عبدالله.

وجدت بخط الأستاذ عبدالعزيز المذكور، كان معنا الشيخ محمد بن ناصر العبودي آنذاك، وكان من تلاميذ وأصدقاء الشيخ عبدالله بن حميد الخاصين الذين يستشيرهم في كثير من الأمور.

وبعد تمام السنة رجع الشيخ ومرافقوه إلى بريدة ثم انتقل عبدالعزيز إلى بيتٍ مستقل قريبٍ من منزل الشيخ.

وحين كانوا في الحجاز في عام ١٣٧٢هـ جاءت برقية تبشر الشيخ محمد العبودي بمولود أسماه ناصراً، وبعدها بأيام أتت برقية تبشر بمولود للأستاذ عبدالعزيز أسماه محمداً وبعدها بأيام رزق الشيخ عبدالله بن حميد بمولود أسماه أحمد.

وعندما فتحت المحكمة الشرعية في بريدة، وعين الشيخ عبدالله بن حميد رئيساً لها انتقل عبدالعزيز من التدريس إليها موظفاً، وبعد مدة طلب الشيخ عبدالله التقاعد من القضاء وعين الشيخ صالح الخريصي بدلاً عنه، وبقي الأستاذ عبدالعزيز بن حميد في عمله في المحكمة مديراً لبيت المال.

وفي عام ١٣٨٥هـ انتقل إلى مكة المكرمة مع عمه الشيخ/ عبدالله بن حميد رئيس الإشراف الديني في المسجد الحرام، وكان اسم عمله ضمن المراقبين في الحرم الشريف ثم تقاعد في عام ١٤٠٨هـ، هذا عن تدرجه في الأعمال الوظيفية.

وكان الأستاذ عبدالعزيز- وفقه الله- محباً للعلم ونهماً في القراءة المتنوعة جداً، لا أعرف له نظيراً في زمنه في كثرة القراءة ومحبته للكتب والمجلات.

فهو قرأ من الكتب الدينية والتاريخية مطولات وموسوعات ولاسيما أن التصاقه بعمه شيخنا الشيخ/ عبدالله بن محمد بن حميد أتاح له الإطلاع على أمهات الكتب والمصادر فقرأ في كتب التفسير والتاريخ كتاريخ ابن كثير والطبري وحياة الحيوان وجواهر الأدب والقصص الشعبي.

هذا فضلاً عن كتب الأدب والقصص، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني.

كما كان له إطلاع مبكر جداً على المجلات والصحف في وقت كان الإطلاع عليها لدى بعض طلبة العلم أمراً غير مستحسن.

فقرأ في الصحف والمجلات السعودية في أوائل صدورها كالمدينة والبلاد ومجلة الحج والمنهل والصحف والمجلات المصرية واللبنانية ومجلة الهلال، وبعض رواياتها وروايات اقرأ المصرية وسلسلة المختار من ريدرزدا يجست كما

قرا في المجلات الإسلامية كالأزهر وشباب محمد، و الهدي النبوي والتمدن الإسلامي، والمجلات الطبية كمجلة طبيبك التي يصدرها الدكتور صبري قباني ومجلة العربي، وله عناية خاصة ومبكرة بالثقافة الصحية والطبية.

ولذلك يتمتع بثقافة طبية واسعة ومعرفة بالأمراض والأدوية والفيتامينات والأغذية وما يؤثر على الصحة سلباً وإيجاباً.

ويعرف بأنه واصل رحمه متواصل مع أقاربه متفقد لأحوالهم وهو مع تقدم سنه، فهو الآن في ١٤٣١هـ في الثانية والثمانين يتواصل معهم من خلال الاتصال الهاتفي المنتظم سواء الأقارب في الرياض أو القصيم أو المقيمين معه في مكة المكرمة، وهو يتواصل مع الكبير ومع الصغير حتى مع الأحفاد والأسباط فهو لبق حسن الحديث دقيق العناية رقيق المشاعر.

عودة الشيخ عبدالله بن حميد إلى بريدة:

في أثناء سفر الشيخ ابن حميد إلى الرياض ترك الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين قضاء بريدة بسبب أشياء أرجعها بعض العارفين بالأمور إلى عدم انتباهه إلى مكائد بعض الناس ولطبيعة فيه هي سلامة القلب، وأنه يفترض الصدق وحسن القصد في بعض الناس الذين ليسوا كذلك.

وقيل: إن أعظم من سعى في عزله من زعماء بريدة تلاميذ الشيخ إبراهيم بن جاسر وأحدهم كان طالب علم مع كونه تاجراً يسافر في تجارته إلى العراق ويطيل السفر هناك، كما كان من بين تجارته الاتجار بالإبل.

ولكن ذلك ليس هو السبب الوحيد في ترك الشيخ محمد بن حسين للقضاء.

وربما كان الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله عندما فكر بتعيين الشيخ عبدالله بن حميد قاضياً في بريدة قد فكر في اعفاء الشيخ محمد بن حسين من قضاء بريدة فأصدر أمره المطاع إلى شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد بتعيينه قاضياً على بريدة وتوابعها.

وبريدة ذات أهمية كبيرة آنذاك أي في عام ١٣٦٣هـ فهي كانت في ذلك الوقت أكبر مدينة في نجد فسكانها أكثر من سكان الرياض، كما قرر ذلك المؤلفون الذين كتبوا عن المنطقة مثل حافظ وهبة في كتابه (خمسون عاماً في جزيرة العرب) وفؤاد حمزة في كتابه (قلب جزيرة العرب) إذْ كانوا يزيدون عدد سكان بريدة عن عدد سكان الرياض بنحو خمسة آلاف ساكن.

وينبغي الانتباه إلى أن ذلك كان من باب التقدير وليس من باب الإحصاء الرسمي الدقيق ولكنه يصار إليه عند عدم الإحصاء الدقيق.

غير أن أهمية مدينة بريدة آنذاك لا تقتصر على عدد سكانها، بل على مركزها التجاري لكونها نقطة التقاء القوافل والأفراد من أهل البادية الذين يبيعون فيها الإبل والغنم، ويشترون ما يشاؤون، ولأهل تجارة المواشي من الحضر الذين كانوا يجمعون الإبل ويتاجرون بها من طريق الذهاب بها إلى الشام وفلسطين ومصر، وكذلك عن طريق الاتجار أيضاً مع العراق.

ولشيء مهم آخر وهي أن منطقة القصيم التي لا تعتبر منطقة واسعة المساحة هي غنية بالزراعة وبخاصة إنتاج التمور والحبوب.

وأهم من ذلك ما هو في أذهان بعض الناس من كون بريدة والقصيم عامة إبان الصراع بين الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله لاستعادة ملك أبائه وأجداده وبين عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي يدافع عما ورثه من إمارة آل رشيد فكان الناس سواء كانوا من الحكام أو المحكومين يعتبرون الاستيلاء على القصيم هو أهم شيء في تثبيت الملك في نجد، وأن من يسيطر عليه فإنه يسيطر على نجد.

وهذا أمر كاد يضمحل من أذهان الناس بعد أن ا ستقر الملك للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، حتى فتح الله على يديه الحجاز وبلغت ممتلكاته حدود اليمن وعُمان.

وانتهى عصر آل رشيد وحكمهم فنسي بعض الناس الذين لا يحلو لهم أن يراجعوا التاريخ ذلك.

ولشيء آخر في بريدة وهي أنها في ذلك التاريخ هي المدينة التي خَرَّجت أكبر عدد من المشايخ الذين تولوا القضاء في أنحاء المملكة، في ذلك التاريخ وكلهم من تلاميذ آل سليم، مما يدل على الحيوية العلمية لأهلها في ذلك الوقت.

ويدل أيضاً- إن احتاج الأمر إلى دليل- أنها المدينة الوحيدة التي اختلف طلبة العلم فيها على مسائل علمية لا دخل في ذلك لغير فهم العلم وما ينبغي أن ينتشر في العامة من العلم.

فمنهم آل سليم وتلامذتهم، ومنهم فرقة أخرى وهم المعروفون بأتباع الشيخ إبراهيم بن جاسر، وهناك فرقة ثالثة تنعى على الجميع أنهم تساهلوا في الدين، وهي أقل الفرق عدداً، ولكنها موجودة ذكرت شيئاً من أمرها عندما مر بي الحديث عن بعض المشايخ من بعض الأسر في (معجم أسر بريدة).

لذلك كانت لقضاء بريدة أهمية كبيرة عند الملك عبدالعزيز، و لذلك عرف بثاقب ذهنه وتقديره للأمور التي عرفها في قديم العمل لتوحيد المملكة، وفيما بعد ذلك أنه لا يستقيم قضاء بريدة إلا بشخص عاقل حازم، بل داهية من الدواهي يعرف كيفية التعامل مع الجميع ويعرف كيف يشعر الجميع في بريدة أنهم في القرب على حد سواء، إلا ما يتعلق بالأحكام الشرعية التي ليس فيها مداراة ولا مواربة.

فلم يجد أفضل من الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد لهذه الوظيفة، وهكذا عينه في قضاء بريدة الذي يصح أن يسمى قضاء القصيم- لأن في منطقة القصيم بلداناً عديدة بعضها كبير وبعضها صغير، وفيها هجر من هجر البادية كثيرة فيها أمراء وسكان وليس فيها قضاة، وكلهم أو أكثرهم يراجعون قاضي بريدة فيما يشكل عليهم أو ينقصهم من أمور تتعلق بالدعاوى وسماعها.

والذين يراجعون الشيخ عبدالله بن حميد من القضاة أو طلبة العلم يفعلون ذلك بدافع من طلب الفائدة والإرشاد وليس ذلك بأمر من الحكومة.

كما أن قاضي بريدة هو الذي يرشح في العادة القضاة لمدن منطقة القصيم، إذْ يأخذ الملك عبدالعزيز رأيه في ذلك.

وكان ذلك طيلة عهد الشيخ القاضي عمر بن سليم رحمه الله، بل كان الملك عبدالعزيز كثيراً ما يطلب منه أن يرشح قضاة لمناطق أخرى، وأقرب مثال على ذلك ترشيحه قضاة لمنطة جنوب المملكة التي هي جازان وما حولها فرشح ١٣ منهم قضاة ومرشدون إلى تلك الجهة، وذلك في عام ١٣٥٣هـ وقد حرص الشيخ عمر رحمه الله على أن يكونوا من سائر مدن القصيم وليس من منطقة بريدة وحدها.

بداية طلبي العلم على الشيخ عبدالله بن حميد:

عاد الشيخ إلى بريدة- كما قدمت- قاضياً ومدرساً لطلبة العلم أو على الأصح شيخاً لطلبة العلم، فالشيخ أعم من المدرس، لأنه يرشد الطلاب ويتفقد أحوالهم، ويعمل على ما يساعدهم على طلب العلم ويكون قدوة لهم في ذلك كله وفي غيره من الأفعال الحسنة.

وعندما عاد الشيخ قاضياً لم يؤثر ذلك على دروسه التي كان يقيمها للطلاب وقراءات المشايخ عليه الذين كانوا يقرؤون عليه في الحلق العلمية في المسجد، بل استمر على ذلك فأقبل المزيد من الطلاب على تلقي الدروس منه.

وكنت منهم رغم صغر سني فقد بدأت القراءة عليه في أول شوال عام ١٣٦٣هـ بدأت عليه في الاشتراك بالدرس الفني الذي هو النحو والصرف وهما كانا معتبرين عندنا فناً واحداً.

وفي الفرائض وما يتطلبه ذلك من قسمة التركات من العول وأهم ذلك المناسخات التي هي وفاة أحد المورثين قبل أن تقسم تركة المتوفى، ثم ما يتبعه من المناسخات أيضاً، وبيان ما لكل من يدخلها من الورثة في الصورة الجديدة للمناسخات، لأن كل مسألة تأتي بعد المسألة الأولى يدخلها ورثة مستحقون جدد، فلابد من حساب ما لكل واحد منهم من التركة، وبعض الورثة يرثون مورثاً متأخراً ثم يموتون فيدخل الذين يرثونهم في المناسخات.

أما العول فإنه أهون من ذلك وإن كان لا يفهمه في أول الأمر إلا حذاق

الطلبة، وتعريفه هو ما إذا زادت الأنصباء- جمع نصيب- ونقصت السهام وهي سهم كل مورث من التركة.

وللشيخ درس مهم في النحو ومفردات الإمام أحمد في الفقه الحنبلي بعد صلاة الفجر مباشرة من كل يوم من أيام الأسبوع، عدا يوم الجمعة.

فاستأذنت الشيخ لي في الانضمام إلى هذا الدرس الفني، ولم يكن يعرفني حق المعرفة قبل ذلك، وإنما كان بعض طلبة العلم الذين هم قريبون منه قد أخبروه بأنني من صغار الطلبة، وهذا صحيح فسني هي الثامنة عشرة، ولكنني قد حصلت على معرفة شيء من العلوم الشرعية من قراءاتي السابقة التي ابتدأتها منذ أربع سنوات على الشيخ صالح بن كريديس والشيخ صالح السكيتي والشيخ صالح الخريصي، وكل منهم اسمه صالح وهو صالح كما يدل عليه اسمه.

ولم يكن شيخنا في مثل هذه الحالة على ما كان عليه بعض مشايخنا الذين لا يسمحون لصغار السن بالدراسة عليهم، ويطلبون منهم أن يدرسوا على مشايخ صغار لكي يتأهلوا للدراسة على الشيخ الكبير، بل كان يؤمن وهو على حق باستعداد طالب العلم للطلب، وأن يكون عنده اساس من المعرفة بالعلوم يصلح أن يتم دراسته على الشيخ الكبير.

وهكذا كان.

فقد وافق على أن أقرأ عليه في ذلك الدرس الصباحي المهم في فنين من فنون العلم هما النحو والفقه، والدراسة فيهما هي غيب، اي عن طريق الحفظ لا يجوز للطالب فيهما أن يقرأ من كتاب، وإنما يحدد الشيخ في كل درس أو في أول الدروس الباب أو الأبواب من الكتاب الذي يحفظه الطلبة في اليوم أو الأيام التالية إن كان كثيراً فيحفظه التلاميذ ويقرر الشيخ عليه- حسب تعبيرهم، والمراد من ذلك أنه يتكلم على كل دقيقة وجليلة فيه بالشرح والتعليل، وشيء أهم من ذلك وهو استخراج صور للمسائل غير المذكورة في المتن والشرح إن وجد للكتاب شرح.

ففي النحو يبتكر الشيخ صوراً نحوية يجعلها أمثلة نحوية وهي تعرف عند الطلبة بذلك، ويقول: أعرب يا فلان، فإن أعربها بمعنى ذكر إعرابها صحيحاً، انتقل الشيخ إلى ذكر أمثلة أخرى للذي بعده وقال له: اعرب يا فلان، كذا وكذا.

ولكون الشيخ لا يبصر فإنه يسأل الطالب الذي فرغ من الكلام قائلاً له: من اللي يمينك؟ فيجيب الطالب الذي بجنبه بقوله: أحسن الله إليك، ويعرفه الشيخ من كلامه بهذه الجملة في الغالب، وإذا فرض أنه لم يعرفه كرر عليه السؤال قائلاً: من أنت؟ فيقول: فلان بن فلان، فيطرح عليه التمرين الذي يراه مناسباً لفهمه، لأنه يعرف مقدار أفهام طلبته، ومدى قوة مداركهم.

ويعتبر بعض الطلبة أن قول الشيخ له في درس الفرائض: اقسم، هو فعل أمر من القسمة يراد به اقسم تركة شخص توفي عن كذا وكذا من الورثة، وكم يستحق كل شخص من ورثته هو بمثابة اختبار لهم والوقع أن الأمر كذلك، فالشيخ يختبرهم لا لمجرد الاختبار، وإنما ليعرف مدى إدراكهم في هذا العلم، حتى يوضحه أكثر إذا لزم التوضيح أو يختصره أكثر إذا كان الأمر يستدعى الاختصار.

ولذلك قوله للطالب في درس النحو: إعرب، أي إذكر اعراب الجملة الفلانية وهي في الغالب تكون من الجمل التي في إعرابها شيء من الصعوبة على الطلاب الذين لم يهضموا ما يقوله الشيخ لهم في درس النحو.

وأذكر من ذلك أنه قال لي في إحدى المرات في الحلقة بطبيعة الحال: إن هناك مستمعين للدرس لأنه في الجامع، وبعض الناس يرمي من الجلوس في الجامع إلى تحصيل أجر البقاء في المسجد إلى جانب ما قد يستفيده من العلم.

وبعضهم كالذين يحضرون درس النحو وهم لا يعرفونه يحضرون هذا الدرس لمجرد أن يعرفوا المجيد من غير المجيد في هذا الفن، حسبما يسمعونه ويدركونه من الدرس.

سألني الشيخ أن أعرب الآية الكريمة (لا أقسم بيوم القيامة) وركز على قوله: هل القسم هنا مثبت أم منفي؟ فقلت له: إنه مثبت، إن المراد لا يكون

الأمر كذلك الذي زعمه الكفار، أقسم بيوم القيامة، وهكذا ما جاء على مثاله كقوله تعالى: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون).

وقد سر الشيخ هذا الجواب وذكر أنه صحيح.

لقد كان درس الفجر هذا إلى جانب كونه مفيداً فإنه مسلٍ أيضاً، لأننا لم نكن نسهر بعد صلاة العشاء، بل كنا نلبث قليلاً بعدها نحادث أهل البيت، إذْ لا نعرف السهرات، وإنما ننام بعد وقت قليل بعد صلاة العشاء، وبعض الناس ينامون بعد صلاة العشاء مباشرة، لأن طعام العشاء يكون قبيل آذان المغرب وقلة من الناس يتعشون بعد صلاة المغرب، والذي ينام بعد صلاة العشاء مباشرة أو بعدها بقليل من الوقت يقوم نشيطاً مكتفياً من النوم، فيصلي صلاة الفجر وهو نشيط.

أما في الأحوال القليلة حيث يسهر بعض الناس في سمر بعد صلاة العشاء فإن ذلك لا يكون له مظهر مرئي في البلد فمدينة بريدة تبدو بعد صلاة العشاء بنحو ساعة مظلمة، بل واقعة تحت ظلام حالك، وحتى الحركة لا يكون لها وجود، وتسمى العامة مثل هذه الساعة (الغطة) بفتح الغين بمعنى أن الناس يغطون فيها في نوم عميق هو أول النوم، وأول النوم يكون النائم فيه أكثر استغراقاً من وسط النوم وآخره.

وأذكر أنه من الأحوال النادرة أن دعيت إلى سهرة من بعد صلاة العشاء وتعني السهرة الاستمرار لمدة ساعتين على أكثر تقدير في السهر على قهوة وشاي وفي بعض الأحيان على حليب معهما أيضاً.

حتى إذا عدت إلى بيتي منها لم يقابلني شخص واحد إلا إذا مررت بسوق البيع والشراء الذي لا يعمل إلاَّ في النهار وهذه صفة: لابد من ذكرها، إذْ لا يفتح أحد دكانه في الليل إطلاقاً لغرض البيع والشراء بل لا يكون ذلك إلا لأمر عارض لا يمكن تلافيه كالذي يكون عنده قماش ابيض مما يصلح كفناً، فيموت أحد الأشخاص ويضطر أهله إلى تفسيله وتكفينه في الليل حتى يصلوا عليه في صلاة الفجر، فيطلبون من صاحب الدكان هذا أن يعطيهم – بيعاً- كفناً للميت، فيستجيب لطلبهم، ويفتح دكانه على ضوءِ السراج لدقائق.

اقول: إذا وصلت إلى سوق البيع والشراء وهو مظلم أكثر من غيره في الليل، لأن بعض الدكاكين يكون فوقها معشاش من عسبان النخل وسعفه ليقيهم شمس القيظ، فيبدد السكون صوت الناطور في السوق وهو أحد ناطورين أحدهما يكون في أسفل السوق والآخر في أعلاه، فيصرخ بأقصى ما يستطيع إذا أحس بقدوم أحد إلى السوق بقوله: صاحي، فإذا سمعه الناطور الآخر، وهو الحارس الثاني أجابه أيضاً بكلمة صاحي فيعرف الذي وصل إلى السوق أن الحارسين منتبهان على أمن السوق ولا يمكنهما التصرف بدون نور.

ولا يوجد أي نور يتسرب من البيوت إلى الشارع أو إلى أي مكان في المدينة لأن الكهرباء لم توجد بعد، ولم تعرف مدننا ما كانت تعرفه مدن الحضارة القديمة من إيقاد السرج في الشوارع.

هذا بالنسبة إلى أول الليل، والأمر كذلك بالنسبة إلى آخر الليل مع أن آذان الفجر لا يرى الإنسان فيه أي نور.

فكنت إذا خرجت من بيتنا مع آذان الفجر أو قبل استكمال الأذان قاصداً المسجد الجامع وبيتنا في شمال بريدة القديمة بينه وبين المسجد الجامع مسجد واحد هو مسجد عبدالرحمن بن شريدة أركض كما يركض الطفل لأنه لا أحد يراني، ولا أحد يشعر بركضي وأنا استطيب الركض لتوفير الوقت، و محبة في الركض حتى إذا قاربت إلى أن أدخل إلى الجامع صرت أمشي مشياً لأنه لا يليق عند الناس لطالب علم أن يركض كما يركض الصبيان ولو كان صغير السن.

فأصلي الفجر في الجامع ثم نتلقى الدروس من الشيخ رحمه الله وجزاه عنا خيراً.

وقد جرؤت عندما رايته يستمع مني إلى ما أسأله عنه أكثر مما يستمع من سائر طلبة العلم الآخرين، ولا أشك أن ذلك راجع إلى كوني أحسن السؤال عما ينبغي معرفته فكنت أخرج معه من المسجد الجامع وهوممسك بيد قائده إلى بيته وهو غير بعيد من الجامع.

وأسأله عما أريد السؤال عنه مما يضيق وقت الدرس عنه، وما يعرف بعد انتهاء الدرس.

فيجيبني على ذلك بجواب سديد، ولكنه يجمع إلى ذلك أنه إ ذا اراد الدخول إلى بيته قال لي: يا أخ محمد، ادخل ولا أراه يقول ذلك لأحد غيري، مع

أنه قل أن يتبعه من الطلبة إلى بيته أحد، ولكنه إذا حصل ينادديني، ويأمر بأن أدخل معه إلى بيته، فنجد القهوة جاهزة فيشرب القهوة ونحن نتحدث.

ثم صار يطلعني على كتبه ويطلب مني أن أقرأ عليه منها وبخاصة الغرايب منها.

وكان هذا أول تقارب استمر يرعاه شيخنا أكثر مما كنت أرعاه أنا وذلك تقصيراً مني، ووفاء منه رحمه الله.

أوقات الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد:

كثيراً ما تذاكرنا نحن طلبة العلم بركة الوقت عند شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد وكيف يستطيع أن يتسع وقته لكل الأعباء التي يفرضها عليه وضعه قاضياً ومرجعاً في كثير من شئون المدينة، وقد فرض على نفسه برنامجاً مكثفاً للتعليم قل أن يتحمله شيخ آخر.

فهو يصلي الفجر في المسجد الجامع يحضر مع أوائل من يحضرون له وفي أسفاره رأيته يقوم من نومه قبل وقت الصلاة بقليل فيصلي ما قدر له من الركعات وهي ليست كثيرة ثم يوتر أي يصلي الوتر ويستعد لصلاة الفجر.

وهنا إذا صلى الفجر جلس للطلبة في فنون صعبة نسبياً كالنحو والفرائض وعليه أن يفهم طلبته تعقيدات تلك العلوم من دون وسائل إيضاح.

ثم إذا انتهى هذا الدرس ويكون ذلك عادة مع شروق الشمس ذهب إلى بيته ولبث فيه نحو نصف ساعة أو ساعة إلاّ ربعاً يعود بعدها إلى المسجد الجامع لانعقاد المجلس العلمي الرئيسي حيث يقرأ كبار طلبته نظراً من مراجع الكتب التي يسمونها الأمهات في فنون متعددة من الحديث الى التفسير وكتب العقيدة والفقه.

والحلقة كبيرة لأنها قراءات على الشيخ يشرحها ويوضحها للطلبة.

واتخذ منهجاً جديداً بالنسبة إلى طلبة العلم وحلقات الدروس في بريدة وهو أن إذا أراد أن يستوضح شيئاً من ترجمة رجل من رجال أهل الحديث أو

عن لفظ لغوي غريب أو عن مسألة فقهية معقدة أو حتى ليست معقدة، ولكنه يريد أن يعرف أقوال العلماء فيها قال لي بعد أن عهد إليَّ بالعمل في مكتبة بريدة العلمية أحضر الكتاب الفلاني، وأسمعنا ما قاله العلماء في المسألة الفلانية أو يقول اخبرني بما قاله أهل اللغة عن اللفظة الفلانية من دون أن يعين المرجع لأنه يعلم أنني أعرف أين توجد تلك المسألة فأترك حلقة الدرس وأذهب إلى المكتبة التي هي في طابق ثانٍ من رواق في الجامع تقع في الجانب الشرقي الشمالي منه، فأحضر الكتاب الذي طلبه الشيخ أو المرجع الذي طلب أن يعرف ما ذكره عن المسألة التي ذكرها.

وربما يأتي الكلام على ذلك عندما نتكلم عن جهوده في افتتاح مكتبة الجامع بإذن الله.

يستمر هذا الدرس الرئيسي ساعتين أو ساعتين ونصفاً يخرج بعدها الشيخ إلى بيته فيتناول غداءه وهو كغيره في ذلك الوقت يكون من التمر واللبن في الغالب، ثم يفتح باب داره ويجلس للخصوم في بيته، ولم تكن توجد محكمة ولا مبنى خاص يجلس فيه القاضي للخصوم ويصدر فيه حكمه.

وبيته على طريقة البيوت الطينية القديمة فيه قاعة الاستقبال المسماة بالقهوة أمامها وقبل الدخول فيها يقع الليوان وهو الإيوان الذي يقوم على رواق عريض معتمد على عمد، والقهوة والليوان تكون منفصلة عن باقي البيت يفصل

بينهما باب يغلق أو يفتح حسب الحاجة، وإذا أغلق انفصلت القهوة والليوان عن باقي البيت وهذا هو دأب البيوت الكبيرة و المتوسطة ومن ذلك بيتنا.

وفي ليوان بيت الشيخ عبدالله يجلس للخصوم ويقضي بين الناس ويكون عنده رجل أو رجلان من رجال الشيوخ الذين يقومون مقام الشرطة، لأنه لم تكن في بريدة آنذاك شرطة، ويأتمر رجال الشيوخ هؤلاء بأمر الشيخ ابن حميد، من إسكات المحكوم عليه إذا استمر في الاعتراض اللفظي أو رفع صوته أكثر من اللازم.

ويفرغ من ذلك قبيل أذان الظهر فيغلق بابه دون الخصوم ويدخل بيته لكي يتهيأ للوضؤ لصلاة الظهر، ثم يصلي الظهر فيكون عنده درس في كتاب (بلوغ المرام) أو مثله في الغالب من كتب أحاديث الأحكام يقرأ فيه أحد الطلبة ويفسره الشيخ ثم يعود إلى بيته لتناول قهوة ما بعد الظهر وهي لازمة في تلك الأوقات مثل قهوة الصباح، وهما الوقتان اللذان يتناول سائر الناس القهوة فيهما ويكون معها الشاي غالباً.

وربما يحضر عنده من يأنس به من الناس في ذلك الوقت الذي يسبق أذان العصر فيعود للمسجد الجامع ويصلي العصر ويقرأ عليه أحدهم وغالباً ما يكون هو خطيب الجامع الشيخ عبدالله بن رشيد الفرج فيقرض الشيخ ذلك ويشرحه، ثم ينصرف إلى بيته حيث يقضي معظم ما بعد العصر في بيته يجلس للخصوم، ويفصل في قضاياهم.

ومع قلة الوقت المخصص للخصوم والحكم بينهم لم أسمع من شكا من كون الشيخ عبدالله بن حميد لم يجد الوقت الكافي للنظر في قضيته ولا من ذكر أنه لم يبت فيها.

فقد جعل الله للشيخ عبدالله بن حميد من البصيرة في أمور القضاء ومن النشاط الذهني الذي يدرك فيه هدف المتخاصمين ما سهل عليه سرعة البت في القضايا إلى جانب ما ذكرته من أن الدعاوى والاحكام فيها لا تسجل إلا ما له وضع خاص من القضايا.

وبعد صلاة المغرب يعود التدريس من الشيخ بدروس غيباً أي محفوظة للطلاب والمراد بذلك أن الشيخ يكلفهم بحفظها في النحو وغيره من المتون القصيرة التي ينبغي لطالب العلم أن يحفظها لتكون ذخيرة له إذا فهم معناها.

وأذكر من ذلك أننا قرأنا على شيخنا ألفية ابن مالك في النحو حفظاً فكان يقرر عليها بمعنى أنه يشرح معانيها ويقرر دلالاتها للطلبة، ويضرب الأمثال لهم بمسائل تتعلق بالنحو، ويستمر هذا إلى قبيل أذان العشاء فيقرأ عليه أحد طلبة العلم من كتاب تاريخي يروح عن خاطره وخواطر الطلبة ما قد يعتري الأذهان من ملل أو سأم في دراسة المتون العلمية المعقدة.

ويستمر قراءة ذلك القارئ في كتاب من كتب التاريخ قبل أذان العشاء إلى ما بعد الأذان بنحو دقيقتين، أو ثلاث يكون خطيب الجامع الشيخ عبدالله

بن رشيد الفرج قد استعد للقراءة للجماعة من أحد كتب الوعظ والأحاديث النبوية أو تفسير ابن كثير.

وقد كان القارئ الأول على الشيخ قبل أذان العشاء في مدة ليست قصيرة هو الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي قرأ على الشيخ في الكامل في التاريخ لابن الأثير.

ثم صرت أنا الذي أقرأ في الكتاب التاريخي بدلاً منه وقرأت عليه كتاب مروج ا لذهب للمسعودي.

وبعد الصلاة يلبي دعوات بعض الأخوة من طلبة العلم، ولكن لم يكن هذا قاعدة ما عدا آل مشيقح الذين كان يأتي إليهم أسبوعياً ليلة الثلاثاء وهي التي يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء.

وفي الأيام المعتادة يخصص هذا الوقت لقراءة شروح بعض المتون والكتب التي تقرأ عليه في الجامع من أجل تجديد معلومات عنها وإفادة الطلبة به من شرحه لهم.

وهكذا ينتهي يوم الشيخ عبدالله المعتاد من أيام الأسبوع المعتادة.

إلا يوم الجمعة فبرنامجه يتغير فلا تعقد له دروس في يوم الجمعة، إنما يستقبل فيه في الغالب بعض طلبة العلم و بعض المحبين الذين يحسنون الكلام، ويعرفون كيف يتخيرون الكلمات عندما يكونون في حضرة الشيخ عبدالله لئلا تزل ألسنتهم بكلمة في غير موضعها فيكون ذلك محل انتقاد الشيخ، وإن لم يصرح لهم به.

ومن طرق الشيخ في معرفة حال المتكلم وما إذا كان ضابطاً لكلامه صادقاً فيه أو كان غير ضابط له، أو لا يتحرى الدقة في روايته أن الشيخ يسأله عن أشياء يعرفها الشيخ فيعرف من أجابته عليها مستوى صدقه ومن تهويله في كلامه أو من تقصيره فيه.

وهذا كان قبل أن يتملك سيارة.

أما بعد أن ملك سيارة فإنه يقضي عصر يوم الجمعة في نزهة برية لا يكون فيها معه إلا بعض الذين يأنس بهم أو يقرؤون عليه مثلي، فأنا أكثر من كان شيخنا يدعوهم للتنزه معه بسيارته، ويومها لم تكن عندي سيارة فأول سيارة صارت عندي في عام ١٣٧٣هـ.

ولكنني أذهب مع شيخنا رحمه الله وجزاه عنا خيراً إلى تلك النزهات استجابة لرغبته ولكوني عندي داعٍ لها من الرغبة في صحبة الشيخ والاستفادة منه، وهو أمر كان الأكثرون يتمنونه ولا يحصلون عليه، كما أنني من هواة الخروج إلى النزهات والرحلات القصيرة في ذلك الوقت.

ولم أعرف التاريخ الذي ملك فيه الشيخ عبدالله بن حميد سيارة له، ولكن الذي أعرفه أن الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله أرسل إليه برقية يطلب فيها منه أن يتوجه إلى الرياض لأمر يريده الملك عبدالعزيز لم أعرفه، وقال: أخبرنا الأمير عبدالله بن فيصل الفرحان، أمير منطقة القصيم أن يعطيكم سيارته لتأتوا بها إلى الرياض، وكان ذلك في عام ١٣٦٧هـ، فعرفنا أنه إلى ذلك التاريخ لم يكن يملك سيارة.

وسوف يأتي الكلام على تلك الرحلة تحت عنوان (أول رحلة مع الشيخ عبدالله بن حميد) فيما بعد بإذن الله.

كما سيأتي الكلام على التاريخ الذين حصل فيه الشيخ على أول سيارة له.

وكان بعض محبي الشيخ ممن لهم سيارات أو يستطيعون الحصول على سيارة يدعونه لنزهات خارج بريدة، ولكن لعزة نفسه وترفعه عن أن يشعر بأن أحداً قد يمن عليه لا يوافق على ذلك.

ثم اقتنى سيارة صغيرة، وهنا صار يذهب عليها في أيام الجمع إلى أطراف مدينة بريدة، وإذا سال السيل كان يجري وادي (الودي) وهو الوادي الصغير واسمه يدل على التصغير وهو بالفعل وادٍ صغير ولكنه أقرب الوديان إلى مدينة بريدة.

وكان يدعو بعض تلامذته والخاصة من أصدقائه، وليسوا كثراً إلى الذهاب معه إلى هذه النزه، وكنت لحسن حظي منهم- بل كنت أكثرهم تلقياً لدعوة الشيخ عبدالله إلى هذه النزه.

وقد كتبت طائفة من ذلك في مذكرات يومية كنت مواظباً على كتابتها في ذلك التاريخ، ثم رايت أن أنقل بعضها هنا بحذافيرها لأنها كما قلت صارت جزءاً من تاريخ حياة شيخنا وهي أيضاً جزء غالٍ عليَّ من حياتي أنا، وربما

كان بعض القراء كما لاحظت ذلك في أوراق مماثلة، يحب الاطلاع عليها- بل ويسأل عنها.

كما ذكرت فيها أشياء أخرى تتعلق بصحبتي للشيخ عبدالله بن حميد.

وأبدأ بهذه المذكرة التي توضح متى تملك الشيخ ابن حميد أول سيارة؟

وجدت في مذكراتي التي كتبتها في وقتها ما يوضح ذلك وهذا نصه دون تغيير أو تصرف:

يوم الأحد ٨ رمضان عام ١٣٧٠هـ- ١ يوليو ١٩٥١م:

هل أنت مسافر؟

وصلتْ اليوم إلى هنا- بريدة- من الرياض سيارة فاخرة من تلك التي يمتطيها الأمراءُ في العادة وقد أرسلت تلك السيارة هدية من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود إلى فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ورئيس قضاة منطقة القصيم، وذلك لمناسبة سفره إلى مكة المكرمة ولم أعلم كما لم يعلم أحد غيري قبل ذلك بسفر الشيخ، ولكن كان الأمر كما حدثني بذلك فضيلته بعد ذلك قال: إنني أبرقت إلى ولي العهد أستأذنه بالسفر إلى مكة للاعتمار في هذا الشهر المبارك وقضاء باقي شهر رمضان في مكة المكرمة على نفقتي الخاصة فأجابني سموه قائلاً: إنني استشرت الوالد- أي الملك عبدالعزيز- في ذلك وقال: لا بأس.

ثم أبرق إليَّ الملك عبدالعزيز وقال أفادني الابن سعود أنكم ترغبون في السفر إلى مكة ولا بأس عندنا في ذلك وقد أمرنا لكم بسيارة تصلكم.

هذا ماقال لي فضيلته وقد كان مع هذه السيارة الفاخرة جائزة نقدية، أما السيارة فإنها جديدة يقدر ثمنها بما يقرب من خمسة عشر ألف ريال، وينوي شيخنا كما يقول أن يعود إلى بريدة من تلك الزيارة بعد عيد الفطر مباشرة.

هذا ولما كان من عادتي في السابق أن أسافر بعض الأحيان مع فضيلة الشيخ عندما يسافر إلى بعض الجهات ونحن الآن في وقت العطلة وقد سبق

أن سافرت معه سنة ١٣٦٧هـ وأنا في وقت العمل وطلب لي إجازة من مدير المدرسة، لذلك كثر تساؤل الناس اليوم في السوق، وكان سؤالهم واحداً، هل ستسافر مع الشيخ؟

فقلت لهم: لا.

وذلك لأنه لم يسبق أن طلبت من فضيلته أن أسافر معه، ولكنه هو الذي يطلب إليَّ ذلك، أي يأمرني بذلك.

هذا إلى أن تلك الرحلة لم تصادف هوى في نفسي لأن الوقت حار جداً، ومكة مع الإفطار وتناول المرطبات والمثلجات يصعب تحمل الحر فيها، فكيف بها في رمضان.

هذا إلى أنني لم يسبق لي أن زرت المدينة المنورة، بخلاف مكة المكرمة فقد زرتها في وقت الحج خمس مرات في سنوات ١٣٦٤ و٦٥ و٦٨ و٦٩ و٧٠هـ ولو قدر لي أن أسافر مع الشيخ أي لو طلب مني ذلك لما تمكنت من السفر إلى المدينة، وهو شيء عزيز عليَّ.

وكنت وضعت في نفسي أن أسافر إلى المدينة المنورة وأرجو أن ييسر الله ذلك.

يوم الجمعة ٨ ربيع الأول عام ١٣٧١هـ- ٧ ديسمبر عام ١٩٥١م:

دعوة كريمة، أو نزهة مطيرة:

تفضل حضرة صاحب الفضيلة شيخنا الجليل عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ورئيس قضاة مقاطعة القصيم فدعاني إلى نزهة خاصة على سيارته الخاصة وخص هذا اليوم لأنه اليوم الذي تعطل فيه المدارس وأصبح فيها بدون عمل.

وعندما قضيت صلاة الجمعة توجهت إلى بيت فضيلته فوجدته في الانتظار واستقلينا سيارته الفخمة وجلست بجانبه وأولينا وجوهنا شطر الوادي الصغير في الجهة الشمالية الشرقية لبريدة المسمى بالودي لأنه قد سال آملين فيما يقول شيخنا أن نقضي بجوار الغدران ما تبقى من ساعات النهار التي يبلغ عددها أزيد من أربع ساعات، وكان الجو لا يخلو من السحاب إلا أنه لم يصدنا عن المضي في تنفيذ خطتنا لأننا قد عزمنا قبل ذلك، أما لو كان الأمر ابتداء فإن ذلك السحاب سوف يثنينا عن عزمنا خشية المطر.

وعندما غادرنا البلد بدأ المطر يسح ثم يهطل ونحن سائرون، وعندما زاد هطوله قال الشيخ: إنه لا يمكننا النزول إلى الأرض في ذلك الوادي لأنه ليس هناك ما يستظل به غير السيارة فماذا ترون؟ فقلنا نرى- والرأي لفضيلتكم- أن نذهب إلى بعض القصور المهجورة التي يزرع ما حولها عادة ففيها منازل تظلنا وفيها غرف نستمتع بالجلوس فيها والمطر يهطل والنسيم المشبع بالماء يملأ الفضاء ويطرق تلك الغرف، فقال هذا هو الرأي السديد، إليها.

وسرنا ننتحي ناحية القصور المعروفة (بالنقع) ونزلنا في محل كان قد بناه الوجيه عبدالله بن عيسى مدير الزراعة في القصيم سابقاً وقت أن كان مزارعاً في تلك الجهة، فوجدنا فيه إيواناً ذكرنا بإيوان كسرى، كما قرأنا عنه محاطاً بالنوافذ من جميع الجهات، واسترحنا فيه وجلس شيخنا على طرفه، وكان معنا كتاب (طبقات الشافعية) وكان فضيلته يطالع فيه وقرأت عليه جزءاً كبيراً فيه في الوقت الذي كان فيه بقية الرفاق يصلحون القهوة والشاي، ثم شربنا القهوة والشاي وأكلنا البسكوت وفضيلته يتحدث إلينا بمنتهى اللين واللطف.

وبعد أن صلينا العصر والمطر لا يزال يهمي ولم يقف هطوله منذ أن هطل لأول مرة بعد ربع ساعة من خروجنا حتى الآن.

شربنا القهوة مرة أخرى ثم امتطينا السيارة راجعين إلى بريدة.

وقد أكرمنا فضيلته غاية الإكرام وختم إكرامه بأن وجه الدعوة إليَّ بالعشاء بعد صلاة المغرب مباشرة، وقال فضيلته: إننا قد أملنا قبل ذلك أن لا نرجع إلا بعد صلاة المغرب من الوادي ولذلك أمرتهم بأن يؤخروا عشاءنا حتى ذلك الوقت فشكرت ذلك لفضيلته أحر الشكر ولبيت الدعوة ودخلنا بريدة، بل وبيوتنا والمطر لا يزال يهمي بسكون ولا يزال يهمي حتى الآن أي بعد وصولنا بعشرين دقيقة، ولم يكن معنا في هذه النزهة المطيرة غير كاتب فضيلته وابن أخي فضيلته وهو عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد وابنه وأحد الإخوان أي إنها دعوة خاصة لنا كما قدمت.

يوم الثلاثا ١٢ ربيع الأول عام ١٣٧١هـ- ١١ ديسمبر عام ١٩٥١م:

دعوة رسمية أو على مائدة الأمير:

قدم أمس من مصر فالحجاز فحائل سمو أمير بريدة ومنطقة القصيم عبدالله بن صاحب السمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد بعد أن شفي من مرضه الذي ذهب للاستشفاء من أجله إلى مصر بعد غياب استمر أكثر من سبعة أشهر عن مدينة بريدة، وقد آدب مأدبة فخمة بمناسبة عودته إلى بريدة اليوم دعا إليها فضيلة قاضي بريدة وقضاة القرى والمدن الموجودين في بريدة وكبار طلبة العلم وكبار رجالات بريدة، وقد تفضل فشملني بتلك الدعوة بوصفي من طلبة العلم كما يعبر مندوبه الذي دعاني، ولفظ ذلك المندوب هكذا بدون تغيير بعد التحية المعتادة:

يسلم عليك الأمير ويقول ترانا عازمينه مع الشيخ ابن حميد من المسجد العصر باكر لا يخلينا إن شاء الله.

وحان الموعد المقرر وبعد أن صليت العصر اليوم ذهبت إلى المسجد الجامع الذي يصلي فيه فضيلة شيخنا قاضي بريدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وكان فضيلته قد قال قبل ذلك: صلِّ معنا في الجامع لتذهب معنا إلى قصر الإمارة في بريدة حيث يقيم الأمير مأدبة في مسكنه من هذا القصر.

وبعد أن فرغ درس الشيخ المعتاد الذي يقيمه عادة في المسجد بعد صلاة عصر كل يوم إلا يوم الجمعة في الحديث الشريف وفي أحاديث الأحكام خاصة

صحبت الشيخ ولم يكن معه من طلبة العلم غير أربعة غيري أحدهم كاتب فضيلته ودخلنا قصر الإمارة الواسع الأرجاء العظيم البنيان- وعلى فكرة- فإن باني هذا القصر بصفته الحالية هو حسن بن مهنا أمير بريدة قبل سبعين عاماً- وكان يصاحبنا مندوب من قبل الأمير تكريماً لفضيلة الشيخ.

ودخلنا قاعة الجلوس أو غرفة الجلوس الواسعة لأنها غرفة علوية وقد صفت فيها الكراسي الخشبية التي لا يستطيع الإنسان أن يجلس عليها إلا بعد أن يقفز إلى ظهرها قفزاً لإرتفاعها، وقد سترت بقطع السجاجيد ومع ذلك لم تكن مريحة بسبب أنها مصنوعة في البلد من خشب الأثل وقد تربع في صدر القاعة سمو الأمير وعن يساره ويمينه من الجانبين رجالات البلد والمدعوون، وبجانبه فرجة قد أعدت لجلوس فضيلة الشيخ، وعندما دخلنا القاعة نزل سموه من كرسيه ومشى خطوات ليقابل فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد ويصافحه ثم يمسك بيده ويجلسه بجانبه، وعند ذلك جلس الحاضرون بعد أن قاموا عند دخول الشيخ ثم قال سمو الأمير بصوت لا يكاد يسمع (قهوة) ولم يكد آخر حرف من حروف هذه الكلمة يفارق شفتي سموه حتى دوى صوت جهوري مهيب فملأ أركان الغرفة الفسيحة، ونفذها إلى جزء كبير من جنبات القصر المترامية الأطراف يكرر ما قال سمو الأمير أي لفظة (قهوة) وهم يستعملون كما هي عادة الأمراء في بريدة وغيرها من مدن وقرى نجد في السابق يستعملون حلق أحد الخدم أو (رجال الشيوخ) كما يسمونهم بدل الجرس الكهربائي لعدم وجود الكهرباء آنذاك.

وقد جلس تحت أرجل المدعوين على طول القاعة وعرضها إلا ما كان منها تحت رجلي سمو الأمير وفضيلة الشيخ ومن بجانبهما جلس الرجال الغلاظ الشداد المدججون بالسلاح كما هي العادة التقليدية المتبعة وغالباً. بل هو في كل الأحيان إلا نادراً يكون هؤلاء الرجال من البدو ليكون أشد لغلظتهم وأعظم مدى لهيبتهم ومن هناك لطاعتهم للأمير وتنفيذ أوامره بكل قوة وشدة، وقد خضع أولئك الغلاظ الشداد أمام نظرات سمو الأمير الثاقبة، وكأن على رؤوسهم الطير، ولو استطاع أحد أن يعلم ما في خاطر إنسان لاستطاع هؤلاء الرجال أن يعلموا ما في خاطر الأمير قبل أن يتكلم به لينفذوه بسرعة البرق لفرط انقيادهم له وانصياعهم لنظراته وإشاراته.

وأديرت القهوة ثم غادرنا تلك الغرفة الواسعة التي اجتمع فيها حوالي مائة وعشرين شخصاً من المدعوين وخدم الأمير غادرناها وهبطنا الدرج قاصدين إلى مائدة الطعام حيث أعدت في ركن حوش كبير قد فرش ذلك الركن منه بالبسط أما باقيه وهي ما يقارب ثلاثة أضعاف المفروش منه فهو أرض طبيعية.

ووجدنا المائدة تتكون من ست صياني كبيرة جمع (صينية) وقد ملئت بالرز ولحم الإبل وعلى بعضها لحم الغنم (الضأن) ليس إلا فجلسنا على بعض تلك الصواني الست، أما الباقيات فلم يجلس عليها أحد لأن بعض الصياني استغرقت المدعوين.

وابتدأنا بالأكل وإذا بالطعام بارد أكثر من اللازم، ولقد اعترف سمو الأمير بذلك فقال لفضيلة الشيخ يعتذر له عن ذلك (إن طعامنا – أحسن الله عملك- طعام بدو).

وبعبارته الحرفية (عشانا عشا بدو).

وإن أنس لا أنسى منظر أولئك الرجال المدججين بالسلاح وهم يحدجوننا بنظرات حادة متواصلة خلال أكلنا الطعام.

وظاهر أن وقوفهم مثل هذه الوقفة يعد مظهر تكريم للمدعوين.

وبعد أن فرغنا من الطعام وغسل فضيلة الشيخ يديه بعده وكذلك سمو الأمير ابن مساعد، وعلى فكرة فإن تلك المائدة الكبيرة لم يوجد فيها ولا ملعقة واحدة، غادرنا قصر الإمارة شاكرين ومن أولئك الرجال الغلاظ الشداد المدججين بالسلاح خائفين.

اعتذار عن التطويل في هذا الفصل:

ربما شعر القارئ الكريم أنني قد أطلت الكلام فيما يتعلق بمحبة الشيخ عبدالله بن حميد للنزهات البرية، وبملازمتي له فيها، وأعتذر إليه إن رأى ذلك بأنه جزء من الحديث عن شيخنا رحمه الله وكنت سجلته في يومه مما يعطيه شيئاً من الواقعية ولأنه أصبح تاريخاً يروى أو كالتاريخ.

يوم الخميس ١٥ رجب عام ١٣٧١هـ- ١٠ أبريل عام ١٩٥٢م:

نزهة في صحبة الشيخ:

على أثر انتهاء درس الصباح الذي يبدأ من انقضاء صلاة الفجر وينتهي مع طلوع الشمس من كل يوم على فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ورئيس قضاة مقاطعة القصيم على أثر انتهائه ذهبت كالعادة في صباح كل يوم إلى بيت شيخنا فشربت القهوة معه فقال لي هل قال لك الرسول أن تستعد للسفر في نزهة معنا تستمر طول اليوم؟ فقلت: لا، فقال أوصينا لك صديقك فلاناً أن يخبرك بذلك.

ثم قال هيا لتستعد سنمشي الآن، لقد تذكرت كيف أن ذلك الرجل الذي يقول إنه صديق لي ويقول معه الناس إنه كذلك صديق لي لما يرونه من أنه دائماً يحاول أن يظهر بمظهر صديقي عندما يتعمد الجلوس والمشي معي وأنا لذلك كاره، إنه دائماً يفعل مثل تلك الأفعال، إنه دائماً يتعهد بأن يبلغ بعض الأخبار أو الرسائل إليَّ، ولكنه لا يفعل ولولا فضيلة الشيخ لما كنت علمت بذلك.

وأسرعت إلى البيت فغيرت ثيابي وتناولت ما تيسر من الفطور وقلما وورقة وسارعت إلى السيارة التي تقل طائفة من طلبة العلم المقربين إلى الشيخ، من النابهين من الطلبة.

وتحركت السيارة بعد شروق الشمس بما يقرب من ثلث ساعة قاصدة إلى وادي (العود) وهو أحد فروع مياه وادي الرمة، الوادي الكبير الذي يشق القصيم

نصفين، وكان يبتدئ في الزمن القديم من قرب المدينة المنورة ويصب في سواد العراق، أما الآن فإنه يقف عندما يتجاوز مدينة بريدة ذاهباً إلى الشرق بقليل تمنعه عن الاستمرار في الذهاب جهة الشرق رمال نفود الأسياح.

وبعد أن قطعنا ما يقرب من عشرة كيلومترات وصلنا إلى ذلك الوادي وهو وادٍ صغير وقد غرس في بطنه النخل الكثير، ونزلنا من السيارة وأسرع بعض الإخوان الذين حضروا ليكونوا لنا طباخين وأخذنا الكتاب وجعلنا نقرأ ونتباحث فيه، وكان الكتاب يبحث في علم الأصول أي العقائد.

وبعد أن شربنا القهوة والشاي حضر فضيلة الشيخ بسيارته بعد أن فرغ من الدرس الذي يلقيه في سوق بريدة على العامة في كل يوم اثنين وخميس، وبعد أن جلس وحضر معه خمسة من القضاة في بعض النواحي من بينهم قاضي (الظفير) الشيخ عبدالعزيز الفوزان الذي يقضي إجازته هنا في بلده بريدة فقرأ أحد الإخوان من تاريخ الجبرتي ما يخص مسألة إبراهيم باشا وما جرى من أعتدائه على آل سعود من الوقائع والحروب، وكان ذلك من ضمن مقتطفات قد جمعها رجل من طلبة العلم الأولين في نجد لم يذكر اسمه وفيه أشياء عن نجد والنجديين وعن مشايخ نجد عن تواريخ وفياتهم وغيرها، وقد أخذت من هذا المجموع قبل ذلك مقتطفات وهي لدي الآن من أعز أوراقي.

العاصفة :

وبعد أن تغدينا وجلسنا مجلساً واسطة عقده فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد، وكان يوجه إليَّ بعض الأسئلة في بعض المناسبات أكثر من غيري، بعد ذلك اشتدت الريح حاملة معها بعض الأتربة والرمال فقطعت على القارئ قراءته أي جعلته لا يسمع ونغصت علينا صفونا فتبدد عقدنا كل ذهب يبتغي له مقيلاً، ولكن أين نقيل؟ إن التراب تسفيه الريح على النائم فلا يهنأ له نوم.

ورحنا نتجول أنا وأربعة من الرفاق فوجدنا ما يشبه الغرفة المتهدمة وهي في الحقيقة غرفة قد أغلقت على بعض الأدوات التي يحتاجها ذلك النخل مثل المنجل ولقاح النخل، والزبيل والمسحاة، وأمامها ما يشبه الدهليز وهو مسقوف ومسور من جهاته الثلاثة ومن حسن الحظ أن غير المسور منه كان إلى غير جهة الريح ولكن أرضه غير نظيفة، فهي مليئة بالتراب وغيره وكان هناك في جانب منه سعف نخل مرمي، فجعلنا من ذلك السعف ما يشبه الفراش وجلسنا عليه، وكان المحل صغيراً ونحن خمسة وليس فيه ما يفضل قليلاً عنا، واسترحنا فيه من الريح والتراب الذي كان يملأ خياشيمنا وأعيننا ويقلق بالنا.

وقد تفرق الرفاق كذلك يبتغون ملجأ عن تلك الريح، فكان يطل علينا بين حين وآخر بعض الرفاق والإخوان الكبار الذين كنا في عالم غير هذا العالم أي عالم السكون كنا نقوم لهم احتراماً، فلم نتحرك من مكاننا، ولم نتزحزح قيد شعره لأننا لا نجد مثل ذلك المكان وربما صحت الأجسام بالعلل فجعلنا

من ذلك الذي يستحق أن يسمى جحراً وليس مسكناً، ما يشبه الندوة العلمية، فكنا نتباحث ونتضاحك ونروي من النكت كل ما هو غريب لنستر بذلك بعض ما نحسه من تعب وكدر، والحقيقة أننا قد لمسنا لذلك أكبر الأثر في نفوسنا إذ ذهب بعض ما نحسه من ذلك.

المشي على الأقدام:

وبعد أن صلينا العصر قال فضيلة الشيخ: إنه يريد أن يتمشى على قدميه فصحبته أنا وأحد الإخوان فقط، وقطعنا مسافة قدرتها بخمسة كيلومترات كلها مشياً على الأقدام، والحقيقة أن فضيلة الشيخ هو الذي حملنا على ذلك، وإلا فنحن لا نكلف أنفسنا ذلك، غير أن الذي أعاننا على قطع تلك المسافة وأذهب ما قد نحسه من التعب لولاه هو صحبة فضيلة الشيخ، لأنه كان يؤانسنا ويلاطفنا ويروي من النكات الرفيعة والأخبار ما يعجب ويطرب، وقد رجعنا إلى الرفاق قبل غروب الشمس بنحو أربعين دقيقة، فوجدنا العشاء معداً، وبعد العشاء قفلنا راجعين إلى بريدة.

يوم الخميس ٢٩ رجب عام ١٣٧١هـ- ٢٤ أبريل عام ١٩٥٢م:

في صباح اليوم مع طلوع الشمس كان فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد يبحث معنا ونحن في داره مع صديق لي كيفية الخروج للنزهة على سيارة فضيلته الخاصة، وعلى نفقته، واعتزمنا أن يكون الخروج بعد صلاة الجمعة غداً بما يقرب من الساعة على أن يستمر ذلك حتى بعد غروب الشمس بنصف ساعة، على أن يكون عشاؤنا هنا في بريدة فيما بين العشائين عند أحد الأصدقاء الذي دعا فضيلة الشيخ ودعاني معه إلى ذلك، وخرجت من عند فضيلته بعد ذلك منتظراً غداً بفارغ الصبر، وإن غداً لناظره قريب.

مأساة رجل:

كنت لدى فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ورئيس قضاء مقاطعة القصيم إذْ دخل عليه رجل ومعه كتاب قد ورده من الرياض فأعطاه لكاتب فضيلة الشيخ وقال له: اقرأه.

وكان مضمونه يقول مرسله: إنه ذكرت لنا جثة رجل في الجهة الجنوبية الغربية من الرياض فذهبنا إليها فوجدناها قد أكلتها الطيور ولم يتبق منها غير عظام فجمعنا العظام وصلينا عليها ودفناها وأخذنا الملابس التي على تلك الجثة وها هي تصل إليكم صحبة فلان، وإن احتجتم شهادة فهناك فلان يشهد بأن هذه الأثواب هي أثواب المرحوم فلان.

فسأله فضيلة الشيخ: هل تعرف أنت تلك الأثواب بأنها أثواب الفقيد، فقال مجيباً: نعم، أعرفها مع أنها قد تغيرت من الدهن ومن آثار السباع والطيور فيها، وهي هي التي فقد وهو يرتديها، وهي قميص من الصوف الأسود وقميص آخر من القطن، وشماغ وفيها كثير من العلامات التي نعرفها من قبل.

فقال فضيلة الشيخ: إن هذه قرائن كثيرة قوية، إذاً فلتبلغوا زوجته ولتقولوا لها بأن تدخل الحداد وليعتبر ميتاً!

وعندما خرجت من فضيلة الشيخ صادف أن خرج وكيل الرجل معي فسألته عن قصة صاحبه فقال إنه فلان الذي تعرفه وكنت أعرفه قبل ذلك أصيب بعقله فسافرنا به إلى الرياض لعلاجه ولكنه هرب من المنزل الذي يقيم فيه ولم نعثر له على أثر وبعد أن ايسنا منه عدت إلى بريدة وها هي جثته قد وجد ميتاً في البرية وقد أكلت لحمه الطيور.

فرجة ولكن:

ذهبت اليوم بعد صلاة الظهر إلى فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد في بيته لبعض الأمور، ولما دخلت البيت قال لي: إلى التنزه في الخلاء، هيا، لا تجلس.

قلت: إلى أين؟ قال: إلى السيارة، إن جماعة من الإخوان- يقصد طلبة العلم ونحوهم- قد دعونا وهم قد خرجوا في نزهة إلى العود، وهذا وادٍ فيه نخل وليس دائم الجريان، ويبعد عن بريدة حوالي سبعة كيلومترات، فقلت لفضيلته ولكنني أخاف أن تكون سيارتكم لا تتحمل، وكان معه رجل وولداه

التلميذان في المدرسة الابتدائية فقال: لا، لابد من الذهاب معنا.

وسارت بنا السيارة الصغيرة الفاخرة تطوي الأرض طياً.

وبعدما يقرب من ثلاثين دقيقة كنا قد وصلنا إلى أولئك الجماعة، وجاءوا يهرعون إلى السيارة عندما وقفت يرحبون بالشيخ وجلسنا، فقدمت القهوة والشاي والطيب العود القماري.

ورايت أولئك فإذا بهم ليسوا كلهم من طلبة العلم، وإنما هم مختلطون من طلبة العلم ومن غيرهم من الذين يحبون طلب العلم، إلا أن رئيس السفرة ومنظمها كان أحد القضاة في خارج بريدة، وكان صديقاً لي وثيق الصداقة، وبناءاً على دعوة منهم، وبعد أن صلينا العصر وعدنا إلى مجلسنا قال لهم رئيسهم ما معكم من الكتب؟

فقالوا: معنا (ديوان أبي العتاهية) وكتاب لشيخ الإسلام ابن تيمية، فأمر الشيخ بأن يقرأ عليه أحدهم من ديوان أبي العتاهية، فقرأ من أوله، وكان كل ما في الديوان- كما هو معروف- إنما يدور حول الموت والقبر والحساب والآخرة، فأظهر المستمعون الخشوع والتأفف من الدنيا.

فقلت في نفسي: إن هذا لا ينبغي، لا ينبغي وهم قد خرجوا في نزهة للاستجمام والراحة، أن يخرجوا بديوان أبي العتاهية لأن هذا يناقض المقصود مما خرجوا إليه، فديوان أبي العتاهية ينبغي أن يتلى في مجالس الوعظ لا في مجالس الإستجمام و الارتياح.

وأردت أن أقول لأحدهم ذلك، ولكنني خفت مغبة ذلك، أن يقولوا: إن الوعظ أو ديوان أبي العتاهية لا يناسبه لأنه وعظ يذكر بالآخرة ويذكر بما يذكر به الدين من القبر والحساب والموت وخراب الديار، مع أنهم هم أصحاب الدعوة، والواقع أن الدين الإسلامي في مصدريه الأصليين القرآن والحديث لم يذكر ما ذكر إلا بجانب ذكر الحياة الدنيا وزخرفها وشهواتها والاستمتاع بها، فهو قد جاء بمثل ذلك لئلا يغتر الإنسان بالدنيا ويركن إليها وينسى إنسانيته وآخرته ومصيره، ومن أين جاء، لا أنه قد جاءت فيه المواعظ التي هي عبارة عن الإخبار بالموت وضياع المال وفراق الأهل وخراب الزمن في عرف الناس كما جاءت في أخبار المتأخرين الذين لا يعرفون من روح الدين الإسلامي شيئاً ولا يعرفون إلا مواعظ كمواعظ الأولين، ومن أولئك أبو العتاهية.

لقد قرأ القارئ في ديوان أبي العتاهية، ولقد استمعت إليه وحاولت أن استخرج منه شيئاً جديداً مفيداً، فلم أجد شيئاً جديداً، وإنما وجدت عبارة معروفة مشهورة قد صاغها أبو العتاهية في أسلوبه الشعري السهل المبسط الذي لا يتعدى لفظه معانيه ولا يتعدى في جملته ما عرفه الناس قبل أبي العتاهية.

ولكن ذلك العصر الذي نشأ فيه أبو العتاهية هو الذي أوجد أبا العتاهية لأنه يتطلب مثل أبي العتاهية كما يتطلب مثل صديقه أبي نواس الشاعر، فذلك العصر عصر هارون الرشيد أو العصر الذهبي للدولة الإسلامية كما كان يدعي قد أخذ الترف فيه بعض الناس الذين يمثلهم جماعة من زبائن شعر

أبي نواس وغيره من الشعراء المعاصرين لهم ذوي الشعر الماجن والاستهتار الفاضح.

كما أن حالة الحرمان وحالة نفوذ الدين في ذلك العصر واختلاط المسلمين بغيرهم في الأمصار من متعبدي الأمم القديمة قد أوجدت جماعة من المتصوفين الذين أخذوا ينحون بالوعظ منحى جديداً في تعميمه، وفي بعض خصائصه، وإن كان بعضه قد ظهر قبل ذلك، فكان لشعر أبي العتاهية الصدى العميق في نفوس الناس وفي نفوس تلك الطائفة المحرومة المتصوفة على الخصوص، وزاده تقديساً أن العصور الإسلامية المتأخرة قد أخذت تتطور إلى نحو مما يذهب إليه أبو العتاهية، بل إلى أسوأ مما ذهب إليه، حتى أصبح شعر أبي العتاهية شعراً قوياً رصيناً ذا معان جليلة إذا ما قورن بأشعار المتأخرين ممن حذوا حذوه.

وبعد صلاة العصر بما يقرب من الساعة طرح الخوان أمامنا وهو عبارة عن قطعة من القماش ووضعت عليه الأواني فيها طعام العشاء ويتألف من اللحم الضأني الكثير السمين ومن الخبز والمرق والأرز فشبعنا من ذلك وغادرنا القاعة التي لا حد لها أو على الأصح غادرنا تلك البسط والسجاد المفروشة فهي وحدها التي يظهر أنها تحدد مكان الجلوس، وركبنا سيارتنا عائدين إلى بريدة.

وكان قد ركب معنا منظم الدعوة والنزهة فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد قاضي مقاطعة جازان سابقاً، وقاضي إحدى بلدان القصيم حالياً،

وكان من المتنورين بحكم كونه قد سافر وشاهد الناس وعرف أحوالهم، وكان من أولئك القليلين بل هو الوحيد الذي قام كما قمت قبله بالاتصال بكبار أهل البلد للعمل على إنشاء معهد ثانوي في بريدة.

ركب وتخلف معنا عن سيارتنا كاتب القاضي الذي حل محله لأن سيارة فضيلة الشيخ صغيرة لا تتسع له معنا.

وبعد أن غادرنا المكان مررنا بقليب تسمى (قليب الطعمية)، كانت قليباً قديمة يدل على ذلك أن جميع الصخور التي قد طويت بها من كل جانب قد أثرت فيها الأرشية تأثيراً بليغاً تعجز عن مثله يد الذي معه حديدة يحاول أن يفعل بها مثل ما فعلت تلك الأرشية في زمن قصير.

ويظهر من شكلها كذلك أنها قديمة لأنها قد طويت بقطع كبيرة من الصخر لا يستعمل شيء من مثلها في الوقت الحاضر أو ما قبل الوقت الحاضر بقليل، وقد طويت بغير مهارة مما يوحي أن الذين طووها إنما كانوا من أهل البدو أو من القرويين لا من أهل الحضر.

وكنا قد أخذنا دلواً من الرفاق لإخراج الماء من هذه القليب لكي نتوضأ ونشرب من ماءها العذب الذي يقل نظيره فيما حولها، على أن نترك ذلك الدلو للرفاق الباقين إذا ما حضروا بعد غروب الشمس، ومتحنا دلواً ثم دلوين.

وجعلت أتعجب كيف كانت حال العرب الأولين ، فلقد كانوا يعدون أنفسهم من السعداء إذا ما وقف أحدهم على حافة مثل هذه القليب يمتح الدلو مملؤاً

بالماء منها، أو يمتح عبده أو ولده لكي يروي بضع أبعرة أو عدداً من الشياه، لاسيما إذا كان الغيث قد جاد تلك الأرض فذلك منتهى المنى وغاية الدعاء، بدليل أن أحدهم إذا ما ذكر أرض حبيب أو بلداً له فيها من الذكريات ما يطرب له ويعجب به دعا لها بأن يجودها الغيث ويسقي جنباتها الوابل الهتون.

بل ذهبوا في ذلك إلى أبعد من هذا حتى جعلوا السقي والرعي منتهى الدعاء حتى في الحضر وحتى لغير الأرض فكانوا إذا ما دعوا لأحد وتمنوا له التمنيات الطيبة قالوا: (سقيا له ورعياً).

ثم تمثلت نفسي ومثلي بالطبع جميع أو أغلب أهل الحضر لو كنت في مكان ذلك البدوي امتح الماء من هذه القليب وحولي عشرات من الشاء، وهذه الشمس الآن قد تضيفت للغروب وأمامي مسافة طويلة قبل أن أرجع إلى بيتي الذي يتكون من قطعة من الشعر المنسوج وتنتظرني في أحد اركانه أو فيما حوله غانية قد لبست ثوباً هو كل ما لها في الدنيا من سترة فيه تنام، وفيه تستيقظ، قد يصيبه شيء حينما قد يبول أولادها، وهي تذهب بين الحين والحين لتوقد النار تحت قدر أسود يحتوي قليلاً من الدقيق الذي لم يخلطه غير الماء مخالط إلاَّ السمن، ثم أعود من البئر ويعوي ذئب هنا وذئب هناك، ويبرق البرق ويدمدم الرعد، وفي إحدى المرات حين يبرق البرق أرى على ضوءه من بعيد جماعة من العراة محترفي النهب والسلب فأخاف لا على نفسي فقط أو على كل ما أملك من الدنيا شياهي فقط ولكن على الاثنين آراهم وهم يختفون في الشجر هنا وهناك، ويقفزون من مكان إلى مكان.

أتمثل نفسي كذلك وأتمثل بعد ذلك ماذا يحدث لي، لقد أشفقت على نفسي من ذلك، وخفت أن يكون بعض من ذلك حقيقة.

وقطع عليَّ أفكاري قول سائق السيارة: هيا فلتركب فركبت.

عود إلى بدء طلبي العلم على الشيخ ابن حميد:

أعود إلى ذكر بدء صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد فأذكر أنها تعود إلى شهر شوال من عام ١٣٦٣هـ، إذْ كان بهرني بتقريراته على الدروس، وبطريقة تدريسه، فذهبت أنا زميلي الشيخ علي بن سالم السالم الذي صار بعد ذلك مساعد رئيس محاكم القصيم وقلنا عند خروجه من المسجد ونحن نسايره أي نسير معه وهو ذاهب إلى بيته:

يا شيخ أحسن الله عملك نبي نجلس عليك مع الطلبة بعد المغرب في درس الفرائض والنحو.

فسأل كل واحد منا عن اسمه فأخبرناه، فقال: لا بأس.

وقد اعتبرني الشيخ عبدالله بن حميد من طلبته الذين يدرسون عليه، إذْ خصص لي مقرراً شهرياً من المساعدة التي طلب من الملك عبدالعزيز أن يجريها لطلبة العلم في بريدة، إذْ أعطاني فهد بن مزيد الخطاف ستة ريالات من الشيخ عن شهر ذي القعدة عام ١٣٦٣هـ، وقال: هذه من الشيخ لك وتراه يقول إنها إن شاء الله ستكون راتباً شهرياً يصرف في كل شهر.

ودخل الشيخ بيته وبعد أيام دخل عام ١٣٦٤هـ من أوله توطدت صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد حتى صرت من أقرب تلامذته إليه قبل خروج ذلك العام الذي هو عام ١٣٦٤هـ.

قوة صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد:

قلت: إن عمري عندما قدم الشيخ عبدالله بن حميد إلى بريدة لأول مرة في عام ١٣٦٣هـ هو ١٨ عاماً ولذلك لم أقرأ عليه في تلك الفترة، إلا أنني كنت أحضر دروسه مستمعاً معجباً بتحليله للمسائل التي يدرسها الطلبة عليه.

وكانت فترة بقائه الأولى في بريدة التي لم تصل إلى أربعة أشهر فترة سبر وتعارف من قبله ومن قبل جماعة أهل بريدة وبين طلبة العلم الذين يسمون الإخوان.

أما هو فإنه كان حاذقاً عارفاً بأقدار الرجال، وقد زاره عدد منهم، ولكنه لم يكن يفتح باب بيته لعامة الناس، لأنه مدرس يلقي دروسه ويستقبل الطلاب ويعتبرهم في المسجد، وبيته قريب من المسجد ومن عادة جماعتنا أهل بريدة ألا يثقلوا بالزيارة على من يرون أنه ليس مستعداً لاستقبال الزوار.

كان القاضي في بريدة عند قدوم الشيخ عبدالله بن حميد للمرة الأولى إلى بريدة هو الشيخ محمد بن عبدالله الحسين، وهو رجل من علماء أهل نجد المتفرغين للعلم الشرعي والعبادة المبعدين عن السياسة وتفهم حيل الناس ودسائسهم.

ولم يكن يجلس للطلبة في الجامع وإنما كان يدرس بعضهم في مسجده في العجيبة، ولذلك لم يكن الكبار من جماعة أهل بريدة يتصلون بالشيخ عبدالله بن حميد إلا للسلام عليه ودعوته إلى القهوة أو على وجبة عشاء.

أما الغداء فإنه صغير عليه آنذاك، إذْ لم يكن الناس قد اعتادوا على تناول طعام مطبوخ في الغداء إلا أرزاً ساذجاً دون لحم أو خبزٍ مع اللبن الرائب.

وإلا فإن الغداء معناه التمر واللبن والزبد، فكثير من الناس يأدمون التمر على الغداء بقليل من الزبد.

ولكن الشيخ عبدالله ليس سريع الاستجابة لهذه الدعوات لأنه ببصيرته الثاقبة لا يرى أن يذهب إلى أحد ربما تكون له مشكلات مع غيره، أو حتى لمجرد كونه لا يليق بالشيخ بل حتى بطالب العلم أن يستجيب لدعوته لاسيما في ذلك العصر.

ولكن الجميع وبخاصة من حضروا دروسه في المسجد الجامع، وجميع دروسه كانت في المسجد الجامع قد أجمعوا على سعة علمه، ولذلك احترموه وبخاصة طلبة العلم.

أما سائر الناس فإنهم كانوا في مرحلة تقويمه في نفوسهم، مع أنه مجرد مدرس وليس قاضياً، ولو كان قاضياً لتابعوا كل ما يصدر منه، لأنه يؤثر على المتقاضيين عنده ويدل على فقهه في القضاء ومنزلته فيه.

وهو أيضاً دليل للمتقاضيين أو الذين سوف يتقاضون عنده، فيعرفون طبيعته في القضاء قبل الذهاب إليه.

هذا بالنسبة إلى عامة الناس أما بالنسبة لي أنا وأنا فتى اعتبر من صغار طلبة العلم، بل لا أعد منهم إذا عدوا فإنني لم تكن لي صلة بالشيخ عبدالله بن

حميد لعدم قراءتي عليه ولطبعية فيَّ في عدم الاسراع إلى التعارف على الناس، الذين ليست لي حاجة بهم مثل صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد أول ما جاء إلى بريدة مدرساً وقبل أن يعين قاضياً، وإنما كنت أحضر دروسه مستمعاً، ولم أعرفه بنفسي، ولم أحضر مجلساً من مجالسه الخاصة.

وقد استمرت مدته تلك أربعة أشهر إلا عدة أيام.

ولكن صلتي به القوية بدأت عندما عين قاضياً وكان لا يزال مواظباً على تدريس الطلبة لا يخل بذلك، ولم يؤثر عليه عمله في القضاء على عمله بالتدريس، فقد بدأت القراءة عليه كما قدمت في شوال عام ١٣٦٣هـ.

معهد بريدة:

قال لنا الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد، وكان ركب معنا في السيارة: إنني قد اتصلت ببعض الجماعة على أثر ما نشر أن مجلس المعارف قد قرر فتح معهد في بريدة تابع له ولم يبق على تنفيذ ذلك إلا موافقة الجهات العالية عليه وقلت لهم: إن المعارف قد قررت فتح معهد في بريدة وأنتم تعلمون ما في هذا المعهد التابع للمعارف مما نخشى أن يحدث مثله في بريدة ولذا فمن رأيي الطلب سريعاً من ولي العهد بفتح فرع لمعهد الرياض تحت رئاسة فضيلة قاضي بريدة، وفيه كل المزايا التي في معهد الرياض العلمي، فيه الإعانة الضخمة للطلاب التي تبلغ أكثر من راتب الموظف في المدارس الابتدائية، ولا يدرس فيه إلاَّ علوم دينية مرضية ولا يدرس فيه إلا أساتذة مرغوب فيهم ترضون عنهم ويرضى عنهم فضيلة الشيخ، أي القاضي.

قال: وبعد مداولات رضوا بالكتابة، وقالوا لي: أعِدَّ لنا كتاباً موجهاً منا إلى ولي العهد لكي نوقع عليه ونرفعه من طريق القاضي لكي يعلق عليه بما يجعله سريع المفعول نافذ التأثير.

هذا ما قال صديقي الشيخ، ولقد أخذ مني الطرب مأخذاً عجيباً وفرحت بذلك فرحاً شديداً؟

الحمدلله لقد تحقق ما سعيت فيه سابقاً وما تمنيته مراراً، بل ما لم أفتأ أتمناه لا أفتر.

قال صاحبي: ولكنني أريد منك المساعدة بكتابة هذه العريضة، إنني أبحث عنك منذ أمس وهم لم يتفقوا إلا هذا اليوم على أنهم لم يتفقوا كلهم، وإنما اتفق بعضهم، ولكن الذين لم يوافقوا هم الأقل الذين لا يؤثر عدم موافقتهم كثيراً على المشروع.

فأجبته قائلاً: بكل سرور سوف أفعل ذلك، ومتى تحب أن أوافيك به؟ فقال غداً صباحاً، فقلت: إن شاء الله.

على قمة الكثيب:

جرى حديثنا هذا بينما كانت السيارة تسير وتسرع في سيرها، وعندما علونا قمة الكثبان القريبة من بريدة المسماة (الضاحي) أي مجموعة الكثبان ذات المراعي، وقد بقي على غروب الشمس ما يقرب من خمس دقائق، قال فضيلة الشيخ لسائق السيارة: اخرج بنا عن الطريق نريد الصلاة هنا في هذا

المكان العالي الذي يغسله النسيم وعلى ذلك البساط الرملي الذهبي.

وصلينا المغرب ثم استلقينا على تلك الأرض اللينة الجميلة، وهنا عرفنا أننا مرتفعون حقاً، فقد رأينا ضوء مصباح سيارة، ولكنها لم تصلنا إلا بعد مدة طويلة، ولبثنا في موضعنا ذلك ما يقرب من ساعة وربع الساعة قطعنا تلك المدة بالأخبار العلمية والأحاديث الأدبية والتاريخية، وناهيك بمجلس رئيسه وأكبر من فيه فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة، ورئيس قضاة مقاطعة القصيم وأركانه الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد والشيخ عبدالله الرشيد الفرج خطيب مسجد جامع بريدة، أما رابعهم الذي يستمتع بمجلسهم ويشارك في حديثهم فهو أنا، ولا خامس لهم إلا سائق السيارة الذي لا يفهم من حديثهم شيئاً.

ومما جاء في ذلك المجلس وقد جرى الحديث عن الكتب الخطية وعن تطور الخط، وعن أخبار الخطاطين ونساخ الكتب، وكان الحديث كثيراً متشعباً، ولكن منه ما حدثنا به فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قال: إنه في وقت استيلاء محمد بن رشيد أمير نجد على الرياض أمر بنقل جماعة من العلماء الذين يخاف من تأثيرهم على العامة وتحريضهم على الثورة على حكمه والانتفاض عليه، ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان، أمر بنقلهم بصفة زائرين إلى حائل وعندما تمت الزيارة والضيافة وإكرام الوفادة للشيخ سليمان بن سحمان استأذن هذا من الأمير ابن رشيد في أن يعود إلى وطنه الرياض بعد أن حظي بالسلام على الأمير وبزيارته، ولكن الأمير خاف من أن يعود فلا

يأمن ما خافه، فقال للشيخ سليمان بن سمحان: لا بأس إننا لم ندعك إلى هنا إلا لإكرامك، وإذا كنت تود الرجوع إلى بلدك فإننا لا نكرهك على البقاء هنا إلا أنني كما يعلم أكثر الناس مغرم بتفسير ابن كثير رحمه الله وقد جعلت فيه درساً يقرأ عليَّ كل يوم وليس عندي منه نسخة مصححة ولذلك فإني أرغب إليك أن تنسخ لي منه نسخة تكون بخطك الجميل مضبوطة مصححة وأراد الأمير من ذلك أن يعيق الشيخ عن السفر إلى الرياض ويجعل من ذلك ما يشبه اعتقاله، ولم يسع الشيخ ابن سلحمان إلا أن يذعن للأمر ويبدأ بالكتابة فيه، وقد قدر له ابن رشيد لانتهائه من نسخ الكتاب مدة طويلة، إلا أن الشيخ قد أخذ يجد ويجتهد ولم تتم أربعة أشهر إلاَّ وقد تم الكتاب الذي يقع في أربع مجلدات بالقطع الكبير أو سبع مجلدات بالقطع العادي.

وتذكرت عند ذلك أنني في حداثتي في أول طلبي للعلم كنت أنسخ بعض الكتب ومنها طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب، ولقد كنت أكتب في اليوم والليلة ما يقرب من عشر ورقات حتى أتممت المجلد الأول منها وهو يقرب من سبعة وعشرين كراساً في مدة تقارب الخمسة والعشرين يوماً، وذلك في سنة خمس وستين وثلثمائة وألف عندما كان ذلك الكتاب لا يزال مخطوطاً لم يطبع، ذكرت ذلك في نفسي ولكنني لم أذكره لهم خوفاً من أن يقال إنه بهذا يمدح نفسه.

ثم امتطينا السيارة، وبعد فترة وجيزة وبينما كان المؤذن يؤذن لصلاة العشاء كنا ندخل باب بريدة عائدين من تلك النزهة.

ولقد عاودتني وأنا في السيارة وهي تقطع الأرض التي لا تكاد تجد فيها الرقعة الخضراء فيما عدا ما حول بريدة عاودتني أفكار طالما ساورت ذهني وطالما أقلقتني وحزت في نفسي أن أرى هذه الأرض التي لو لقيت عناية لأصبحت غير هذه الأرض المهملة القاحلة وتحولت إلى أرض خضراء تؤتي أكلها كل حين.

لقد كنت أقارن في نفسي بين اليهود الذين أصلحوا من صحراء النقب في فلسطين ما لم يستطع العرب أن يصلحوه مدة مقامهم في تلك الأرض وقلت في نفسي: إن أرضنا هذه ولاسيما أرض القصيم أرض صالحة للزراعة لو وجد من يستصلحها ولكن من هو؟

أين فخرنا نحن العرب بأننا أرفع مقاماً وأعظم شأناً وأشد إخلاصاً للحياة وحماية للجار وأحفظ للزِّمام من غيرنا من الأمم ولاسيما أولئك الأوباش الأرجاس الذين ادعوا أنهم أمة تجمعت تحت لواء دولة إسرائيل؟

نعم إننا لكذلك ولكن ما بال حكومات العرب تبذر أموال الشعب وتعبث بثروتهم كما لو لم يكن الشعب من الآدميين؟

وما بالنا في بعض ديارنا أضعنا ديننا وأضعنا دنيانا حتى أصبحنا كالغراب الذي أضاع مشيته، وعجز عن تقليد القطاة في مشيتها؟

إن الحكومات لم تنظر نظرة واحدة إلى تلك الأراضي ولا إلى جموع الشعب التي هي أحوج ما تكون إلى من يصلح لها تلك.

ومع ذلك يقولون لماذا انتصر اليهود في فلسطين؟ ولماذا خذل العرب؟

انتصر اليهود لأنهم ملكوا أسباب النصر ملكوا الأسباب التي يأمرنا ديننا بالاستمساك بها ولكننا أضعناها، ويا للأسف!!!

هلال شعبان:

بينما كنت بعد ظهر اليوم عند الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة إذ وردته برقية من جلالة الملك يقول فيها: إنه قد ثبت شرعاً بشهادة رجلين عدلين رؤية هلال شعبان في ليلة الجمعة وإن الثلاثين من شهر شعبان هو يوم السبت- أي غداً-

وهذه هي العادة أن الذي يبحث عن الهلال ويهتم به هو الملك، وهو يرسل للقضاة في جميع أنحاء المملكة البرقيات بهذا الخصوص ليتحروا عن رؤية الهلال، وإذا ما ثبت لدى أحدهم ذلك أرسل للملك يخبره بثبوته فيرسل الملك بعد ذلك وبعد أن يستشير بعض العلماء في الرياض أحياناً إلى جميع القضاة والأمراء في المملكة برقيات بذلك، أما البلد الذي لا يوجد فيه جهاز لاسلكي فإن أقرب أمير إليه يكلف بإبلاغه.

وقد قام أمير بريدة بهذا الأمر فأرسل سيارة تطوف على قرى القصيم وبلدانه جميعها، ما عدا عنيزة التي يوجد فيها جهاز لاسلكي حاملة تلك السيارة الإفادة بثبوت دخول شهر شعبان وأن غداً لا يصام إلا برؤية لأنه آخر شهر شعبان أي اليوم الثلاثون منه أما بعد غد فإنه أول يوم من رمضان قطعاً بإتمام شعبان ثلاثين يوماً وهو يصام ولو لم ير الهلال.

إنتهى.

مناصب الشيخ عبدالله بن حميد:

ونحب هنا أن ننبه القارئ الكريم على تاريخ بعض المناصب التي تولاها الشيخ تنبيهاً مجملاً:

عُيِّنَ قاضياً في الرياض عام ١٣٥٧هـ.

ثم قاضياً في سدير عام ١٣٦٠هـ.

ثم أرسله الملك عبدالعزيز آل سعود إلى بريدة شيخاً لطلبة العلم فيها ومدرساً في الجامع ثم سافر للرياض، ثم في عام ١٣٦٣هـ عاد إلى بريدة قاضياً وشيخاً مدرساً لطلبة العلم أيضاً.

عينه الملك فيصل في عام ١٣٨٤هـ رئيساً لشئون الحرمين الشريفين باسم (رئيس الإشراف الديني في المسجد الحرام)، ثم عينه الملك خالد رئيساً للمجلس الأعلى للقضاء في عام ١٣٩٥هـ.

وبقي في هذا المنصب حتى توفي في آخر شهر ذي القعدة عام ١٤٠٢هـ.

أول قضية نظر فيها الشيخ وحكم بها كان ذلك في عام ١٣٥٧هـ: حدث بذلك شيخنا، قال جاءني بدوي يدعي أن رجلاً من أهل الحوطة قد أخذ له شاة صغيرة فأكلها، وطلب البدوي عين شاته فقلت: مالك إلا قيمتها.

فتنازعوا في قدر القيمة.

قال الشيخ عبدالله فاحترت من المصدق فيهم ومن الذي يقبل قوله.

وبعد فترة من الفكر تذكرت أن القول قول الغارم بيمينه.

والغارم هو ذلك الحضري الذي أخفى الشاة وأكلها، فالشيخ عبدالله حكم بأنه يؤخذ بقول الغارم وهو الحضري مع يمينه في قيمة الشاة.

فإذا كانا تنازعا في قيمتها كأن قال البدوي أن قيمتها تسعة ريالات، وقال خصمه الحضري إنها لا تزيد عن سبعة، فالقول قول الحضري وهو الغارم مع يمينه أي بأن يستحلفه القاضي أنها لا تساوي أكثر من سبعة ريالات.

وحكم بذلك.

قال شيخنا: كانت هذه أول قضية حكمت فيها.

وما يتعلق بعمل الشيخ عبدالله بن حميد عندما كان في سدير:

حدثني شيخنا قال: كنت في قضاء سدير ولكن إقامتي في مدينة المجمعة، فجاء إليَّ رجل استظرفه، واستمع إلى حديثه، وقال لي:

يا شيخ أحسن الله إليك، أنت تبي تروح وتخلينا!

قال: وأنا لا علم لي بشيء من ذلك فاستغربت كلامه، وقلت له: من أين عرفت ذلك- لأنني بالفعل لم أكن أنوي أن أترك سدير، فقال: رأيت البارحة فيما يرى النائم أنك طرت من بيتك وتركت بلدنا ذاهباً جهة الشمال في طيرانك.

قال: والطيران في المنام رفعة ومعزة، فهذا يدل على أنك ستذهب إلى بلد أكبر من بلدنا.

قال شيخنا: وبعد أيام قليلة جاءني كتاب من الملك عبدالعزيز آل سعود بأن أذهب إلى بريدة مدرساً.

وفي ميدان أخر حدث شيخنا الشيخ ابن حميد قال:

عندما كنت في المجمعة وعظت الناس في آخر موسم الأمطار من أجل الاستسقاء فقال رجل من الناس: راح وقت الأمطار الشمس تشوي العصفور.

قال الشيخ فاستسقى الناس وجاء الله بالمطر الكثير فانفجرت شعبة من الوادي على بيت الرجل الذي استنكر الاستسقاء في هذا الوقت فسقط بيته وتلف جميع ما فيه ولم يصب غيره بأي أذى من هذا المطر.

قال الشيخ فلما كان في الجمعة التالية تكلمت في المسجد وقلت للناس: إننا سنجمع له معاونة من أخوانه المسلمين فجمعنا له شيئاً طيباً.

قال شيخنا: وفي موضوع مختصر: لما توليت قضاء سدير اطلعت على حكم مصدق من الشيخ عبدالله العنقري في مسألة المزارعة وقد لاحظت عليه كلمة في غير محلها فكتبت للشيخ العنقري استفسر منه عن ذلك، فمضت مدة ثم جاء الجواب بقوله:

ان تجد عيباً فسد الخللا جَلَّ من لا عيب فيه وعلا

كان الملك عبدالعزيز يرسل الرسائل في الشئون العامة إلى الشيخ عبدالله بن حميد عندما كان قاضياً في سدير يساله عن بعض الاشياء، ويكل إليه النظر في أمور عامة كما يتضح ذلك من هذه الرسائل:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبدالله بن حميد وعبدالرحمن بن سعيد سلمهما الله أمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بعد ذلك هذا واصلكم خادمنا إبراهيم الشايقي معه دراهم سلف مزارعين أهل المجمعة وسدير النقدية وقدرها اثنين وثمانين ألف ريال وذلك موجب تصريف الخراص ابن عثمان والقضيبي عن كافة مطلوب أهل سدير والغاط والزلفي، إن شاء الله يجتمعون ابن عثمان والقضيبي والذين اجتمعوا معهم مع خادمنا إبراهيم الشايقي ويشوفون المستحق الذي ماله مقدره ويعطونه أولاً ثم الإنسان الذي فيه بعض المقدرة بعد ذلك.

القصد يصير عطاء الناس درجات مثل ما أخبرنا خادمنا الشايقي ووصيناه به ولا يعطى إلا الزارع الموثوق الذي تنفعه هذه ويقوم حراثته وإذا- ساعده الله يوفى ما عليه.

من طرف أهل الغاط والزلفي يروح لهم رجال منكم مع خادمنا الشايقي وينظر بهم مثل ما ذكرنا أعلاه ويسلمون لهم الذي لهم عندهم ومن طرف العيش البذر[1].

(١) لم أعثر على بقية هذه الرسالة.

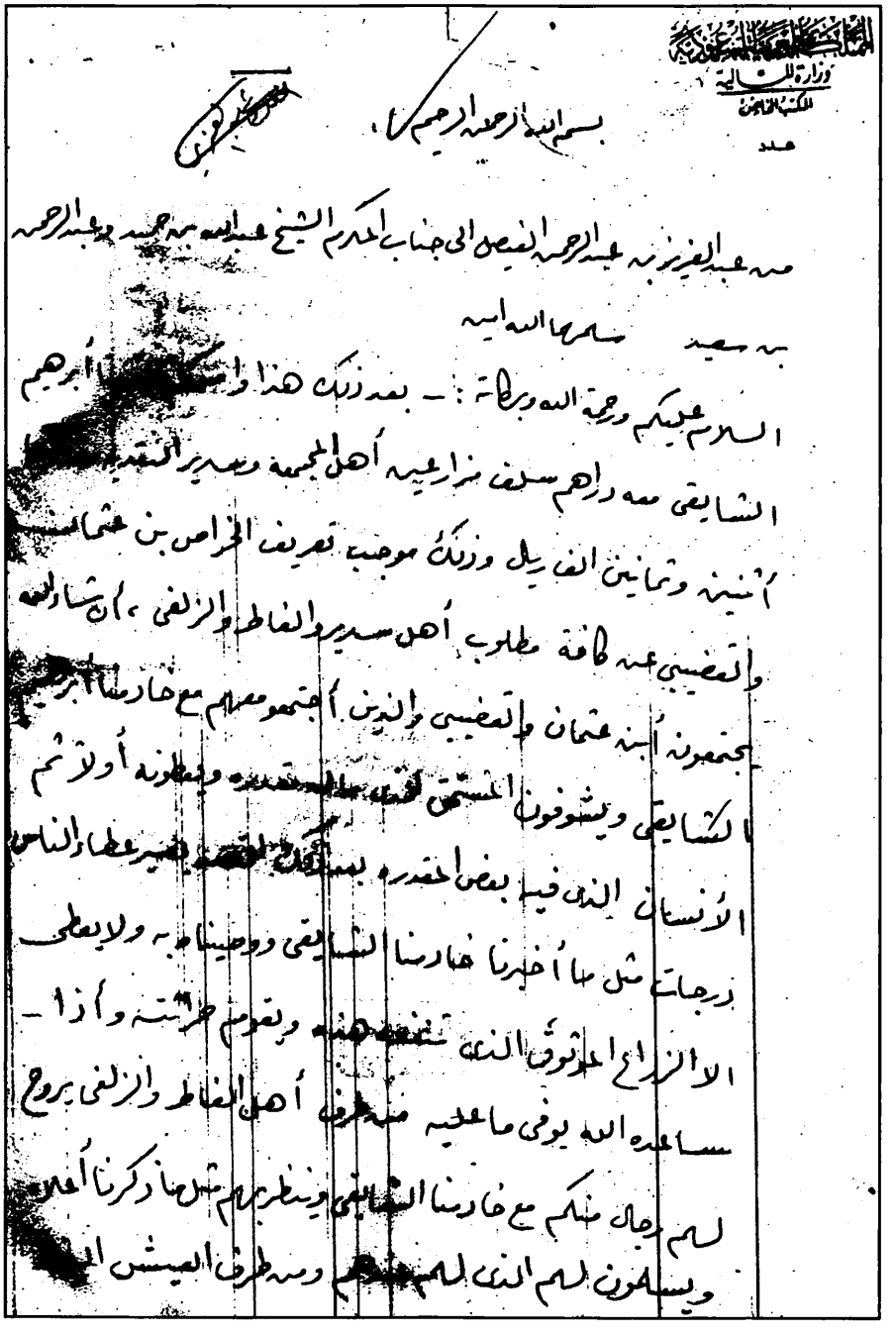

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب المكرم الشيخ عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن سعيد سلمهما الله آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :- بعد ذلك هذا وأبو [illegible] الشايقي معه وراهم سلف مزاعيه أهل الجمعة وصدير [illegible] أثنين وثمانين الف ريال وذلك موجب تصريف الخراص بن عثمان والقضيبي عنه كافة مطلوب أهل سدير والغاط والزلفى ، ان شاء الله يجتمعون ابن عثمان والقضيبي والذين أجتمعوا معهم مع خارصنا ابن [illegible] الشايقي ويشوفون المستحق [illegible] ويطلعونه أولا ثم الأنسان الذي فيه بعض احتمده بسبب [illegible] الأنسان الذي فيه بعض احتمده بسبب [illegible] زرجات مثل ما أخبرنا خارصنا الشايقي ووصينا به ولا يطلع الا الزراع الحاضرون الذين [illegible] وتقوم حرمته وأزا - سعاده الله يوفي ما عليه منه طرف أهل الغاط والزلفى يروح لهم رجال منكم مع خارصنا الشايقي وينظرهم مثل ما ذكرنا أعلى ويسلمون لهم الذي لهم [illegible] ومنه طرف العيش الي

أرجو أن أوضح هنا المعنى الاصطلاحي الوارد في رسالة الملك عبدالعزيز إلى شيخنا عبدالله بن حميد، هي كلمة (خادمنا) فليس المراد منها الذي يقوم بخدمتنا في البيت أو نحوه، وإنما يعني (خادم) في اصطلاح أهل نجد رجل الأمير أو السلطان، فقد عهدت الناس في بريدة يسمون رجال الأمير خدام الأمير، ولا يأنف هؤلاء من أن يوصفوا بذلك لأنه يدل على شرف لمن يعمله وهو أنه يعمل في ميدان الخدمة العامة.

ولو نعتهم شخص بأنهم (خُدّام) لفلان أو فلان لغضبوا ولاسمعوه ما يكره.

فكلمة (خادمنا) في رسالة الملك عبدالعزيز هذه معناها القائم بأمرنا، أو الذي انتدبناه لخدمة الأمور العامة لدينا.

دروس الشيخ عبدالله بن حميد في المجمعة :

في المجمعة رتب الشيخ عبدالله بن حميد التَّدريس للطلبة في المسجد المُسمى مسجد ناصر بعد صلاة الفجر في التوحيد والفقه ومصطلح الحديث، ثم ينتقل إلى بيته فيدرس في كتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) و(إعلام الموقعين)، و(فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) وكتب أخرى، ثم يجلس في المسجد بعد الظهر فيدرس كتاب البداية والنهاية، وكتاب منتقى الأخبار، وذلك بعد أن يكون قد فرغ من القضاء والإفتاء والمسائل المعروضة عليه.

أما حلقته التي يجلس لها بعد العصر في المسجد فيدرس فيها كتاب بُلُوغ المرام وكتباً أخرى في الأصول وكشف الشُبُهات والعقيدة الواسطية وله جلسة أخرى بعد صلاة المغرب في المسجد يدرس فيها الفرائض.

أما ما عدا هذه الأوقات فمُخَصَّص للمطالعات والمراجعة في المنزل.

وعندما كان الشيخ عبدالله بن حميد على قضاء بريدة لم يكن مقتصراً على النظر في حسم الخصومات وإصدار الأحكام الشرعية فيها وأكثرها أحكام مهمة قد تشتمل على قصاص من جانٍ أو جلد من يستحق الجلد.

أو تغريم مال كثير لمن أخذ مالاً كثيراً ليس له، وإنما كان ينظر في أمور المدينة كلها ويتابعها كما سيأتي.

وسنذكر هنا شواهد مما يتعلق بتعيين القضاة في منطقة القصيم فهو كسلفه الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله كانت وظيفته (قاضي بريدة)

ولكنه كان في الحقيقة رئيس قضاة القصيم، وكان الملك عبدالعزيز آل سعود يرجع إليه في ترشيح كثير من القضاة.

وأود أن أورد هنا رسائل من الملك عبدالعزيز أو من الملك سعود موجهة إلى شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد تؤيد ذلك، وليست كل الرسائل المتعلقة بهذا الأمر وإنما هي نماذج لها.

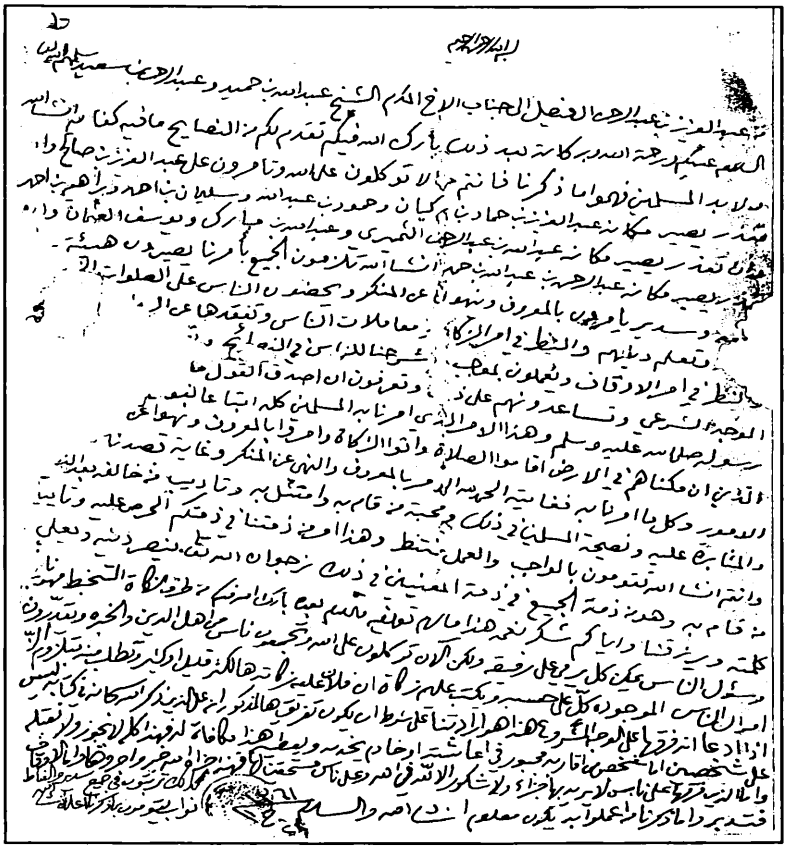

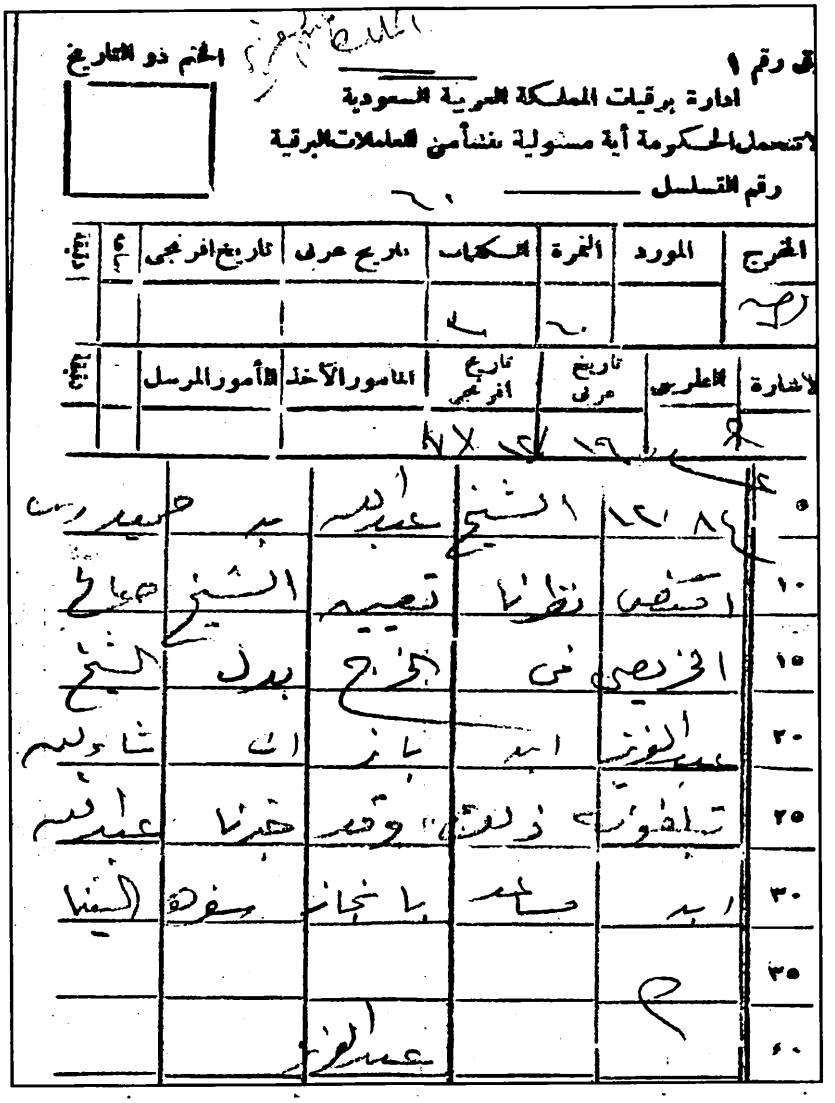

ق رقم ١

الختم ذو التاريخ

إدارة برقيات المملكة العربية السعودية

لا تتحمل الحكومة أية مسئولية بشأن المعاملات البرقية

رقم التسلسل ـــــــ ٢٠

المخرج	المورد	الفئة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	ع	تابع
		٢٠	٢٤				

الاشارة	المعارض	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ع	تابع
		١٦	٨٧				

٥	١٤٠٨٩	الشيخ	عبدالله	بن	حميد رس
١٠	احضر	نظرنا	تصيبه	الشيخ	هباط
١٥	الخريصي	في	الخرج	بدل	الشيخ
٢٠	عبدالعزيز	ابن	باز	اك	شاولكم
٢٥	تلفونك	زلتي	وقد	خبرنا	عبدالله
٣٠	ابن	حميد	بالخبر	سفة	السنيا
٣٥					
٤٠			عبدالعزيز		

الشيخ عبدالله بن حميد ومنا اقتضى نظرنا تعيين الشيخ صالح الخريصي في الخرج بدل الشيخ عبدالعزيز ابن باز إن شاء الله تبلغونه ذلك وقد خبرنا عبدالله ابن مساعد بانجاز سفره إلينا.

عبدالعزيز

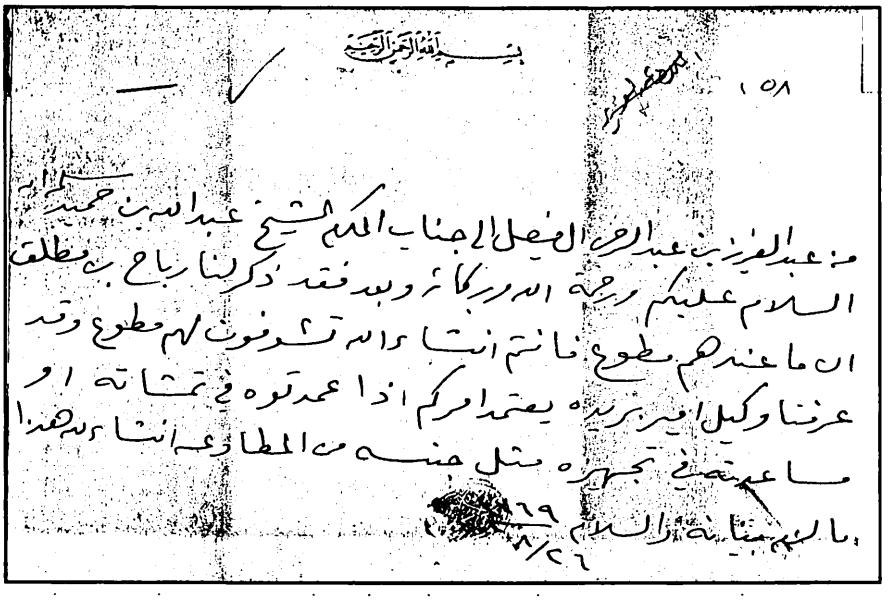

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبدالله بن حميد سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ذكر لنا رباح بن مطلق أن ما عندهم مطوع فانتم انشاء الله تشوفون لهم مطوع وقد عرفنا وكيل أمير بريدة

يعتمد أمركم إذا عمدتوه في تمشاته أو مساعدته في تجهيزه مثل جنسه من المطاوعة إن شاء الله هذا ما لزم بيانه والسلام.

١٣٦٩/٨/٢٦هـ.

أقول تلك القرية المشار إليها واقعة في القصيم لذلك أراد الملك عبدالعزيز من شيخنا أن يبحث لأهلها عن (مطوع) يرشدهم ويؤمهم في الصلاة.

و(المطوع) إن لم تكن نعرفه هو دون القاضي، ولكن فوق إمام المسجد، وقد يسمى (مرشداً لأمور الدين).

ومن مذكراتي الشخصية:

يوم الخميس ٢١ صفر عام ١٣٧١هـ ٢١ نوفمبر عام ١٩٥١م:

يطلبون قاضياً:

يزور بريدة الآن وفد من أهل الرس يتالف من كبار بلدة الرس ويطالب هذا الوفد بعزل قاضي الرس الحالي وتعيين بدله، ولكنه لم يجد ما يقدح به في قاضيهم الأول، ولذا فإنهم لما ذكروا ذلك لفضيلة الشيخ عبدالله بن حميد قاضي بريدة ورئيس قضاة القصيم بصفته المرجع الاول في شؤون القضاة في القصيم وتوابعه من البادية لم ير فضيلته أن ما ذكروه عن شيخهم يبرر إقالته وتعيين غيره، ولكنه ردَّ عليهم بالحسنى، وقال لهم: إنني لا أرى من يصلح لكم غير قاضيكم، وإذا تعرفون أحداً بعينه وترغبون أن أعينه فيكم فافعلوا.

ولكنهم لم يذكروا أحداً فأرسلوا برقية إلى سمو ولي العهد المعظم يطلبون فيها من سموه عزل قاضيهم وتعيين غيره في الرس، فأرسل الرد لا إليهم ولكن إلى فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد، ويقول: له افعل ما تراه فرجعوا مرة ثانية وثالثة إلى الشيخ.

وفي النهاية قال لهم: سوف ألاحظ مسألتكم إن شاء الله، وعندما أرى أن أحداً يصلح لكم قاضياً أصلح من قاضيكم الحالي فإنني سوف أعينه فيكم وأنقل قاضيكم الحالي إلى مكان آخر، فرضوا بذلك مكرهين، وقد أزمعوا الرحيل والرجوع بخفي حنين.

وكان الملك عبدالعزيز آل سعود يكاتب شيخنا في مصالح أخرى منها عمارة المساجد مثل هذه البرقية التي أرسلها إليه الملك عبدالعزيز حول عمارة بيت مسجد الجردة، وكتبها محرر البرقية وموظف اللاسلكي الذي أرسلها (الجارده).

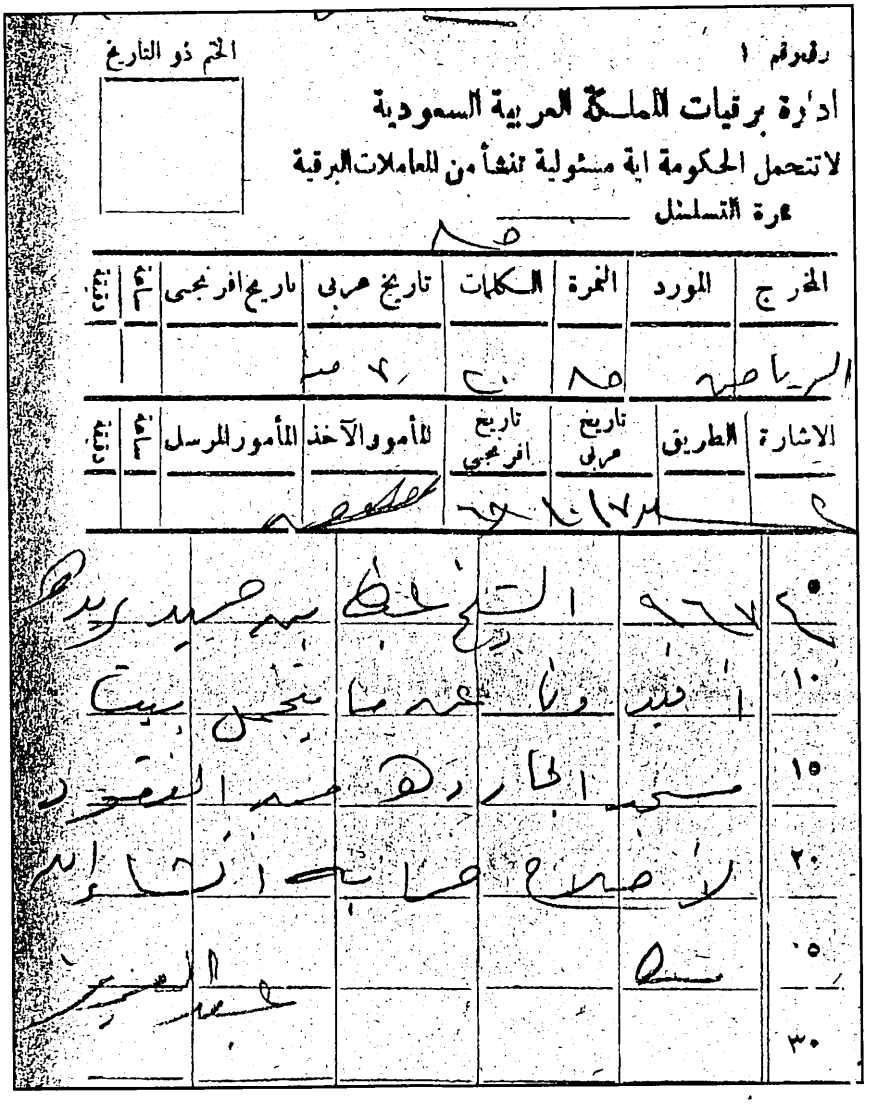

ونصها:

الشيخ عبدالله بن حميد بريدة، أفيدونا عن ما يتحمل بيت مسجد الجارده من النقود لإصلاح خرابه إن شاء الله.

عبدالعزيز

كما صار الملك سعود يكتب للشيخ عبدالله بن حميد فيما يتعلق بالمصالح العامة حتى قبل أن يتولى الملك، وكان ذلك في آخر حياة الملك عبدالعزيز رحمهما الله.

مثل هذه المتعلقة بترشيح قضاة:

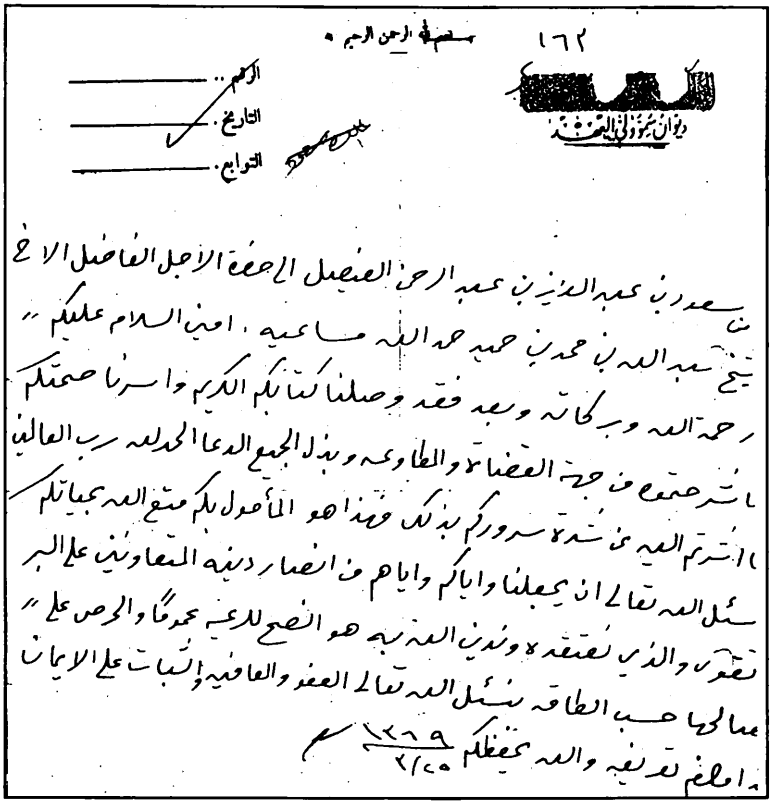

بسم الله الرحمن الرحيم

١٦٢

الرقم:
التاريخ:
التوابع:

ديوان سمو ولي العهد

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الجعفة الأجل الفاضل الأخ
شيخ عبدالله بن محمد بن حميد حفظه الله ومن عنده. أما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابكم الكريم وأسرنا مضمونه
وأشرحتموه من حاجة القضاة والطاوعة وبذل الجميع الدعا والحمد لله رب العالمين
وأشرتم إليه من شدة سروركم بذلك فهذا هو المأمول بكم متع الله بحياتكم
نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم وإياهم من أنصار دينه المتعاونين على البر
والتقوى والذي نعتقده وندين الله به هو النصح للدين عمومًا والحرص على
عمارتها حسب الطاقة نسأل الله تعالى العفو والعافية والثبات على الإيمان
والسلام تحريرًا والله يحفظكم ٢٦٩ ٢/٥٥

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى حضرة الأجل الفاضل الأخ الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حمد الله مساعيه، أمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وبعد فقد وصلنا كتابكم الكريم واسرنا صحتكم وما شرحتموه من جهة القضاة والمطاوعة وبذل الجميع الدعا الحمد لله رب العالمين.

ما أشرتم إليه في شُدة سروركم بذلك فهذا هو المأمول بكم متع الله بحياتكم نسئل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم وإياهُم من أنصار دينه المتعاونين على البر والتقوى والذي نعتقده وندين الله به هو النصح للرعية عموماً والحرص على مصالحها حسب الطاقة نسئل الله تعالى العفو والعافية والثبات على الإيمان، هذا ما لزم تعريفه والله يحفظكم.

١٣٦٩/٣/٢٥هـ.

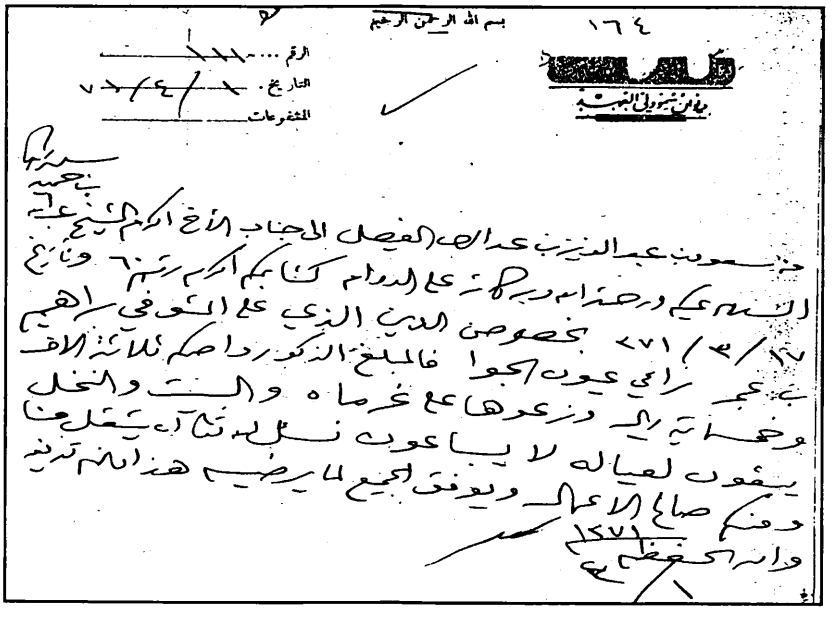

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب الأخ المكرم الشيخ عبدالله بن حميد سلمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام كتابكم المكرم رقم ٦٠ وتاريخ ١٣٧١/٣/١٧هـ بخصوص الدين الذي على المتوفى إبراهيم بن عمر راعي عيون الجوا فالمبلغ المذكور واصلكم ثلاثة آلاف وخمسمائة ريال وزعوها على غرماه والبيت والنخل يبقون لعياله لا يباعون نسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ويوفق الجميع لما يرضيه هذا ما لزم توقيعه والله يحفظكم.

١٣٧١/٤/١هـ.

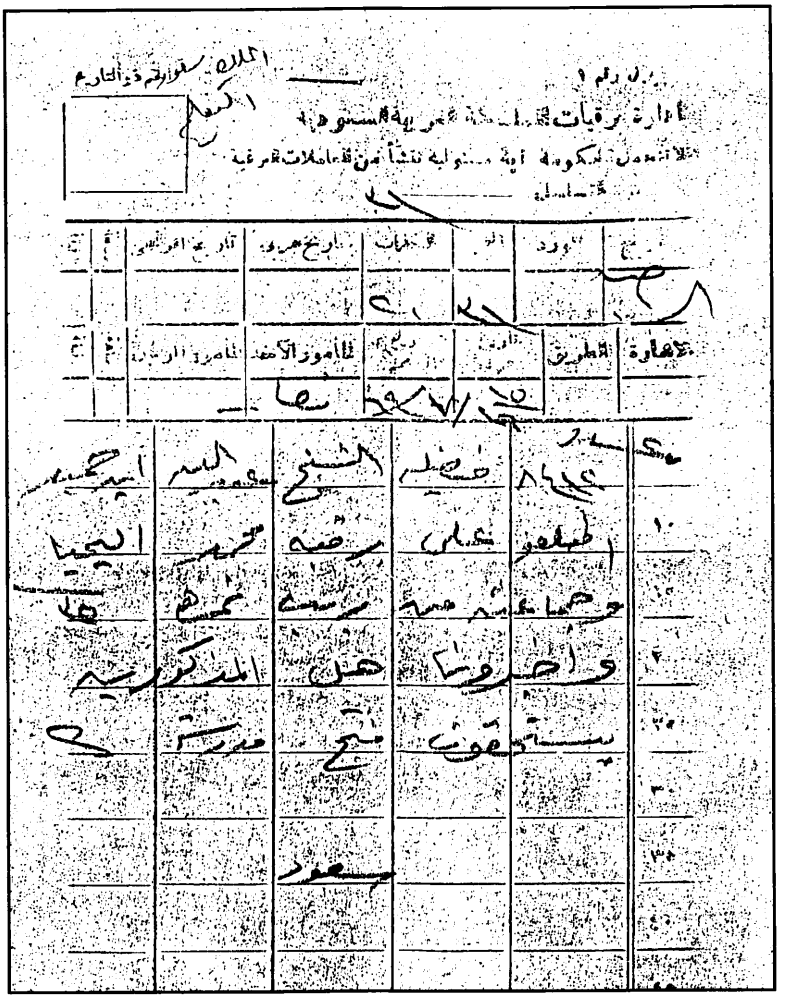

وبحروف الطباعة:

فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد:

اطلعوا على برقية محمد اليحيا وجماعته من بريدة نمرة ٣٥ وأخبرونا هل المذكورين يستحقون فتح مدرسة.

سعود

وقد سها الكاتب واتبع مصطلحاً ذهب الآن وهو أنه ذكر أنهم من بريدة والصواب أنهم من أهل النبهانية، وإنما المراد أن البرقية مرسلة من اللاسلكي في بريدة، لأنه لم يكن لديهم في ذلك الوقت برقية في النبهانية ويمكن فهم هذا بسهولة من ذكر نص برقيتهم التي رفعوها لولي العهد آنذاك الأمير سعود بن عبدالعزيز قبل أن يتولى الملك.

وبحروف الطباعة :

سمو ولي العهد المعظم

نرجو التكرم بإخراجنا من ظلمات الجهل إلى نور العلم بالأمر على المعارف تعميد معتمد القصيم بفتح مدرسة ببلدتنا لوجود عدد من الشباب لا معلم لهم أدم الله عزكم.

محمد اليحيا وجماعة النبهانية

ثم اتصلت كتابات الملك سعود للشيخ عبدالله بن حميد بعد وفاة الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٣٧٢هـ وتوليه الملك بعده.

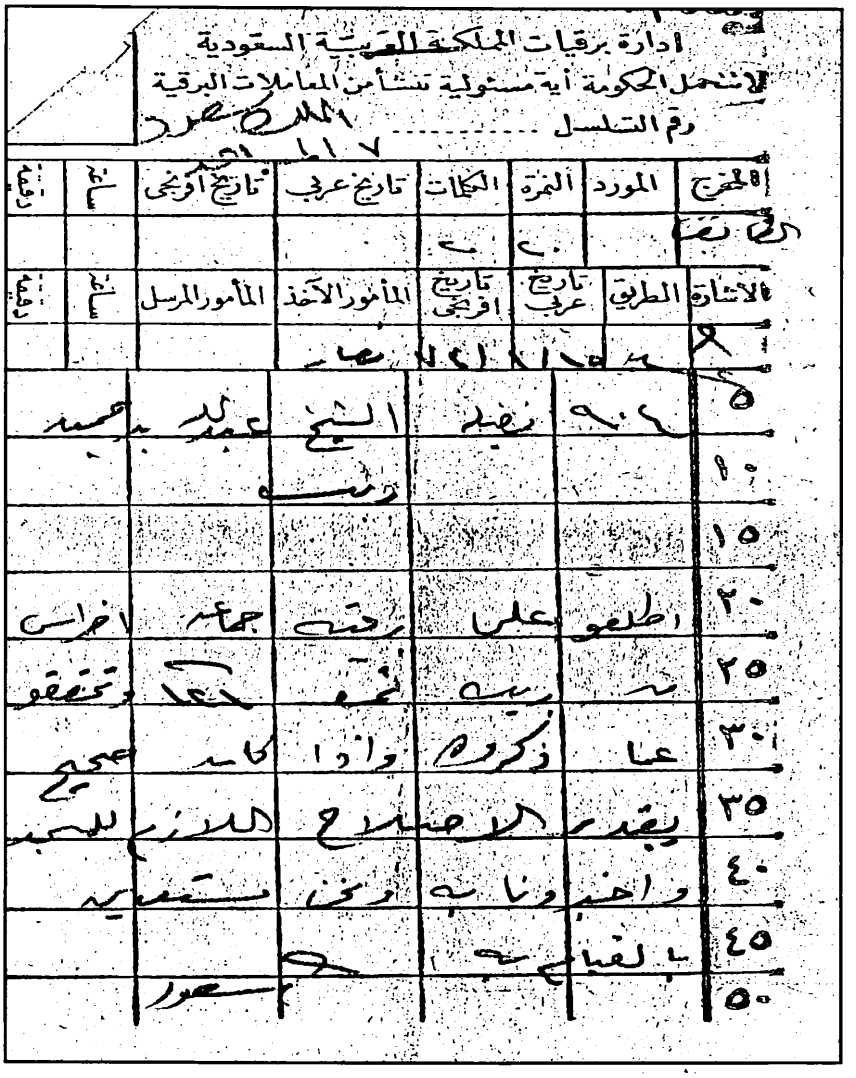

إدارة برقيات المملكة العربية السعودية
لا تتحمل الحكومة أية مسئولية تنشأ من المعاملات البرقية
رقم التسلسل .....

المخرج	المورد	الفرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ أوربي	ع	ع

الاشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ع	ع

٥					
١٠					
١٥					
٢٠					
٢٥					
٣٠					
٣٥					
٤٠					
٤٥					
٥٠					

وبحروف الطباعة :

فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد- بريدة

اطلعوا على برقية جماعة ضراس من بريدة نمرة ١٢٠ وتحققوا عما ذكروه وإذا كان صحيح يقدر الإصلاح اللازم للمسجد، أخبرونا به، ونحن مستعدين بالقيام به.

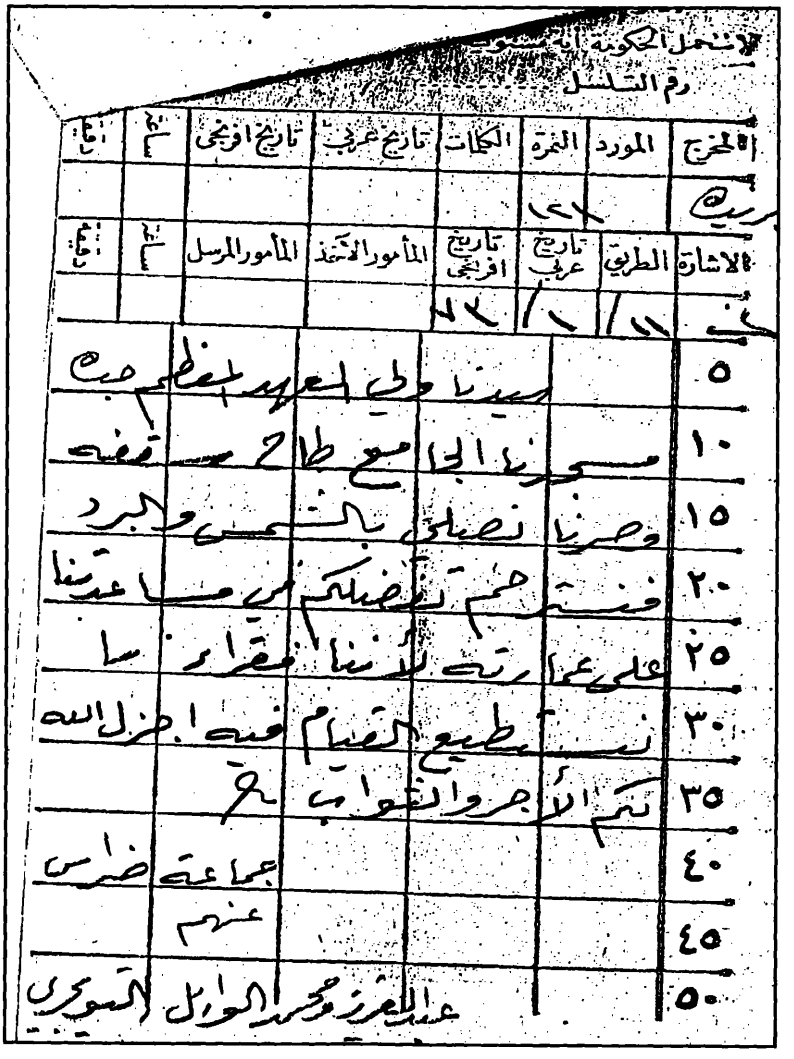

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالله بن فيصل الحفيظ حضرة الأخ المكرم الأخ
الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد سلمه الله تعالى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
السؤال عن أحوالكم أحوالنا بخير وبحمد الله بعد ذلك أدام الله وجودكم
نحن جميعاً قاصدين مكة المكرمة بنية نكون فيها معه ولوالده
قصدي الأكيد منكم والاجتماع بكم وكذلك شوقي اليكم والاجتماع بهم
ولكن مع الأسف لما عرضنا البارح في الرفيضة جاني برقية من
سيدي الوالد يستدعيني فيها بالعجل لأجل أمر مهم ولا أجبت
أتأخر عن الحضور وها أنا عندكم وراجوكم أن تبلغ كبار
إخواني كلهم بعذري وأن الأقدام على أحكام والا فوالله أن
أحب ما إلي الاجتماع بكم وبهم وأني أشوق على ذيك غاية ما يكون
وراجوا أن يكون في فرصة أخرى هذا والسلام تذنيه مع أبلاغ السلام العام
والجماعة عندنا الجميع يسلمون وأنا يحفظكم الله
١٣٦٨ سنة
٤/٢٢

وبحروف الطباعة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى حضرة جناب الأخ المكرم الأحشم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد سلمه الله تعالى، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع السؤال عن أحوالكم أحوالنا من كرم الله جميلة، بعد ذلك أدام الله وجودك نحن جينا قاصدين سكة القصيم نبي نكوفتنا معه ولا والله قصدي إلا شوفكم والاجتماع بكم وكذلك شوف الجماعة والاجتماع بهم، لكن مع الأسف لما عشينا البارح في الترمص جاني برقية من سيدي الوالد يستدعيني فيها بالعجلة لأجل أمور مهمة ولا أحببت التأخر عن الحضور ولهذا أعتذر منكم وأرجو أن تبلغ كبار الجماعة كلهم بعذري وأن الأقدام عليها أحكام والاَّ والله أن أحب ما إلى الاجتماع بكم وبهم وأني شفق علي ذلك غاية ما يكون وأرجو أن يكون في فرصة أخرى، هذا ما لزم تعريفه مع إبلاغ السلام العيال والجماعة من عندنا العيال يسلمون والله يحفظكم.

٢٣/٤/١٣٦٨هـ

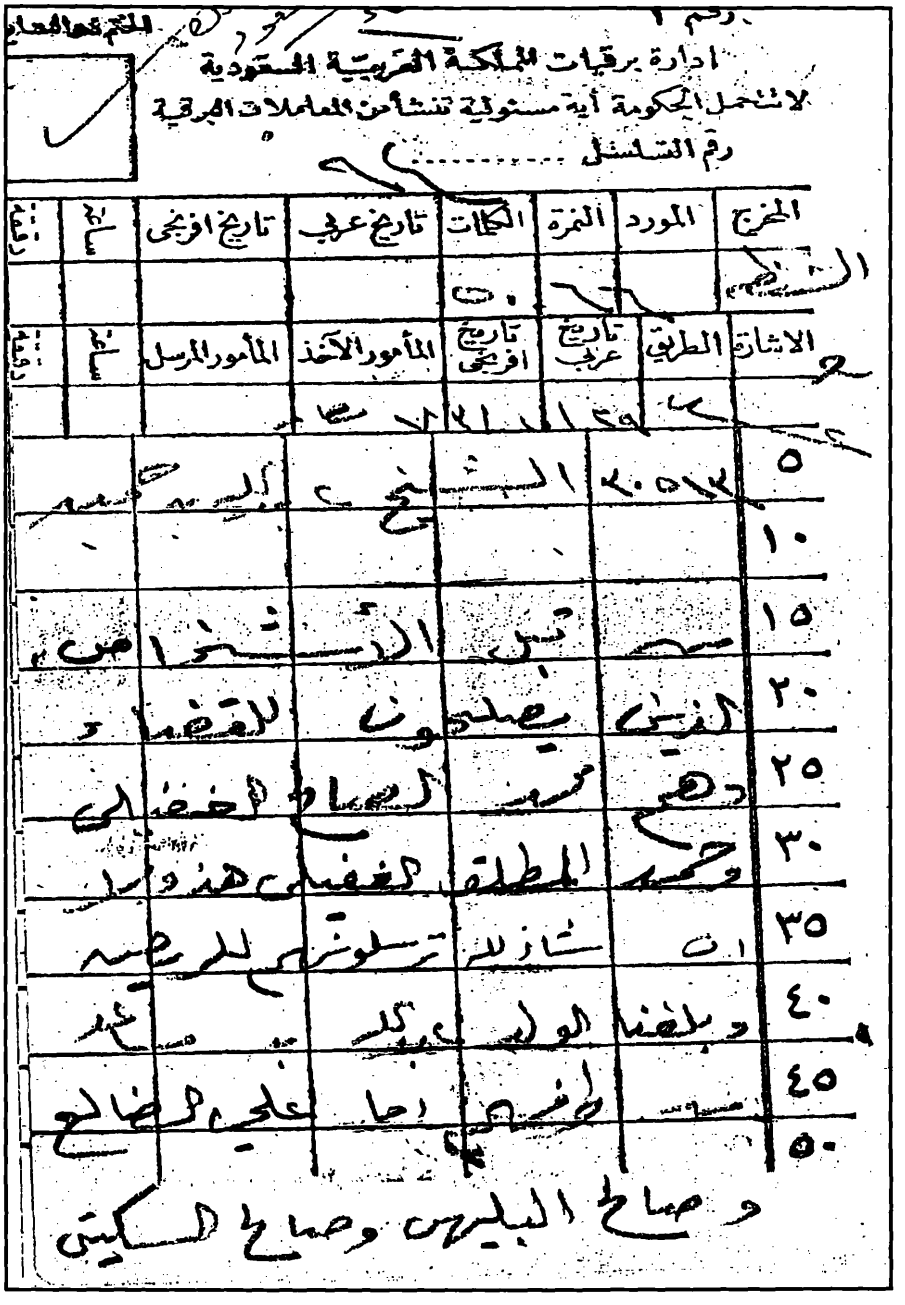

ادارة برقيات المملكة العربية السعودية
لاتتحمل الحكومة أية مسئولية تنشأ من المعاملات البرقية
رقم التسلسل .....

المخرج	المورد	الفرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	ساعة	دقائق
			٥٠				
الاشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقائق

٥ ٢٠٥٧ الشيخ
١٠
١٥ من الشيخ
٢٠ الذين يصلون للقضاء
٢٥ يصلي الصباح الخضالي
٣٠ المطلق الخضالي هذا
٣٥ شاز له ترسلونه للرحيمه
٤٠ بلغنا الولد كل
٤٥ اخبار اجا على الضالع
٥٠

وصالح البليهي وصالح السكيتي

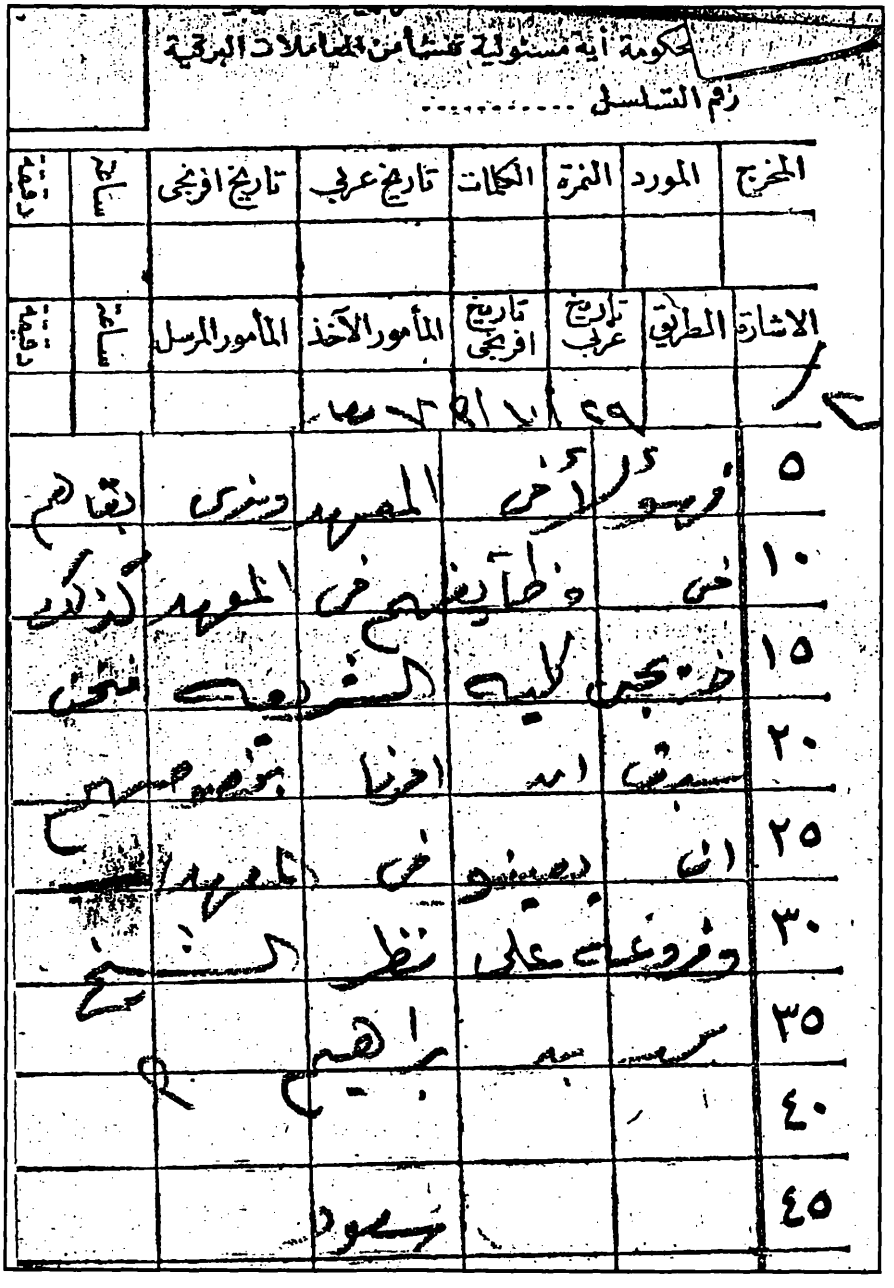

الحكومة أية مسئولية تقبل من المعاملات البرقية

رقم التسلسل .....

المخرج	المورد	الفرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	ساعة	دقائق

الاشارة	الطريق	تاريخ عرب	تاريخ افرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقائق

٥ فيصل الأخ المصرح وشرف بقائهم

١٠ في وظائفهم في الموعد المذكور

١٥ فتجب عليه الشريعة فلن

٢٠ سبق الله أمرنا بتوصيتهم

٢٥ أن يصنع في تأمرهم

٣٠ وفروعه على نظر الشيخ

٣٥ سر سبه براهيم

٤٠

٤٥ مسعود

مكاتبات الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لشيخنا الشيخ عبدالله بن حميد فيما يتعلق بالمصالح العامة.

وهي في مرحلتين الأولى عندما كان الملك فيصل نائباً للملك ورئيساً لمجلس الوزراء.

والثانية بعد أن بويع بالملك في شعبان عام ١٣٨٤هـ.

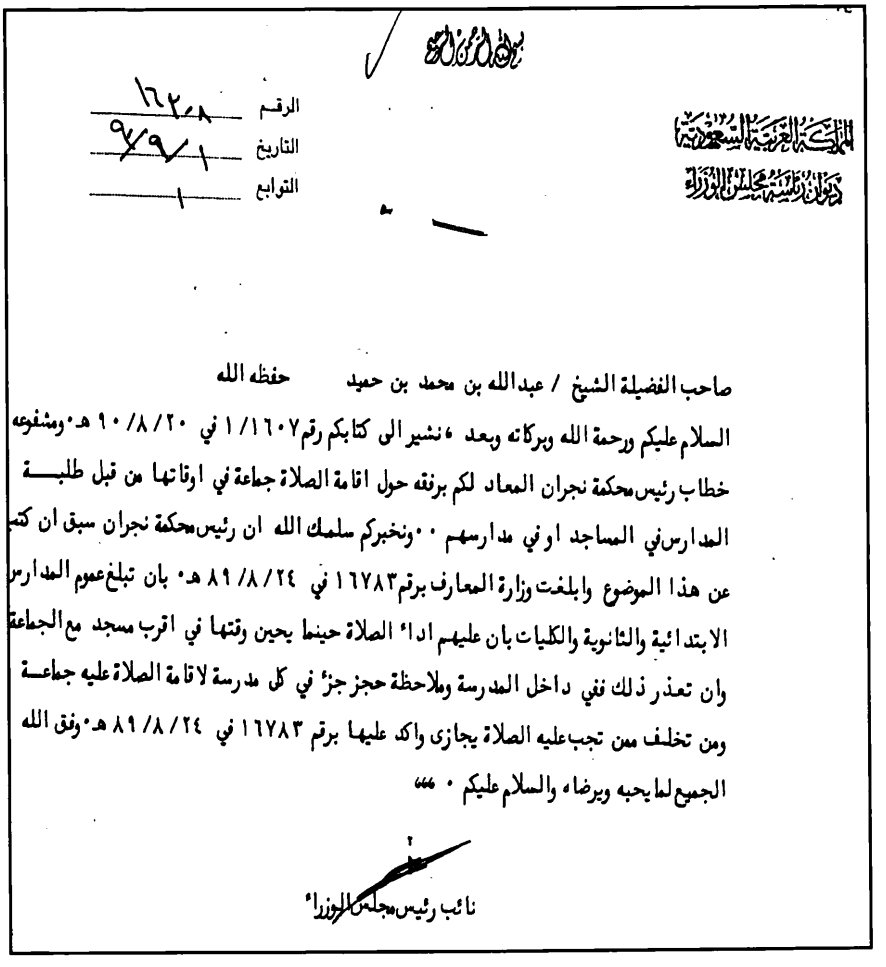

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم ١٦٢٠٨
التاريخ ٩/٩/١
التوابع ١

صاحب الفضيلة الشيخ / عبدالله بن محمد بن حميد حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، نشير الى كتابكم رقم ١٦٠٧/١ في ٢٠/٨/٩٠ هـ ومشفوعه خطاب رئيس محكمة نجران المعاد لكم برفقه حول اقامة الصلاة جماعة في اوقاتها من قبل طلبة المدارس في المساجد او في مدارسهم .. ونخبركم سلمك الله ان رئيس محكمة نجران سبق ان كتب عن هذا الموضوع وابلغت وزارة المعارف برقم ١٦٧٨٣ في ٢٤/٨/٨٩ هـ بان تبلغ عموم المدارس الابتدائية والثانوية والكليات بان عليهم اداء الصلاة حينما يحين وقتها في اقرب مسجد مع الجماعة وان تعذر ذلك ففي داخل المدرسة وملاحظة حجز جزء في كل مدرسة لاقامة الصلاة عليه جماعة ومن تخلف ممن تجب عليه الصلاة يجازى واكد عليها برقم ١٦٧٨٣ في ٢٤/٨/٨٩ هـ .. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه والسلام عليكم . ""

نائب رئيس مجلس الوزراء

المملكة العربية السعودية

رئاسة القضاة

المحكمة الشرعية بـ .....

حضرة صاحب السماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد الانخ

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد التحيه وتقديم واجبات الاحترام .

غيرخاف على سماحتكم مكانة الصلاة من دين الاسلام وانها آكده بعد التوحيد ومن تركها جحدا لوجوبها كفر ومن تركها تهاونا ولم يصل قتل باتفاق الامة الثلاثه وقول ابى حنيفه معلوم عند سماحتكم على خلاف هذا القتل حد أورده .

٢/ نظرا الى المدارس تظم عدد كبير من الشباب وهم فى حاجة الى توجيههم السليم وتعليمهم اركان الاسلام والعمل بها قولا وفعلا والتساهل فى ذلك فيه مسؤليه يخشى من عقوبتها العاجله قبل التى بعدها ورأى المخلص عرض مايلوح على سماحتكم حفظكم الله .

٣/ تعرضون على انظار المسؤلين ان يتكرموا بالامر على عموم المدارس التابعه لوزارة المعارف غيرها من مختلف انواعها من الابتدائى الى العالى بما فى ذلك المصالح الاخرى ان تقام الصلوات المكتوبه التى تجب عليهم من الطلاب وغيرهم والمعلمين وغيرهم من المسلمين فى المساجد ان امكن ذلك وان تعذر فتقام جماعة ولو فى داخل المدرسه اوالمصلحه ليكون لكم كفل من الاجر وينال المسؤلون ثمرة اجرها العاجله قبل الاجله ويسلمون مسؤليتها وتبعتها ولاينسو نصيبهم من الاخره حررنا هذا الخطاب حسب البيانه ونرجو الله ان يوفقنا واياكم لمايرضيه ويتوفانا مسلمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ع/ م

محبكم المخلص رئيس محكمة نجـــــر

احمد بن ناصر بن غنيم

كما كان الملك عبدالله بن عبدالعزيز يكتب للشيخ عبدالله بن حميد عندما كان رئيساً للحرس الوطني قبل أن يبايع بالملك ويصبح ملكاً.

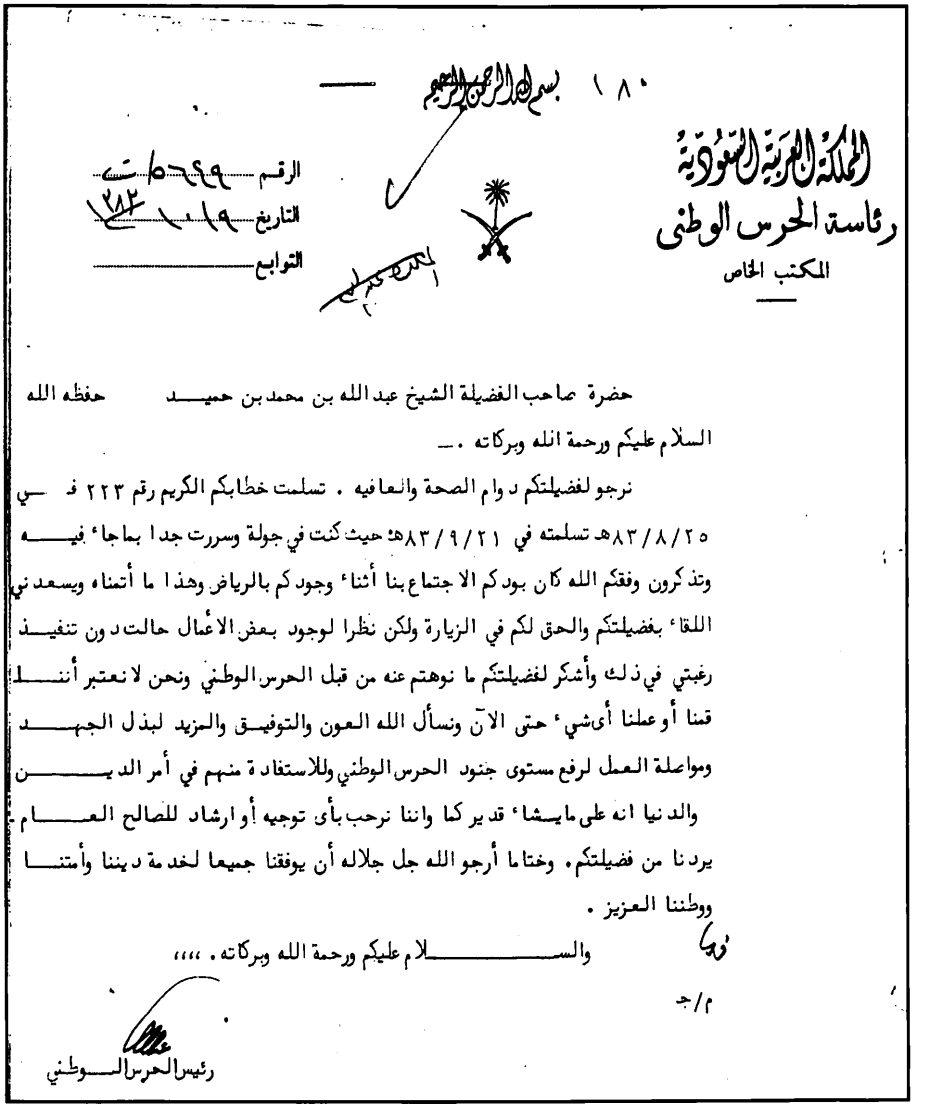

١٨٠ بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة الحرس الوطني
المكتب الخاص

الرقم ٢٩٦٥ ت
التاريخ ١٤٠٣/٩/١٩هـ
التوابع

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

نرجو لفضيلتكم دوام الصحة والعافية . تسلمت خطابكم الكريم رقم ٢٢٣ في ٨٣/٨/٢٥هـ تسلمته في ٨٣/٩/٢١هـ حيث كنت في جولة وسررت جدا بما جاء فيه وتذكرون وفقكم الله كان بودكم الاجتماع بنا أثناء وجودكم بالرياض وهذا ما أتمناه ويسعدني اللقاء بفضيلتكم والحق لكم في الزيارة ولكن نظرا لوجود بعض الاعمال حالت دون تنفيذ رغبتي في ذلك وأشكر لفضيلتكم ما نوهتم عنه من قبل الحرس الوطني ونحن لا نعتبر أننا قمنا أو عملنا أي شيء حتى الآن ونسأل الله العون والتوفيق والمزيد لبذل الجهد ومواصلة العمل لرفع مستوى جنود الحرس الوطني وللاستفادة منهم في أمر الدين والدنيا انه على ما يشاء قدير كما واننا نرحب بأي توجيه أو ارشاد للصالح العام يردنا من فضيلتكم. وختاما أرجو الله جل جلاله أن يوفقنا جميعا لخدمة ديننا وأمتنا ووطننا العزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ،،،

م/ج

رئيس الحرس الوطني

خُلق ليكون قاضياً:

عاد الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله إلى بريدة قاضياً ومدرساً وشيخاً لطلبة العلم فيها بعد أن كان مدرساً وشيخاً فقط، وذلك في آخر شعبان من عام ١٣٦٣هـ.

وقد انكب الناس عليه ابتداء من كبار الجماعة كالرشودي والمشيقح والشريدة و الجربوع والربدي، وذلك لأن القاضي كان هو المعني الوحيد بجميع شؤون المدينة التي لم يكن لها من يرعاها مثل بعض الأعمال المنوطة بالبلدية ومثل مراقبة أسواق البيع والشراء، ومثل المحافظة على نفوذ الشوارع التي يجري بناء المساكن عليها ومثل مكافحة الغش بأنواعه، و مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد ذكرت في ترجمة الشيخ عمر بن سليم من (معجم أسر بريدة) قيامه بهذه الأعمال إلى جانب القضاء، مع العلم بأن قاضي بريدة في وقت تسلم الشيخ عبدالله بن حميد القضاء فيها كان وحيداً ليس له مساعد ولا عضو قضائي آخر.

رغم كثرة عمله، وكونها مركزاً تجارياً مما يضاعف المسئوليات، ولكن الذي يهون الأمر أن القضاة لم يكونوا يسجلون القضايا إلا ما احتاج الأمر إليه ضرورة مثل نزاع يتعلق بعقار كبير بلغ خبره الحكومة فأمر الملك عبدالعزيز بأن يجلسوا عند القضاء فلابد للقاضي أن يبلغ الملك عبدالعزيز بما انتهى إليه

الأمر في ذلك من دون أن يسجل ذلك في صك يتسلمونه منه كما هو المعروف الحاصل الآن.

ولذلك لم يكن عند الشيخ إلا كاتب واحد، أما سلفه الشيخ عمر بن سليم فلم يكن عنده أي كاتب، بل كان يكتب ما يريد بنفسه أو يأمر أحد الموجودين الثقات عنده فيكتبون ذلك ويذكرون أنهم كتبوه بناء على أمر الشيخ فلان بحسب إملائه عليه إذا كان أملى عليهم ذلك إملاء.

وعندما تولى الشيخ عبدالله بن حميد القضاء في بريدة لم تكن في المدينة بلدية ولا شرطة وإنما كان يقوم بعمل الشرطة أعوان الأمير ويسمون (خويا) الأمير- جمع- خوي- كما يسمون رجال الشيوخ والشيوخ هم الأمير جاءوا بها على لفظ جمع شيخ للتعظيم.

ورجال الأمير لم يكونوا يتقاضون أي راتب أو مخصص من الحكومة وإنما كانوا يستفيدون من جلب الخصوم للأمير والقاضي، وعندهم اصطلاح يسمونه خدمة وهو دفع ريال واحد فضي كبير مما يسمى بالفرانسي وليس منسوباً إلى فرنسا لأنه نمساوي وليس فرنسياً فالعادة المتبعة أنه إذا شكا أحد الأشخاص آخر إلى الأمير طالباً منه أن يجبره على أن يذهب معه إلى الشرع لدعوى عليه، فإن الخدمة تكون على من يخسر القضية وهي ريال واحد يدفع لرجل الأمير، واسم ذلك الريال (خِدْمة).

ولم تكن في بريدة مدارس حكومية إلا مدرسة واحدة كان اسمها (السعودية) وحول اسمها بعد ذلك إلى (المدرسة الفيصلية) وبقيت سنوات على هذا الاسم،

ومقرها في مبنى ذي فناء واسع يملكه آل سيف، واقع إلى الغرب من جردة بريدة وفي الشمال من أعلى سوق البيع والشراء المستطيل في بريدة.

وكان فيها نُوَّاب، وهم رجال الحسبة كما يعبر عنهم، وهم الذين يعرفون الآن بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومرجعهم هو القاضي وليست لهم رواتب معينة من الحكومة.

والعجيب الغريب أن الأمور فيها كانت منضبطة والأمن كان شاملاً أكثر ما هو عليه الآن، ذلك بأن الناس صار أكثرهم متدينين يرفضون أكل الحرام، والذي لا يكون كذلك وبخاصة من سكان البادية والقرى وبعض سكان المدن يخافون من القضاء أكثر مما يخاف الناس الآن من الشرطة.

فالحكم الشرعي هو الذي يطبق، وإذا لم يكن في المسألة نص شرعي كأن تكون محدثة وكان النص الشرعي ليس واضحاً فيما يتعلق بها، فإن القاضي يجتهد فيما يحفظ المصلحة العامة منها، فيأمر القاضي أمير البلد بإنفاذ العقوبة التي يراها وينفذ الأمير ذلك من دون مراجعة.

وهكذا تسير الأمور.

فكبار الجماعة من أهل بريدة كانوا يذهبون إلى الشيخ مدفوعين بتقوية العلاقة مع القاضي الجديد وبحث أوجه التعاون معه على ما فيه صالح المدينة.

وعامة الناس؟.

أما عامة الناس فإنهم يذهبون إليه إما لمجرد المعرفة لكلامه وطريقة تفكيره وإما للاستفادة والاستنارة برأيه في بعض المسائل الدينية التي يعتبرونها مهمة، وبعضهم كان سمع حكماً أو قولاً في مسألة من المسائل من شيخ أو من طالب علم في السابق ويريد أن يعرف رأي الشيخ ابن حميد فيها لكي يقارن ذلك بما كان سمعه من قبل.

وبعضهم تكون له مسألة أومشكلة موضع نزاع عند شخص ويحب أن يسمع من الشيخ عنها ما يقوله فيها قبل أن يجلس صاحبه معه للخصومة عنده أو لمجرد أن يوضح وجهة نظره فيها، ولكن هيهات أن يستطبعوا جميعاً أن يسبروا غور الشيخ عبدالله فضلاً عن أن يشقوا غباره أو يحوموا حول ما أرادوه منه.

ذلك بأنه- كما قلنا- (خلق قاضياً) فهو يعرف من يريد شيئاً يتعلق بخصومة فيسأله إن كان بينه وبين أحد نزاع فيما ذكره فإذا أجابه بما لا يجاب وهو لا بد منه من ذلك لأن الشيخ يحاصره بالأسئلة حتى يجيب قال له: لا نسمح لك بالكلام فيها الآن، وإنما تستطيع إذا جلست أنت وخصمك أن تبين رأيك فيها.

وقد يحاول بعضهم أن يؤثر على الشيخ عبدالله بقوله: إنني يا شيخ أحب أن أوضح لك مما عندي شهادة لا يجوز كتمها.

فيجيبه الشيخ قائلاً: إذا طلبنا شهادتك فاشهد بما تعلمه.

والأسئلة العلمية:

والأسئلة العلمية الشفهية تأتي من طلبة العلم فكثير منهم يساله خارج الدرس عن مسألة علمية في الفنون التي يدرسونها من العلم فيجيب الشيخ عليها إجابة عاجلة مع شيء من اللياقة التي تجعل الإجابة كأنما هي شاملة، فإذا أراد الطالب تفصيل ذلك، والوقت ليس وقتاً مناسباً لذلك أو كان الشيخ غير مستحضر تفصيلات المسألة قال له: سوف تأتي فرصة أخرى في الدرس لبيان ذلك.

ثم لا يترك الشيخ تلك المسألة حتى يراجعها في مظانها ويبدأ الطالب يذكر الإجابة المفصلة عنها.

والمشكل في الأمر أن بعض الطلبة لا يفهم المعنى المقصود من عبارة العلماء فيها فيوردها محرفة أوناقصة فيتألم الشيخ لذلك ويوضح له صورة المسألة دون أن يذكر له أقوال العلماء فيها لأنه يدرك أنه لم يعرفها حق المعرفة.

وأحياناً يسأله بعضهم سؤالاً غير مفهوم الوقوع.

أذكر من ذلك أن أحدهم قال له وكان يقرا عليه في كتاب من الفقه، يذكر الكتاب بأنه يسن السلام على من يكون في المسجد والإمام يخطب خطبة الجمعة، فسأل الطالب شيخنا عما إذا سلم عليه سرياً أوجهرياً، فقال الشيخ بسرعة: إذا سلم عليه بصفة سرية كيف يعلم أنه سلم عليه.

أقول: تحرير هذه المسألة كما فهمنها هي أن القادم والإمام يخطب يسلم بصوت منخفض أو بالإشارة، ولا ينتظر من الجالسين قبله الذين يسلم عليهم الإجابة، بل يكتفي بأن يغلب على ظنه أنهم أجابوه سراً.

وظيفة لم تتم:

هذه الوظيفة لم تتحقق، وهي تتعلق بملك البلاد وقائدها الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، ففي عام ١٣٧١هـ تلقى الشيخ عبدالله بن حميد من الملك عبدالعزيز آل سعود أمراً بأن يتوجه إلى الرياض.

ولم يكن الشيخ عبدالله يعلم ذلك الأمر، ولا أحد يعلم به والمراد أنه لا يعلم أحد بالمقصود من استدعاء الشيخ عبدالله إلى الرياض، ولذلك ذهبت الظنون بأهل بريدة أن ذلك من أجل أن ينقل عن بريدة إلى غيرها من البلدان أو أن يكلف بعمل آخر.

ولما طال عليهم الأمر بدون أن يعلن المقصود من استدعاء الشيخ عبدالله إلى الرياض أبرق جماعة أهل بريدة للملك عبدالعزيز آل سعود يرجونه بأن لا ينقل الشيخ عبدالله عنهم، ثم أوفدوا وفداً إلى الرياض لمقابلة الملك عبدالعزيز آل سعود ورجائه أن يبقي الشيخ عبدالله في بريدة.

وقد روى صاحب المعالي الدكتور صالح بن شيخنا عبدالله بن حميد هذه القضية لمجلة الدارة التي تصدر في الرياض فقال:

في عام ١٣٧١هـ استدعى الملك عبدالعزيز رحمه الله والدي الشيخ عبالله إلى الرياض وعرض على فضيلته منصباً رأى أنه لابد من إحداثه حين توسعت الدولة وتشعبت أمور الحكم ورسخت دعائم الحكم، واحتاجت إلى مزيد من النظر في تراتيبها الإدارية، فاستحدث منصب (مستشار الملك في الشئون الدينية).

ولكن ما أن علم أهل القصيم بهذه الرغبة الملكية حتى أرسلوا وفداً كبيراً منهم لمقابلة الملك وطلب إبقاء الشيخ عندهم لما رأوه من نفع في البلاد والعباد، قضاءً وتدريساً وفتيا وجمعاً للكلمة، فألحوا على الملك في ذلك وهو يتأبى، فلما رأى إصرارهم العجيب رقّ لهم، وحمد لهم صدق تمسكهم، فما كان من الملك إلا أن جمع بينهم وبين الشيخ في مجلس واحد، ثم قال: هذا هو الشيخ عبدالله وها أنتم أيها الوفد.

ثم وجه الحديث إلى الشيخ قائلاً: هؤلاء أهل القصيم يريدون عودتك إليهم وأنا إمامك ومحتاج إلى بقائك عندي، فإن اخترت البقاء عندي فأنا إمامك وواجبك الطاعة لي، وإن أبيت واخترتهم فالله ربنا وربك، فأجاب الشيخ: (أنا في السمع والطاعة إن أمرتني بالبقاء بقيت وأن أمرتني بالذهاب معهم فلا يسعني إلا تنفيذ ما تأمرون به).

فسكت الملك قليلاً ثم قال: ما دام أنهم قد توجهوا من بلادهم وطلبوني فإني أوثرهم على نفسي، عندئذٍ عاد الشيخ إلى منطقة القصيم وقرت أعينهم بعودة شيخهم إليهم.

إنتهى.

وأقول: بالنسبة لنا نحن تلامذة الشيخ عبدالله وعارفي فضله قد شق علينا آنذاك استدعاؤه للرياض، وخشينا أن يكون ذلك لنقله عن بريدة، لأنه لم تكن لدينا معلومات عن الموضوع، وقد كتبت إلى شيخنا كتاباً من بريدة إلى الرياض.

هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

والدي العزيز فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حفظه الله ورعاه

سلام عليكم روحمة الله وبركاته، و بعد.

أقبل يدكم الكريمة وأحييك مطرق الرأس وأجف القلب خائفاً مما تأتي به الأقدار، سائلاً المولى سبحانه وتعالى الذي قدر ما قدر أن يلطف بنا ويرد غربة غائبنا شيخنا ووالد الجيمع الشيخ عبدالله بن حميد، وأن يبقيك حائزاً على رضاه ممتعاً بالصحة والعافية، وأن يجمع بك شمل أولاد تفرقوا لغيابك وأن يطمئن قلوبهم برجوعك إليهم على أحسن ما تريد، وبذلك تطمئن قلوب ريعت لرحيلك، إنه سميع قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

والدي الكريم: إن بريدة الآن قد عمها الحزن والآسى وجللها الشَّجَن والاسف، إنها دموع وهموع.

بريدة كلها كذلك لم تختص بذلك طائفة دون طائفة أو فريق دون فريق، الجميع آذان صاغية لما يأتي من الرياض، وكأن الرياض الآن ليست الرياض التي نعرفها قبل ذلك.

والجميع من أهلها ألسنة تلهج بالدعاء وتجأر بالطلب إلى الله تعالى أن لا يطيل غيابكم، وأن يندمل جرحه بدواءِ الإياب، وما ذلك على الله بغريب.

ويوم ذلك ينشدون بلسان الحال أو بلسان المقال:

يـريـك عـزتـه ثـم بـيـدي لطفه والـعـبـد في غـفـلات عـن ذا الـشـان

ابنكم

محمد بن ناصر العبودي

وبعد أن علمنا بالنبأ المؤكد أن الملك عبدالعزيز آل سعود قد استجاب لرأي جماعة أهل بريدة كانت فرحتنا مثل فرحة سائر الناس غامرة:

وقد وجدت في مذكراتي عن هذه المسألة ما يلي:

يوم الخميس ٢٩ جمادى الأولى عام ١٣٧٠هـ:

ورد اليوم إلى بريدة نبأ مؤلم سرى في جميع أنحائها كما تسري النار في الهشيم، ذلك النبأ الذي أقلق بال (البريديين) جميعهم وأقام البلاد وأقعدها هو خبر استقدام شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة وتوابعها إلى الرياض فضج الناس جميعاً وكتبوا للملك عبدالعزيز يرجونه أن يعدل عن هذا الأمر وأن يترك الشيخ عبدالله بن حميد لبريدة ويترك بريدة له، ولكن البرقيات لم تفد، فتقرر إيفاد وفود إلى الرياض من جميع طبقات البلد ليتكلموا مع الملك بشأن ارجاع الشيخ عبدالله بن حميد.

يوم الأحد ٢ جمادى الآخرة عام ١٣٧٠هـ- ١١ مارس ١٨٥١م:

سافر الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد اليوم إلى الرياض مستقدماً من جلالة الملك وشيعناه صحبة صديقي معتمد المعارف بالقصيم الشيخ صالح بن سليمان العمري في سيارته الخاصة فوصلنا معه إلى قرية (الربيعية) حيث تغدينا معه وشربنا القهوة والشاي ثم ودعناه وقفلنا راجعين إلى بريدة.

يوم الأحد ٢٣ جمادى الآخرة عام ١٣٧٠هـ:

وردت برقية من الرياض تفيد توجه فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ومنطقة القصيم إلى بريدة وهذه البرقية في توجهه للبلد وأهل البلد لا تقدر بثمن لما لفضيلته من الأثر الطيب على العلم وطلبة العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل في القضاء، بل واليد الطولى في توجيه الإدارة في بريدة، وبذلك يسد الفراغ الذي أحدثه استدعاؤه إلى الرياض لتقلد أحد المناصب الكبيرة هناك قريباً من الملك.

أما من ناحيتي أنا فلست أرى شيئاً في الوجود يعادل هذه البرقية قيمة وقدراً، لأن فضيلة الشيخ والد روحي لي وصديق حميم وأستاذ حكيم لا يزال يتعهدني بالنصائح والإرشادات.

يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخرة عام ١٣٧٠هـ:

ظهر جملة من الجماعة جماعة بريدة بمعداتهم التي تشتمل على الخراف وأدوات التكريم لتلقي الشيخ عبدالله بن حميد الذي توجه أمس من الرياض، وذلك أي تلقيه واستقباله هو رمز في عرف البلد إلى تكريمه وإجلاله، وإن كان هو لا يسر بذلك، لأنه يعوقه عن رؤية أهله الذين هم في أشد الشوق إليه، أما أنا فلم أخرج بسبب وظيفتي.

يوم الثلاثاء ٢٥/٦/١٣٧٠هـ- ٣ أبريل ١٩٥١م:

وصل اليوم من الرياض فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ومقاطعة القصيم، وكان يوم قدومه من أيام بريدة التاريخية، ومن الأيام الفذة في تاريخ حياتي أنا، لأنه كما قدمت والد روحي لي وبر حفي جزاه الله خير الجزاء.

وقلت أبياتاً عندما ثبتت إعادة شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد إلى بريدة بعدما أرجف المرجفون بنقله عنها:

شمس التهاني بالسُّرور قد أشرقت
وغصون بانات المَسرَّة أورقت
وأنوف أهل الحقد من أهل القلى
قد أُرغمت، ورؤوسها قد أطْرَقَتْ
وعلى الأنامل عَضَّ كل مُقَبِّح
عيناه من سَفح الدموع تَخَرَّقَتْ
مُذْ قَرَّج الله الكريمُ لشيخنا
وإمامنا من حاسدين ومَن مَقَتْ
ابن حميد ذلك الحبر الذي
في درسه حِلَقُ العلوم تَحَلَّقَتْ

يوم الجمعة ٢٨ / ٦ / ١٣٧٠هـ:

اليوم زارني في بيتنا بناء على موعد أعطاه لي فضيلة شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد مع لفيف من الإخوان أي طلبة العلم، ولم أقدم في الحفل شيئاً غير القهوة والشاي والطيب العود.

يوم الثلاثاء ٣ / ٧ / ١٣٧٠هـ:

ألقى علي اليوم الشيخ ابن حميد في دروس النحو قوله تعالى (وإياي فارهبون) لأعربها فحصل الاختلاف في الفاء فيها لذا يجب أن أبحث عنها في مراجعها وعن اعراب (عليكم أنفسكم) التي وردت في درس سابق وهي بعض الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم).

مبادرات للشيخ عبدالله بن حميد:

من المبادرات الحميدة لشيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد أنه كتب للملك عبدالعزيز آل سعود كتاباً في شهر شوال من عام ١٣٦٣هـ يشرح فيه حال طلبة العلم في بريدة وحاجتهم للمساعدة المالية، وأن أكثرهم لا يستطيعون التفرغ لطلب العلم، وحتى أولئك يحتاجون للمساعدة لأنهم لا يمارسون ما يمارسه غيرهم من المفرغين لأمور الدنيا.

وكانت إجابة الملك عبدالعزيز لشيخنا رحمه الله عاجلة وهي عملية لا قولية إذْ أرسل إليه ثلاثة آلاف ريال من الريالات الفرنسية الكبيرة.

كان ذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وكان الغلاء قد استشرى بالنسبة إلى ما يحتاج الناس إلى استيراده من الخارج مثل السكر والقهوة، وذلك بسبب صعوبة النقل لانصراف الحكومات التي دخلت الحرب أو تأثرت منها بتأثيرات مباشرة إلى تعمير بلادها.

وكانت البواخر المدنية قد انصرفت إلى نقل الجنود والمعدات، فصارت في خدمة الحرب، وبعض طرق البواخر قد أصبحت غير آمنة بسبب ذلك.

ولذلك ارتفعت الأشياء المستوردة، ولكن من لطف الله ببلادنا أنها تنتج مقادير طيبة من التمر الذي يعتمد عليه الناس في وجبة الغداء اليومي، كما تنتج مقادير من القمح الذي يطبخه الناس في وجبة العشاء، ولكن حتى هذا ليس كافياً.

وأذكر بهذه المناسبة أنه بدأت تصل إلى بلادنا مقادير من قمح أسماه الناس كُنَدةً بإسكان الكاف وفتح النون والدال وآخره هاء، وقد ظن بعض المتعلمين أن ذلك يعني قبيلة كندة التاريخية الجاهلية لأنهم لم يكونوا سمعوا بكندا التي تنتج ذلك القمح، وهي واقعة في القارة الأمريكية الشمالية وأعترف بأنني من بين الذين لم يكونوا يعرفون أي شيء عنها في ذلك الوقت.

وقد حصل للناس فائدة من هذا القمح الكندي الرخيص، لأن كندا زرعت مقادير إضافية من القمح وأرسلته إلى دول العالم، إسهاماً منها في تأمين الغذاء العالمي.

وهو ليس في مظهره كالقمح الذي تنتجه بلادنا، وبخاصة (متنه) والمتن عند العامة هو قوة امتداد عجينة القمح إذا عجن، وذلك أمر مهم لبني قومنا لأنهم يصنعون من القمح (قرصان) وهو رقاق يكاد يكون شفافاً وهو الذي لا يزال معروفاً حتى الآن.

وعيش كندة لا يصلح للقرصان لأنه لا (متن) له، ولكنه جيد وصالح للمرقوق وأمثاله.

وقد بلغ سعر وزنة السكر في السوق سبعة ريالات فرانسه ويعادل ذلك مبلغاً كثيراً، ولذلك صار بعض الناس يقللون السكر منه متأففين، مع أنهم لو كانوا درسوا الغذاء لعرفوا أن تقليل السكر الأبيض المكرر في الطعام والمشروبات أمر مطلوب صحياً، وعلى أية حال كان بعض الناس في ضائقة مالية.

وعندما وصلت هذه النقود الفضية الكبيرة الثقيلة الوزن في الجيوب وفي القلوب جعلها الشيخ عند (فهد بن مزيد الخطاف) أحد التجار الثقات، جعل منها رواتب لطلبة العلم الذين يدرسون وهي رواتب شهرية تراوحت أول الأمر بين عشرة ريالات في الشهر حداً أعلى إلى ريالين حداً أقل.

والحد الأعلى فيه شخصان مهمان من كبار طلبة العلم، كما كان الناس يسمونهما وأمثالهما وهما في عرفنا الآن من كبار المشايخ وهما الشيخ صالح بن أحمد الخريصي الذي صار بعد ذلك رئيس محاكم القصيم ولم تكن له وظيفة آنذاك إلا الإمامة في مسجد عرف باسمه في حارة الحويزة والثاني الشيخ عبدالله بن رشيد الفرج خطيب جامع بريدة، وهو من أكبر طلبة الشيخ عبدالله بن حميد.

كان ذلك قرب نهاية شهر ذي القعدة من عام ١٣٦٣هـ، وكانت حالنا المالية وأقصد والدي الذي كان صاحب دكان يتعامل مع أهل البادية من الأعراب ونحوهم، ويبيع في دكانه الأشياء غير المألوفة لكثير من أصحاب الدكاكين وهي السُّمُّ والزرنيخ اللذين يداوى بهما الجرب.

كما يبيع أثواب الأعراب التي يخيطها أهل الحضر خياطة غير متقنة ومن قماش غير غالٍ أرخص من قماش الخام الأبيض غير الناصع في البياض، أما الخام الأبيض الناصع فإنه لا يلبسه إلا الميسورون من أهل الحضر.

وكان والدي أيضاً يدق الملح والمراد به البارود تلك المادة المتفجرة التي توضع في البنادق من أجل الصيد، ولكن موسم الصيد الذي فيه إقبال على شراء البارود يكون إبان هجرة الطيور من جنوب الأرض إلى شمالها في الربيع، ومن شمالها إلى جنوبها في الخريف.

وهو في فصل الخريف أكثر، وذلك أن الطيور المهاجرة من جنوب الأرض إلى شماليها تفرخ وتغذي فراخها في فصل القيظ في شمال الأرض حيث الجو فيه دفيئاً، والحشرات التي تتغذى عليها بعض الطيور والحبوب التي يتغذى عليها بعضها موجودة بكثرة.

فكان يبيع ملح البارود الذي لا يحسن (دقه) بمعنى صنعه إلا أسرتنا في بريدة، وعدد الذين يحسنون ذلك منها محدود بوالدي وابني عمه إبراهيم وهما عبدالكريم وناصر وابن عمه عبدالكريم بن عبدالله العبودي.

وكان يكسب من ذلك مكسباً عظيماً.

لذلك كانت حالتنا طيبة، أما أكثر الناس فإنهم كانوا بخلاف ذلك.

غير أن والدي ينفق على البيت وهو صاحب البيت الذي ينفق عليه أما أنا وعمري في آخر السنة الثامنة عشرة فليس لي عمل إلا الجلوس في الدكان والقيام مقامه إذا ذهب إلى البيت وإلا فإنه لا يسافر، ولا أذكر أنه سافر إلى قرى بريدة القريبة.

لم أشعر بعد أن صليت صلاة العشاء في جامع بريدة إلا بفهد المزيد الخطاف يقول لي بصوت خافت وهو ينتحي بي ناحية ويخرج معي من المسجد: هذه دريهمات من الشيخ عبدالله بن حميد وهي ستة ريالات يسلم عليك الشيخ ويقول: إنهن إن شاء الله عادة شهرية، ثم فسر ذلك بقوله: يعني يعطيك إياهن كل شهر.

لم يكن كثير من الناس يتكلمون عن المرتبات لأنه لم يكن في مدينة بريدة جهة تصرف الحكومة مرتبات للعاملين فيها، إلا اثنتان هما (البرقية) وهي اللاسلكي، وقد فتحت منذ وقت مبكر بالتحديد في عام ١٣٥٠هـ واستقدم الملك عبدالعزيز للعمل فيها أناساً من أهل المدينة المنورة، لأن أهل نجد لم يكن فيهم من يحسن العمل فيها.

والثانية المدرسة الحكومية التي كانت تسمى المدرسة السعودية نسبة إلى آل سعود أو إلى المملكة العربية السعودية، وهي التي عرفت لسنوات طوال بالمدرسة الفيصلية.

لم أكن أصدق وأنا أقبض على الريالات الستة من الفضة، وقد ملأت يدي فلم يكد فهد المزيد يكمل كلامه حتى أسرعت الذهاب من الجامع، وأنا أسرع وأكاد أطير، ولولا أنني أرى أشباح أناس في الظلام خارجين من صلاة العشاء على قلة لعدوت كما يعدوا الطفل، بل إنني عدوت بالفعل عندما رأيت مكاناً ليس فيه أناس يسيرون في الظلام.

وذلك كله لأخبر والدي ووالدتي بهذا الأمر العجيب الذي لم يكونوا يتصورونه، وهو أن أحصل على نقود فضية من دون أن أبذل في مقابل ذلك شيئاً.

إذ لم يكن الناس يتصورون ذلك، واذكر في هذا الصدد أن أستاذنا عبدالله بن إبراهيم بن سليم مدير المدرسة السعودية في بريدة وكانت المدرسة الوحيدة فيها كما قدمت كان منذ أيام قد طرح علي أن يوظفني مدرساً في المدرسة براتب ثلاثين ريالاً ونصف في الشهر وهي وظيفة (وكيل معلم درجة ثانية) قلت له: لا أستطيع أن أوافق على ذلك إلا بعد أن استشير والدي.

وعندما ذكرت الأمر لوالدي قال: يعني يعطيك دراهم ببلاش، لأن والدي وهو صاحب الدكان الذي اعتاد على ألا يحصل على نقود إلا في مقابل بضاعة يبيعها، لم يكن يتصور أن ذلك يحدث وإن كا ن سمع بذلك، ولذلك قال لي مازحاً: عجل ووافق قبل يهون ابن سليم.

أي قبل أن يعدل عن رأيه في ذلك.

هذا وقد أسرعت بما في قلمي من فضول أدوِّن كتابة عنوانها: أول راتب قبضته، وذكرت في تلك الكتابة بأسلوب متحذلق متفاصح ما حدث لي بهذا الشأن.

وقد كتبت ذلك لأبين أثر تلك الريالات الستة في نفسي في ذلك الوقت، وهي بالنسبة إلى أكثر طلبة العلم أكثر تأثيراً، لأن بعضهم إن لم أقل أكثرهم كانوا أكثر حاجة مني إليها.

وقد وجدت مكاتبة بين شيخنا وبين الملك عبدالعزيز آل سعود حول ذلك المبلغ عندما تأخر إرساله في إحدى السنين وحولها الملك عبدالعزيز رحمه الله وجزاه عنا خيراً معتذراً للشيخ عبدالله بن حميد عن تأخرها، بالنسيان.

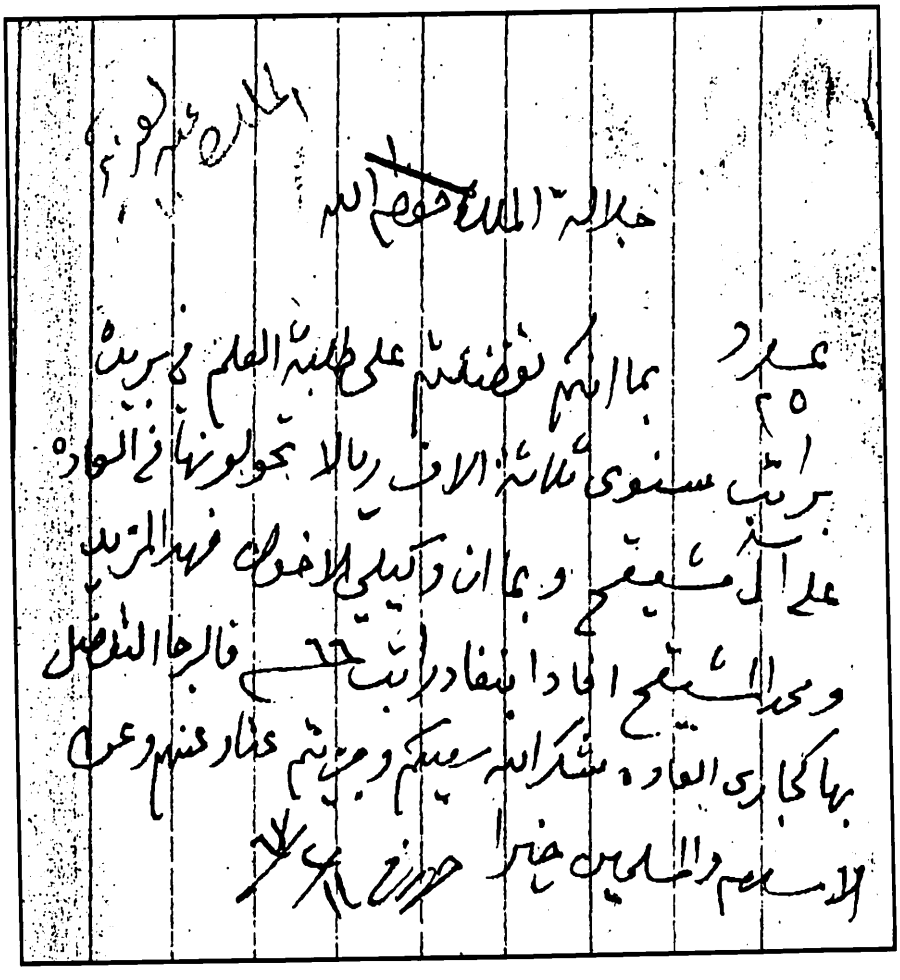

وقد أجابه الملك عبدالعزيز على هذه البرقية بالبرقية التالية:

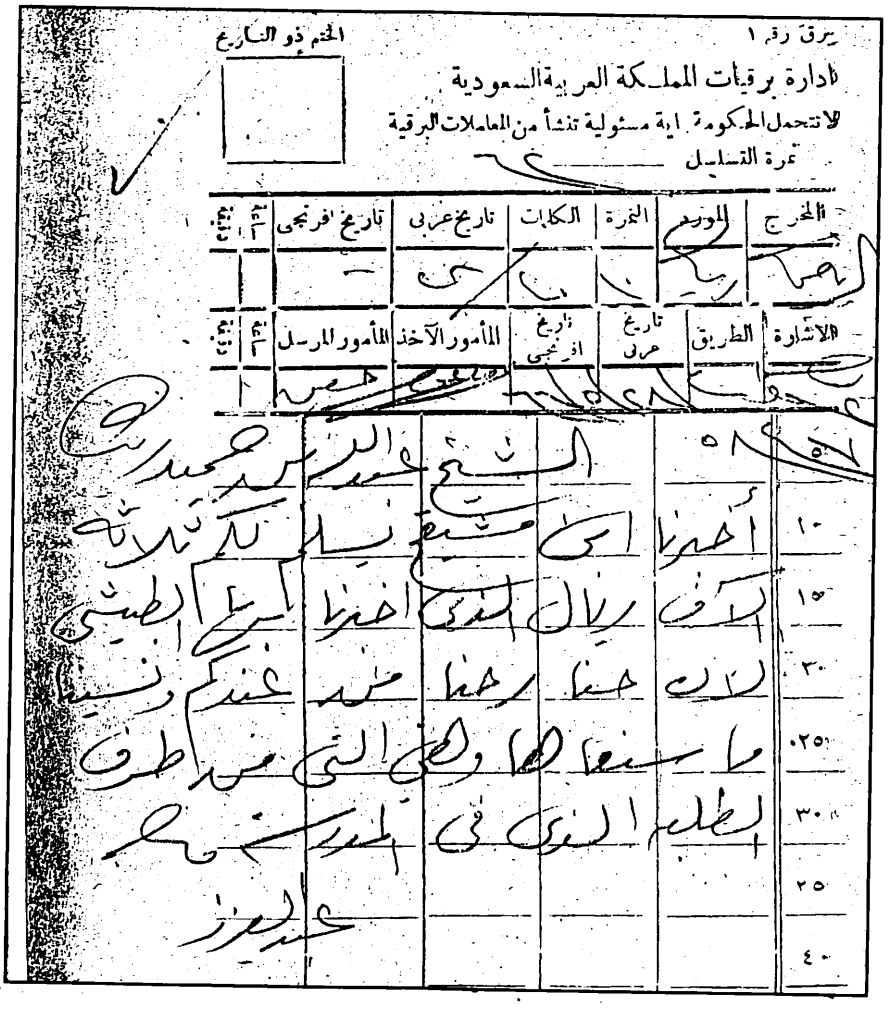
برق رقم ١

الختم ذو التاريخ

إدارة برقيات المملكة العربية السعودية

لا تتحمل الحكومة اية مسئولية تنشأ من المعاملات البرقية

نمرة التسلسل

المخرج	الموسم	النمرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	ساعة	دقيقة

الاشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	المأمور الآخذ	المأمور المرسل	ساعة	دقيقة

٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥

١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ ٣٠ ٣٥ ٤٠

أما عرض مدير المدرسة الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن سليم عليَّ التدريس في المدرسة في وظيفة وكيل (معلم درجة ثانية) ودرجة ثانية وصف للدرجة وليس وصفاً للمعلم ولتوضيح ذلك أقول.

إن راتب المعلم (درجة أولى) هو ٧١ ريال وراتب المعلم درجة ثانية ٦١ ريال، وكان أكثر الناس اغتباطاً بشغلي هذه الوظيفة والدي وأقلهم في ذلك شيخي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولم أكن أخبرته فضلاً عن أن أكون شاورته في الالتحاق مدرساً بالمدرسة لأنه لم تكن صلتي به قد توطدت في ذلك الوقت، وظننت لسذاجتي أن ذلك أمر لا يهمه ولكن عندما بقيت في وظيفة التدريس بالمدرسة ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً من دون أن يصرف لي شيء ومن دون أن يتحقق ما كان وعدني به أستاذي من الترفيع إلى وظيفة معلم درجة ثانية ثم إلى وظيفة معلم درجة أولى وذلك ليس لتقصير منه، ولكن لم يكن لديه صلاحيات في هذا الامر، وإنما هو يرفع إلى مديرية المعارف العامة التي مقرها مكة المكرمة وهي التي تشرف على التعليم كله في المملكة.

قدمت استقالتي من العمل في الوظيفة الذي معناه استقالتي من العمل الحكومي.

وفي هذه المرة وجدت شيخي ابن حميد سعيداً بذلك لأنه يريد لي مستقبلاً مرموقاً لا أن أكون معلم صبيان فقط فهو يريد لتلميذه أن يكون قاضياً، أو شيخ علم ينتفع الناس بعلمه، ويذكر شيخه بذلك.

مكتبة الجامع:

كان قد بان خلل في مباني جامع بريدة الذي كان هو الجامع الوحيد فيها ولا جامع غيره إلاَّ في بعض الضواحي المنفصلة مثل الصباخ ووهطان والشقة وبعض الخبوب، وكان تلك الضواحي منفصلة عن بريدة، ولا أحد يعتبرها منها فكتب قاضي بريدة وقاضيها هو أحد العلماء الكبار في المملكة الشيخ عمر بن سليم للملك عبدالعزيز يخبره بأن مبنى المسجد الجامع عائب أي آيل للسقوط ويطلب منه أن يتبنى هدمه وإعادة بنائه وهو من الطين، ويراد ايضاً إعادة بنائه بالطين، وذكر الشيخ عمر للملك عبدالعزيز أنه سوف يشرف على عمارته وأهم ذلك ما يتعلق بالنفقة.

وقد وافق الملك عبدالعزيز آل سعود على بنائه بنفقة الحكومة.

وقد بنى الشيخ عمر رواقاً في شرقي الجامع وبني مكاناً للمكتبة على هيئة غرفة كبيرة، وقاعة صغيرة في الطابق الثاني فوق الرواق، وكان يريد أن توضع فيها الكتب الموقوفة على طلبة العلم في بريدة ينتفع بها طلبة العلم، وكانت متفرقة في أيدي المشايخ وطلبة العلم.

وأصل ذلك أن بعض أهل الخير يشترون كتاباً مهماً مثل صحيح البخاري وصحيح مسلم والهدي النبوي الذي هو (زاد المعاد في هدي خير العباد) للعلامة إبن القيم، ويوقفونه على طلبة العلم من أهل بريدة، وقد يوقف الكتاب على شخص من طلبة العلم بعينه ولكنه يموت ويبقى عند ورثته ويعطونه الشيخ

عمر فلا يتركه الشيخ عمر عنده من دون أن ينتفع أحد فيعطيه أحد الطلبة الذين ينتفعون منه.

وبذلك تفرقت الكتب، فأراد الشيخ عمر بن سليم- رحمه الله- أن تجتمع تلك الكتب إلى جانب ما قد يحصل من كتب غيرها، في مكتبة لا يمنع أحد من الاطلاع عليها والاستفادة منها.

وقد انتهى العمل في المسجد الجامع وتم بناؤه في عام ١٣٦١هـ وعهد الشيخ عمر بن سليم إلى الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي يجمع الكتب الموقوفة الموجودة عند الناس، وإيداعها المكتبة غير أنها تحتاج إلى تأثيث بسيط كالفراش أي فراش وبعض خزائن الكتب المسماة بالدواليب.

والشيخ عمر بن سليم لا يزال مديناً ببقية من تكلفة بناء الجامع لم يستطع الحصول على سدادها تبلغ خمسين ألف ريال منها ثلاثون ألف ريال كان اقترضها من آل مشيقح من أجل انفاقها في بناء الجامع مؤملاً أن هذه النقود المتبقية سيرسلها الملك عبدالعزيز، ولكن الشيخ لم يطلب ذلك من الملك، وبقيت هذه النقود في ذمته.

وقد مرض الشيخ عمر في عام ١٣٦٢هـ وطاوله المرض، واشتدت وطأته عليه حتى توفاه الله في آخر سنة ١٣٦٢هـ رحمه الله رحمة واسعة.

وقد أمر الملك عبدالعزيز بعد وفاة الشيخ عمر بصرف ذلك المبلغ المتبقي في ذمة الشيخ وهو خمسون ألف ريال لأهله الذين يطلبونه من الشيخ وقد بقيت

المكتبة مغلقة ليس فيها شيء فرأى الشيخ عبدالله بن حميد أن تفتح المكتبة وأن ينتفع بها الطلبة فأمر أولاً فهد المزيد الخطاف أن يشتري من وفر ذلك المبلغ الذي كان طلبه من الملك عبدالعزيز للطلبة فراشاً بسيطاً هو حنبل مستطيل، وأن يهيء سراجاً مع ما يحتاج إليه السراج من قاز يوقد به، وأن يهيء شاياً وسكراً للإخوان طلبة العلم لكي يجتمعوا في المكتبة بعد العشاء الآخرة من كل ليلة يتذاكرون فيما بينهم، وبعضهم يأتي إليها لمجرد أن يجد مكاناً مضاءاً خالياً من ضوضاء الأطفال والأسرة في بيتهم.

وقد قصد أيضاً فيما قاله أن يراجع الصغير من الطلبة الكبير الذي هو أعلم منه فيما يحتاج إليه في دروسه عليه أي على الشيخ.

فصرنا نجتمع فيها كل ليلة على ما ذكر وصارت مجتمعاً للذين يريدون الفائدة ومعها التسلية.

وفي هذه الأثناء طلب الشيخ من بعض الجماعة الذين عندهم كتب موقوفة، أو يريدون وقفها بأن يضعوها في المكتبة فكان أول ذلك خزانة من الخشب (دالوباً) مليئاً بالكتب قدمه آل عجاجي ممثلين في الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي، وابن أخيه الوجيه عبدالله بن محمد العجاجي ثم قدم آل الرواف ممثلين بالأستاذ محمد بن الشيخ عبدالله الرواف، وأخيه الأستاذ سليمان دالوباً مثله من كتب والدهم وكانت فيه بعض المخطوطات في الفقه الحنبلي.

وقد وجدنا لهذه المكتبة فائدة كبيرة، إلا أنه ليس لها قَيِّمٌ كما كانوا يسمونه بمعنى مأمور واحد يكون مسئولاً عنها فكان مفتاحها أول الأمر مع فهد المزيد ثم أمره الشيخ أن يدفعه إلى زميلنا الشيخ عبدالله بن محمد البقيشي رحمه الله فاستمر فترة مسئولاً عن فتحها إلاّ أن بيته بعيد، وحدث مرة أو أكثر من مرة أنه لم يتمكن من فتحها، ثم أخذه علي بن عبدالله الحصين لمدة غير مستمرة، أو قل إنها فترة متقطعة.

عزم الشيخ بعد ذلك وبعد أن حصل للمكتبة على مقدار جيد من الكتب أن يعين لها شخصاً يكون مسئولاً عنها فعينني فيها واخترت أن يكون اسم وظيفتي هذه التي هي غير معتمدة في الحكومة اسم (قَيِّم مكتبة جامع بريدة) مستانساً باسم جد العلامة ابن القيم الذي أصل اسمه ابن (قيم الجوزية) لأن جده كان قيماً أي مسؤولاً عن مكتبة المدرسة الجوزية المنسوبة لسبط ابن الجوزي صاحب (مرآة الزمان) في التاريخ، لأنه الذي كان أنشأها.

وزاد الشيخ عبدالله بن حميد الريالات الذي كان يعطيني إياها شهرياً مقابل فتح المكتبة والقيام عليها وهو يعلم حق العلم حرصي على الكتب وإطلاعي على ما طبع منها وما لم يطبع وكثير مما يتعلق بها.

وبعد ذلك اجتهدت في جلب المزيد من الكتب للمكتبة، وقد ذكرت بعض ذلك في مذكرات لي كنت أكتبها بل كنت أواظب على كتابتها في وقت من الاوقات.

وهذا أنموذج منها:

يوم الخميس ١٥ رجب عام ١٣٧١هـ- ١٠ أبريل عام ١٩٥٢هـ:

صديق قديم:

وصل اليوم إلى بريدة فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد قاضي جيزان وتوابعها سابقاً قادماً من جيزان مع عائلته عن طريق الحجاز، ثم إلى مقر عمله الجديد قرية «الفوارة».

وكان قد سافر منذ ثلاثة أشهر إلى جنوب المملكة لكي يحضر بقية عائلته إلى هنا وقد أرسل إليَّ كتاباً من الرياض يقول فيه إنه يريد السفر إلى الحجاز وإن له أصدقاء من أصحاب الجرائد في مكة ويستطيع أن يجعلهم ينشرون ما يريد، ولذلك فإنه يقترح عليَّ أن أكتب كلمة عن مكتبة جامع بريدة بوصفي قيماً لها، وبوصفي أكثر معرفة بالكتابة منه، كما يقول فضيلته، وكان قد بحث معي في هذا الموضوع منذ مدة قبل سفره، ويقول لي إن كتبت لي بذلك فأرسله إلى مكة بواسطة فلان.

وقد كتبت له كلمة وأرسلتها إليه وهذا نصها:

مكتبة جامع بريدة بمناسبة تجديد عمارتها:

تأسست مكتبة جامع بريدة في عام ١٣٦٤هـ أسسها حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة ورئيس قضاة مقاطعة القصيم، وكانت لا تحتوي في بدء تأسيسها على أزيد من أربعمائة مجلد من بينها جزء كبير من مكتبة فضيلته الخاصة تبرع بها لتكون نواة لتلك المكتبة، وما زال فضيلته يسعى بكل ما أوتي من قوة يدفعه إلى ذلك حبه للخير وحدبه على طلبة العلم، حتى أصبحت المكتبة بعد عام واحد من تأسيسها تحتوي على ما يقرب من ألف مجلد، وقد أصبحت تقدم لزائريها الشاي والقهوة يومياً، وأصبح يقوم بأعمالها موظفان أحدهما أمين والآخر كفراش.

وقد نصح فضيلته طلبة العلم في بريدة أن يكونوا لهم من المكتبة ما يشبه النادي العلمي يتباحثون في المسائل العلمية فيه، ويدرسون الكتب المفيدة، فكانوا يجتمعون بعد عشاء كل يوم لمدة ساعتين يتذاكرون في تلك المدة دروسهم التي يتلقونها على فضيلته في مسجد جامع بريدة في مختلف الفنون والعلوم، وعندما يشكل عليهم شيء من ذلك يرجعون إلى فضيلته فيفيدهم بما يجلو الحق ويوضح الصواب.

وما زال فضيلته يتعهد المكتبة بعنايته ورعايته حتى أصبحت الآن تضم ما يقرب من ثلاثة آلاف مجلد في شتى أنواع العلوم، من بينها طائفة لا بأس بها من الكتب المخطوطة وغالبها في العلوم الدينية والتاريخ والأدب القديم على

أنها تحتوي مجموعة صالحة من كتب اساطين الأدب العربي الحديث أمثال العقاد وأحمد أمين والرافعي وغيرهم، ولما ضاقت بنايتها الأولى بمحتوياتها الكثيرة المتزايدة أمر فضيلته بهدمها وأن تزاد سعة بحيث تصبح أكبر من بنايتها الأولى مرتين ونصف المرة، وبذلك أصبح للمكتبة قاعة كبيرة للمطالعة مفروشة بالحصر والسجاد وتتخللها الأرائك المريحة، وتتسع لأكثر من مائة زائر ومطالع في بناء صحي جميل.

هذا وإن مكتبة جامع بريدة لتشكر المشايخ الكرام الشيخ علي العبدالعزيز العجاجي رئيس الآمرين بالمعروف في بريدة على تبرعه للمكتبة بمكتبته الخاصة في الوقت الذي كانت فيه أحوج ما تكون إلى مثلها كما تشكر الأخوين محمد وسليمان ابني الشيخ عبدالله الرواف على تبرعهما للمكتبة بكتب مطبوعة ومخطوطة كما تشكر سعادة الشيخ فوزان السابق معتمد الحكومة في مصر سابقاً الذي تبرع لها كذلك بكمية كثيرة من الكتب المختلفة، كما تزجي شكرها للشيخ عبدالعزيز المزيني نزيل الكويت الذي تبرع لها بفرش ودواليب حديدية ثمينة، وترجو من كافة المواطنين والمحبين للعلم والعاملين على نشر الثقافة مساعدتها بالتبرع لها بالكتب وغيرها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

هذا ما كتبته وأرسلته إلى فضيلته بمكة للعمل على نشره في الجرائد المحلية كما طلب، وقد وصل اليوم وقال إنه قد سلمها لجريدة البلاد السعودية للنشر وعجب كيف أنها لم تنشر حتى الآن.

وفضيلة الشيخ عبدالله هذا هو من المشايخ وطلبة العلم الذين لهم ذوق رفيع، ونفس تتشوق للأدب، وكان رجلاً يحب الإصلاح، والسبب في ذلك يرجع إلى سفره إلى الخارج وأن أكثر إقامته كانت للعمل خارج بريدة، فهو لذلك قد تعلم سعة الأفق والمحبة في الإصلاح من مقامه في الخارج، وكان صديقاً لي قديماً منذ أن عرفت الأصدقاء، أي منذ سبع سنوات وعمري إذْ ذاك كان ثماني عشرة سنة.

وقد تضررت مكتبة جامع بريدة بأمطار منتظمة هطلت على بريدة واستمرت أياماً فأصاب الضرر المسجد الجامع الذي تقع هي في الجهة الشمالية الشرقية منه، وهي مثله من الطين إضافة إلى كثرة الكتب فيها وثقلها على السقف لأنها في الطابق الثاني فسعى الشيخ عبدالله بن حميد إلى نقلها إلى مكان آخر لا يبعد عن الجامع كثيراً جهة الشرق ثم سعى لدى الملك سعود لبنائها مسلحاً فكان ذلك وصار الشيخ عبدالله بن حميد يجلس فيها للطلبة في بعض الأحيان.

وفي الأزمان الأخيرة نقلت المكتبة إلى مبنى حديث فخم يقع في حي الصفراء على طريق المدينة المنورة من بريدة فنقلت المكتبة إليه وسميت مكتبة الملك سعود على اعتبار أن الملك سعود هو الذي أمر ببنائها الأخير بالمسلح.

وقد اعتقد بعض الناس أن ذلك لكونه هو الذي أنشأها وقد ذكرت إنشاءها قبل عمارة الملك سعود لها بأكثر من عشر سنوات.

الصيف ضيعت اللبن:

كتبت في بعض مذكراتي السابقة عن عرض سخي فاه به فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد لي، وذلك بمناسبة تكريره عبارات أنني لأجل وظيفتي الحالية بالمعارف قد قاطعت طلب العلم وإنه لا ينبغي لمثلي أن يفعل ذلك، فقلت له آنذاك: إنك تعلم يا صاحب الفضيلة أنني كما قيل (مكرهاً أخاك لا بطل)، وإنني لم أترك طلب العلم وألتحق بالمعارف إلا لكي أضمن لقمة العيش التي خلقت محتاجاً لكي أضمنها لأن طلب العلم لم يستطع أن يؤمن لي الحصول على تلك اللقمة ولو غير شهية.

وبعد كلام طويل بيني وبينه في هذا الموضوع وهو تارة يرجع إلى قولي وتارة يتمسك بقوله وتارة يعدل من حدته في الحملة عليّ وتارة يزيدها- قال لي ماذا تقول لو توسطنا لدى جلالة الملك المعظم بأن يبقى لك راتبك الآن في وظيفة المعارف على أن تتفرغ لطلب العلم، ولا تنس أن ذلك سوف يمنحك مزية التفرغ لطلب العلم وأيضاً ستستفيد منه فوائد كثيرة غير ذلك، ومن هذه الفوائد أنك سوف تطرح عن عاتقك المسؤولية والاستجداء أو على الأقل الشعور بالضعة والضعف أمام المفتشين الرسميين، وسوف يمحى من أمام اسمك نعت معلم الصبيان- كذا يقول مع أنني لست معلماً ولكنني مدير مدرسة، ولا أخاله يخفى عليك أكثر هذه المزايا.

قلت له: إنني أشكر فضيلتكم تمام الشكر وأرجو أن تعطوني مهلة أتبصر خلالها في أمري لأن ذلك كما تعلمون مهم بالنسبة لي ولعائلتي فقال: لا بأس،

وعرض في ذلك اليوم لي ما جعلني لا أوافق على تلك الفكرة كما بينت ذلك وبينت مزايا ذلك العرض، والمآخذ الكثيرة عليه في غير هذا الموضع من هذه اليوميات.

واليوم وبعد أن مضى على عرضه الأول ما يقرب من سنة كاملة رأيت خلالها أنني كنت مخطئاً أو أن ما كنت ظننته مانعاً غير مانع لي الآن فاغتنمت فرصة الحديث الذي يدور بيني وبين شيخي عبدالله حول موضوع يتصل بذلك الموضوع ونفذت إلى الكلام عن هذا الموضوع من خلاله ورجوته أن يتكرم بتنفيذ ما عرضه، فقال ما معناه: إنك تركت الفرصة تضيع إن تلك فرصة ضاعت!

قلت له ماذا ضاع منها؟ إنك لا زلت أهلاً للإحسان ولا زال جلالة الملك محباً للخير ولطلب العلم، ولا زلتم تشيرون عليه بالأشياء التي ترونها نافعة في الدين والدنيا، ولا يزال هو يشكركم على ذلك، و ينفذ ما تقترحونه، ومن ذلك ولا شك هذه المسألة، فقال: إن لذلك مناسبة فاتت، (وكان عرضه علينا قد كان على أثر وصوله من الرياض من لدن جلالة الملك) قلت إن محبتكم ومحبة جلالة الملك للخير ما زالت ولا تزال بإذن الله تتجدد وتقوى فقال: نعم، ولكن... فقلت له: ولكنكم أهل لكل مسعى نبيل ومقصد كريم، فقال: ولكن، (ما كل ما يعلم يقال).

وفهمت من بحثي معه ومن خلال كلماته أنه قال للملك ذلك قُبلاً، وأن الملك قد وافق عليه في السابق وهذا ما يشير إليه بقوله إن تلك فرصة فاتت.

وقمت من عنده آملاً أن أواصل الحديث بعد ذلك عن هذا الموضوع، أما ما جعلني أرفض ذلك العرض السخي في حينه فهو أنني ظننت ولا زلت أظن بأنني لن أترك هكذا أطلب العلم ويصرف لي الراتب، بل لابد وأن يزج بي سريعاً إلى وظيفة قضائية، وليس ذلك فحسب بل إنه لا يرجع إليّ في اختيار تلك الوظيفة، أو أراجع في صلاحيتها لي أو ملاءمتها لحالتي، وربما كانت عند بدو أو في قرية فأحرم عند ذلك من القرب من الحياة النسبية في المدن وأنشأ قروياً وينشأ أولادي قرويين أو بدواً، ولكنني أرى الآن أنها أحسن مستقبلاً من مستقبل وظيفتي الحالية كمدير مدرسة ابتدائية لأنها أقرب للترقي من الأخيرة:

وما أدري إذا يممت أمراً ... أريد الخير أيهما يليني

أ الخير الذي أنا مبتغيه ... أم الشر الذي لا يأتليني

استنباط الارتواز:

والارتواز لفظة أجنبية أظنها فرنسية تعتني البئر الذي يحفر في الأرض على هيئة أنبوب كبير حتى يصل ذلك إلى أسفله حيث يوجد الماء.

وهو نوعان هذا كان الشائع في القديم.

والثاني أن يخرج الماء مع الأنبوب من نفسه بنفسه أي من دون آلة رافعة وهذا لم يكن معروفاً في منطقة بريدة من قبل، وأول بئر ارتوازي من هذا النوع نبع في بريدة كان في ٤ شوال سنة ١٣٧٢هـ.

وكان الأمر في المملكة كلها قبل ذلك من النوع الأول أن يحفر البئر وتسقط فيه أنابيب واسعة يستمر الحفر من خلالها حتى الوصول إلى الماء ثم توضع فيه مضخة تركب عليها آلة رافعة للمياه (ماكينة) فتخرج الماء في حوض كبير يأخذ منه الناس ويشربون إذا كان صالحاً للشرب، والذي ليس في بيته إي بئر للماء يأخذ منه ما يحتاج إليه بيته بقدر أو نحوه، إذْ لم يكن الناس يعرفون آنذاك أوعية اللدائن (البلاستيك) مما تسمى بالجوالين- جمع جالون.

وقد رأى الملك عبدالعزيز آل سعود بثاقب نظره ومحبته لإراحة الناس، وتلبية احتياجاتهم حفر بئر في خارج مدينة الرياض القديمة بعد أن رأى ما تفعله شركة الزيت العربية الأمريكة (أرامكو) في هذا الصدد في منطقة الظهران.

فجعل الارتوازي الذي ركبت عليه آلة رافعة للماء خارج بوابة الثميري في شرق الرياض القديمة وفي غرب البطحاء الخالية من العمارة تقريباً في ذلك الحين.

وقد انتفع به الناس فصاروا يردونه مع مواشيهم ويتزودون منه للأسفار لذلك عندما زار الملك عبدالعزيز بريدة في عام ١٣٦٦هـ طلب منه الشيخ عبدالله بن حميد حفر بئر ارتوازي في بريدة حتى يستفيد منه الجميع، وبخاصة أنه لا يوجد في داخل بريدة ماء عام يمكن أن يأخذ الناس منه شيئاً، وإنما توجد حساوة- جمع حسو- وهو البئر الصغيرة خارجها.

وقد أمر الملك عبدالعزيز شركة أرامكو السعودية أن ترسل حفَّاراً مع مهندس ليحفر (الارتواز) وذلك أ نه لم تكن توجد في المملكة جهة لديها استطاعة للحفر إلا شركة أرامكو فأرسلت الشركة حفَّاراً من الظهران على سيارة نقل ومعه خبير أو لنقل: معه رجل مجرب بهذا الأمر اسمه اهاشم وهو إيراني ذكر أنه من الهوله- بإسكان الهاء في أوله وفتح الواو- جمع هُولي بضم الهاء وإسكان الواو، وبعده لام مكسورة فياء نسبة، وهم أهل السنة في إيران فحضر إلى بريدة وبقي فيها وقتاً إذا احتاج الحفَّار إلى آلة أو قطعة من قطع الغيار أرسل لهم برقية بذلك فارسلوا إليه القطعة عن طريق البر.

وهكذا تدفق الماء من الأرض إلى حوض اسمنتي في جنب الارتواز الذي كان موقعه إلى الغرب الشمالي من قصر بريدة في شرقي بريدة القديمة.

حدثني شيخنا رحمه الله متعجباً ومستغرباً من شخص من عقلاء أهل البلد، فقال: عندما علم ذلك الرجل أنني طلبت من الملك عبدالعزيز أن يحفر هذا البئر، قال لي: لعل الأفضل يا شيخ عبدالله أن تسعى بإيقاف ذلك لأنه سوف يترتب عليه مفسدة، إذْ ستأتي إليه نساء كثيرات فيجتمع الفساق حولهن.

قال الشيخ: عبدالله: فقلت له: إنه لن تحصل مفسدة من ذلك إن شاء الله لأنني سوف أوكد على رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكونوا منتبهين والا يخلو المكان من واحد منهم أول الأمر.

أقول: تم الموضوع وانتفع الناس منه ولله الحمد، بسبب جهود الشيخ عبدالله بن حميد.

وهذه إحدى مبادراته.

يوم السبت ٢٦ جمادى الآخرة عام ١٣٧١هـ- ٢٢ مارس عام ١٩٥٢م:

التبرع لفقراء البدو:

السنة هذه بالنسبة للبدو سكان البادية سنة مجدبة لم تقع فيها أمطار تذكر ولذلك ماتت ماشية البادية- والماشية للبدوي كل شيء في الدنيا منها محياه وفي فقدها يموت، ولذلك فقد لجأ الأعراب للمدن ومنها بريدة لجأوا لينجوا من الموت جوعاً وعرياً، بأنفسهم بعد أن ذهب كل ما يملكون إلا أن بعضهم لم تلائمهم حياة المدن مع الجوع وفقد الغذاء الأساسي الذي هو اللبن ولذلك فقد مات عدد منهم ونظراً لذلك فقد جمع حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة التجار والوجهاء والأعيان من أهالي بريدة في مسجد جامع بريدة منذ ثلاثة أيام مضت ووقف فيهم خطيباً فحثهم على الصدقة على هؤلاء الفقراء الذين نكبوا بأموالهم ثم بأنفسهم، وتطرق في التحريض على ذلك حتى قال إنكم – يا أهل بريدة- أهل خير وأهل بر ومعروفون بالمسارعة إلى الخير والبر ومشهورون بذلك، وهذه فرصة يجب أن تغتنم فرصة الحصول على الأجر والثواب من الله تعالى في إغاثة هؤلاء الفقراء المساكين ثم ختم كلامه قائلاً- وما من بأس على من يريد أن ينوي أن ما ينفقه يحتسبه من الزكاة المفروضة.

فتسابق الحاضرون للاكتتاب بعد أن افتتح هو- فضيلة الشيخ- قائمة الاكتتاب بنفسه فتبرع بمائتي ريال سعودي ثم تبرع بعده الوجهاء أبناء فهد العلي الرشودي بمبلغ خمسمائة ريال ثم آل مشيقح بخمسمائة ريال كذلك

ثم مدير مالية بريدة الشيخ حمد التويجري بمبلغ مائة وخمسين ريالاً ومائة وخمسين وزنة تمر ومائة صاع عيش.

ثم تتابع المتبرعون بما أكثره خمسمائة وأقله عشرة أريل حتى بلغ مجموع ذلك عشرة آلاف ريال وثمانمائة، وبعد ذلك بيوم واحد أي في يوم الخميس الماضي أبرق حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبدالله بن حميد متبني فكرة التبرع إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سعود يخبره بذلك فرد عليه سمو الأمير البرقية يشكره ويقول إنه تبرع بمبلغ ثمانية عشر ألف ريال تضم إلى المبلغ السابق وتوزع كسابقها تحت إشراف فضيلة الشيخ عبدالله.

وقد كان سائر موظفي مديرية المعارف لم يدعوا للاجتماع لأنهم في أعمالهم في وقت الاجتماع ولذلك فقد كتب جماعة أهل بريدة يمثلهم أبناء فهد العلي الرشودي أكبر رجل في بريدة حينما كان موجوداً أرسلوا كتاباً إلى معتمد المعارف بالقصيم يقولون فيه إنهم يحبذون أن يطوف على مدارس بريدة الثلاث ويجمع التبرعات من موظفيها ففعل ذلك اليوم.

وبلغ ما جمعه معتمد المعارف بالقصيم من موظفي المدارس ببريدة مبلغ ثلثمائة وأربعين ريالاً، إلا أن أكثرهم اعتذر بأن ما تبرعوا به غير موجود عندهم الآن ولذا فهم يطلبون التأجيل حتى يصرف لهم راتب جديد وهكذا كان، وقد تبرع بعضهم من خمسة وعشرين ريالاً إلى خمسة ريالات.

مبادرات أخرى:

ومن مبادرات شيخنا الشيخ ابن حميد إنشاء هيئة النظر وهي ثلاثة رجال من أهل البصيرة وصدق النظرة والخبرة بأمور العقارات وتحديد الأملاك والأراضي- وأسماها هيئة النظر.

وذلك أن القضاة قبله كانوا إذا رأوا أن الأمر يقتضي معرفة الواقع في حدود العقارات والأراضي يخرج القاضي بنفسه إليه، ويقف عليه، أو يرسل إلى شخص أو شخصين من أهل الثقة والأمانة ليخبروه عن حقيقة ذلك.

ولكن ذلك ليس بصفة دائمة.

أما شيخنا فقد جاء وقد كثرت الأملاك والعقارات وصارت أقيامها ترتفع، وبذلك كثرت الخصومات فيها، وكثرت الحاجة إلى الوقوف إلى موضع النزاع منها- وأذكر من هيئة النظر إبراهيم بن محمد البليهي وعبدالرحمن القسومي، وإبراهيم الضبيعي.

وكان شيخنا يكتب للملك عبدالعزيز آل سعود شارحاً عظم حاجة بعض الناس إلى الصدقة ويطلب منه أن يرسل صدقات أو معونة للقصيم فكان الملك يستجيب لذلك في وقت كانت فيه ميزانية الدولة تواجه نقصاً في الأموال، وذلك لكون عائدات النفط لم تكن قد استقرت.

وهذه بعض المكاتبات بين ا لشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وبين الملك عبدالعزيز في هذا الصدد

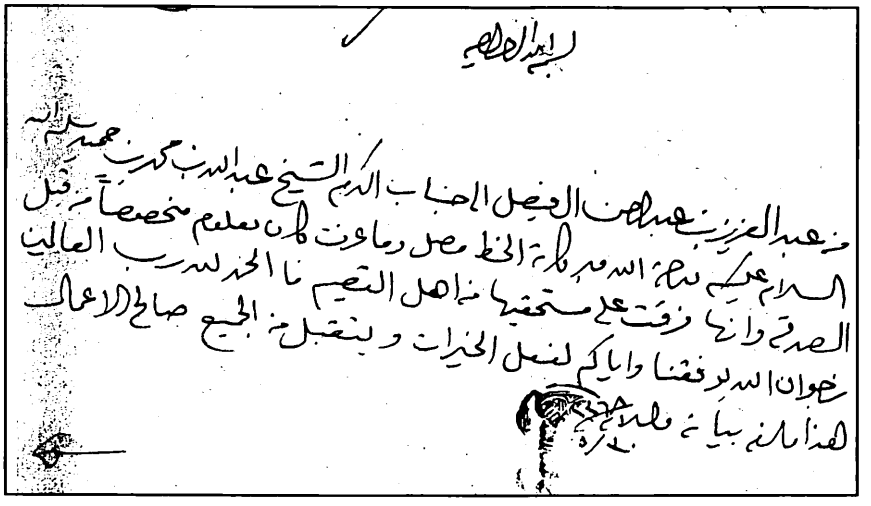

وبحروف الطباعة:

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب المكرم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد سلمه الله

السلام عليكم ورمة الله وبركاته.

الخط وصل وما عَرَّفْت كان معلوماً مخصصاً من قبل الصدقة، وأنها فُرقَتْ على مستحقيها من أهل القصيم فالحمد لله رب العالمين نرجو أن الله يوفقنا وإياكم لفعل الخيرات، ويتقبل من الجميع صالح الأعمال هذا ما لزم بيانه والسلام عليكم.

١٣٦٨/٥/٣هـ

تعليق مختصر:

قول الملك عبدالعزيز، وما عَرَّفْتَ هي بفتح العين وتشديد الراء أي ما أردت تعريفه بمعنى ما ذكرته في الخط المشار إليه والخط هو الرسالة المرسلة مثل هذه.

وقوله: مخصصاً- بالبناء للمجهول- أي بخصوص أو خاصة ما ذكرتموه من جهة الصدقة الخ.

وقد الحق الملك عبدالعزيز آل سعود إلى الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد- برسالة قال فيها:

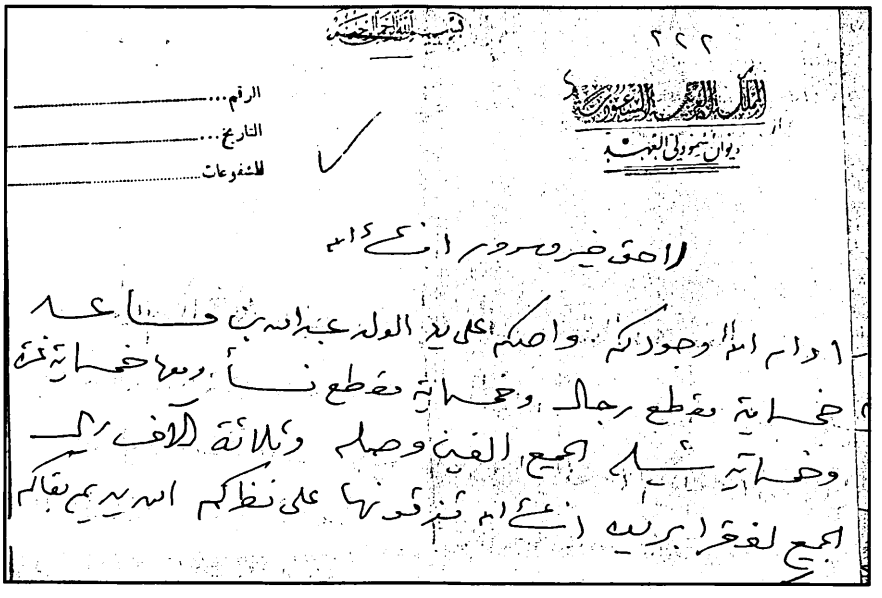

بحروف الطباعة:

لاحق خير وسرور ان شاء الله.

أدام الله وجودكم وأصلكم على يد الولد عبدالله بن مساعد خمسمائة مقطع رجال، وخمسمائة مقطع نساء ومعها خمسمائة غترة وخمسمائة شيلة،

الجميع الفين وِصْله، وثلاثة آلاف ريال الجميع لفقراء بريدة إن شاء الله تفرقونها على نظركم الله يديم بقاكم.

ولم يوقع الملك تحت هذا لأنه ملحق بالكتاب الذي وقعه من قبل.

ولكن هذا الكتاب وما فيه هو غريب في صفات الملوك والحكام وبخاصة في نجد حيث كان الناس يخافون من الحكام من غير آل سعود، وإذا لم ينلهم منهم ضرر عُدّ ذلك مكسباً.

أما الملك عبدالعزيز فإن إحسان ودقة نظره في تلمس حاجات المواطنين ليس بغريب عليه.

فهذه التي أرسلها إلى الشيخ عبدالله بن حميد بوساطة الأمير عبدالله بن مساعد أمير منطقة القصيم آنذاك تتضمن ما يلي:

أولاً: خمسمائة مقطع، والمقطع هو القميص الرجالي الطويل الذي كان اعتاد لبسه أهل نجد.

ثانياً: خمسمائة مقطع نساء، ومقطع النساء هو أيضاً قميص نسائي طويل كانت النساء يلبسنه آنذاك.

ثالثاً: خمسمائة غترة وهي غطاء الرأس للرجال ولا تزال معروفة حتى الآن.

رابعاً: خمسمائة شيلة، والشَّيله- بفتح الشين وإسكان الياء ثم لام وآخره هاء، هي غطاء الرأس للمرأة.

خامساً: ثلاثة آلاف ريال.

وكل هذه لفقراء بريدة يوزعها الشيخ عبدالله بن حميد على نظره أي وفق ما يراه.

وكذلك الملك سعود بن عبدالعزيز منذ أن كان ولياً للعهد وبعد ذلك وهذا أنموذج لتلك الرسائل وهي برقية:

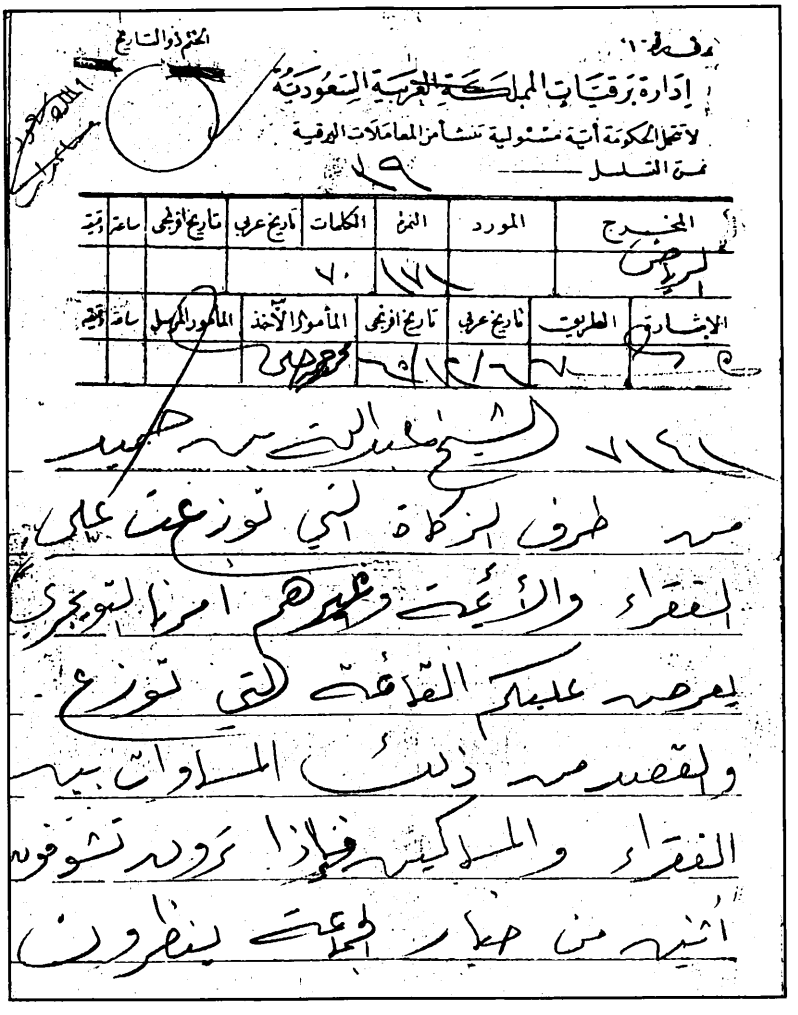
إدارة برقيات المملكة العربية السعودية
لا تتحمل الحكومة أية مسئولية عن أي معاملات البرقية
نمرة السلسلة
المخبرج | المورد | النمرة | الكلمات | تاريخ عربي | تاريخ افرنجي | ساعة | دقيقة
الإشارة | الطريق | تاريخ عربي | تاريخ افرنجي | المأمور الآخذ | المأمور المرسل | ساعة | دقيقة
الشيخ عبدالله بن حميد
صرف الزكاة التي توزع على
الفقراء والأيتام وغيرهم أمرنا التوجري
يعرضه عليكم القائمة التي توزع
ويقصد منه ذلك المساواة بين
الفقراء والمساكين فإذا ترددتم شوفوه
أثنين من جماعة ينظرون

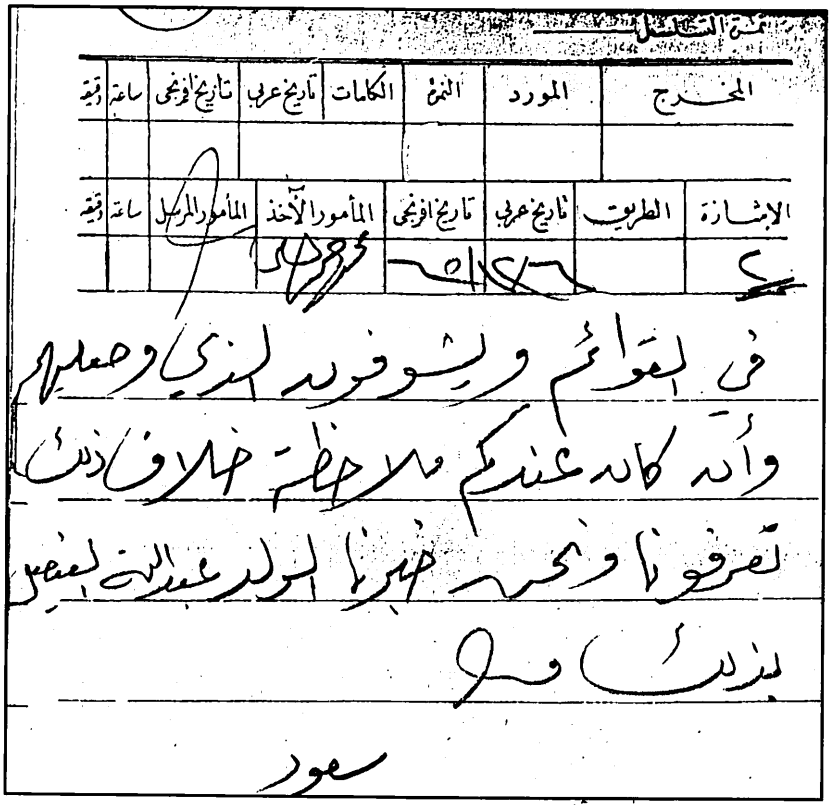

وبحروف الطباعة:

الشيخ عبدالله بن حميد ١٣٦٥/١٢/٦هـ

من طرف الزكاة التي تؤزعت على الفقراء والأئمة وغيرهم أمرنا التويجري يعرض عليكم القائمة التي توزع، والقصد من ذلك المساواة بين الفقراء والمساكين، فإذا ترون تشوفون اثنين من خيار الجماعة ينظرون في القوائم ويشوفون الذي وصلهم وإنْ كان عندكم ملاحظة خلاف ذلك تعرفونا.

ونحن أخبرنا الولد عبدالله الفيصل بذلك.

سعود

والتويجري هو الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري مدير مالية بريدة.

والولد عبدالله الفيصل هو الأمير عبدالله بن فيصل الفرحان أمير منطقة القصيم في ذلك الوقت.

عمارة المسجد الجامع بالمسلح:

في عام ١٣٧٦هـ أصاب بريدة مطر عظيم بحيث استمر يهطل بصفة متقطعة لمدة ١٨ يوماً لم تر فيها الشمس أصلاً فتضررت كثير من البيوت الطينية وكل البيوت كانت آنذاك من الطين، وخرج أكثر الناس من بيوتهم خائفين من سقوطها عليهم ونصبوا خياماً في خارج بريدة وكان من المباني المتضررة مبنى المسجد الجامع الذي هو من الطين أيضاً حتى خيف أن يسقط أو يسقط جزء منه على المصلين فأبرق الشيخ عبدالله بن حميد إلى الملك سعود يخبره بذلك ويطلب منه هدم هذا المبنى وبناء المسجد بالأسمنت المسلح.

وقد وافق الملك سعود على ذلك وأمر أن يبنى بالمسلح على نظر الشيخ عبدالله بن حميد وأوكل الشيخ إلى فهد بن مزيد الخطاف وعلي العجاجي العناية بذلك.

فصادف أنه يوجد في بريدة رجل من أهلها هو سليمان بن فوزان العثمان من الفوزان أهل بريدة الذين دخلوا إليها من بلدة الشماس القديمة كان قد تقدم لبناء المعهد العلمي الذي هو تحت إدارتي ولكن بناءه ليس عندي لأنه لم تكن لدي أنا معرفة بالبناء المسلح آنذاك سنة ١٣٧٥هـ ولا يوجد في بريدة من يستطيع مراقبة هذا العمل.

لذلك كانت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية في الرياض التي يتبعها معهدنا هي التي تولت ما يتعلق بالاتفاق مع المقاول.

وكان معه مهندس مصري اسمه فهمي أبوالعز وهو أخ لمدرس عندنا في المعهد اسمه رمضان أبو العز فاشتركا في هذا العمل واتفق معهم الشيخ عبدالله على هدم مبنى المسجد وإعادة بنائه بالأسمنت المسلح.

وهكذا كان حتى تم المسجد وكان بناءً قوياً إلا أنه ليس على طراز من الأبنية المعروفة كالطراز الأندلسي أو التركي المتأخر مثلاً.

ومع ذلك اعتبر بعض الناس أنه شيء مهم لكونه جديداً وغريباً عليهم.

وقد بقي هذا المبنى على ما هو عليه حتى ضاق بالمصلين لكثرتهم وأصبح بحاجة إلى التوسعة فصدر أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وجزاه عنا خيراً فأمر بتوسعة المسجد بضم أراضي البيوت التي حوله إلى بنائه على طراز عربي أصيل.

وقد تم ذلك فصار تحفة للناظرين كما هو عليه الآن عند كتابة هذه السطور في عام ١٤٢٩هـ.

وهذا كتاب من الشيخ عبدالله بن حميد إلى الملك سعود رحمهما الله من عدة رسائل وبرقيات متبادلة حول عمارة المسجد الجامع القديمة في بريدة:

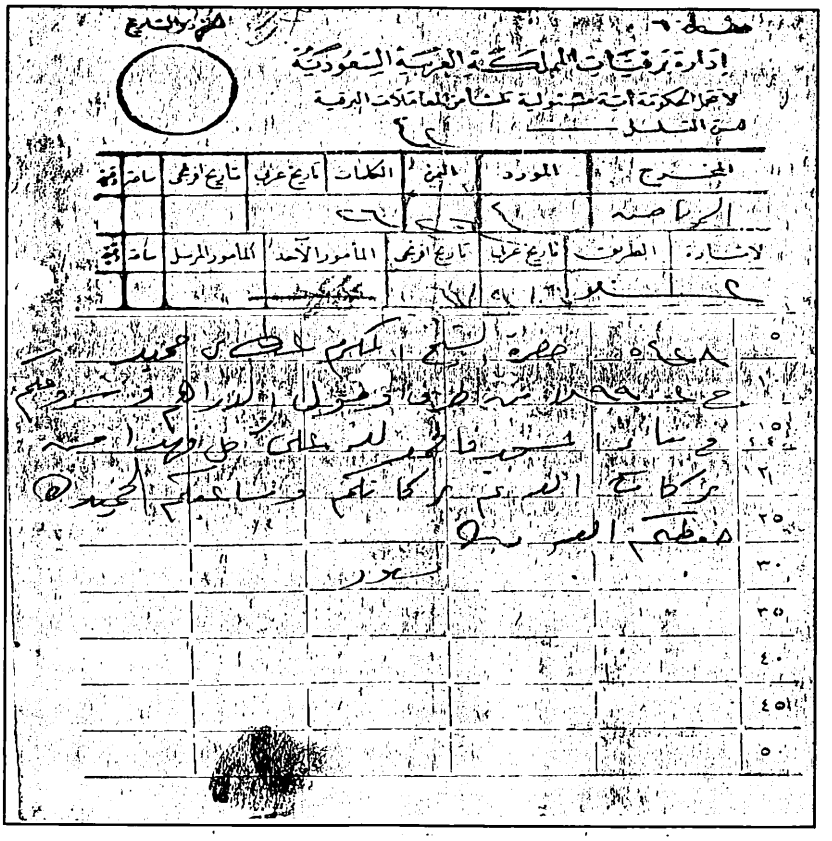

وهذه البرقية من الملك سعود عندما كان وليّاً للعهد إلى الشيخ عبدالله بن حميد:

الرياض: ٢٦٢٦٤

عدد ٦/٩/٦٤

٥٤٢٨ حضرة الشيخ المكرم عبدالله بن حميد

ج ع٩٩د من طرف وصول الدراهم وشروعكم في بناء المسجد فالحمد لله على كل فهذا من بركات الله ثم بركاتكم ومساعيكم الحميدة حفظكم الله.

سعود

إنشاء معهد الحرم المكي:

أثناء وجود شيخنا ابن حميد على راس العمل في رئاسة شئون المسجد الحرام وهي برتبة وزير واسمها آنذاك: (رئيس الإشراف الديني في الحرمين)، وقد تحول اسمها بعد ذلك إلى رئاسة شئون الحرمين، ثم إلى (رئاسة المسجد الحرام والمسجد النبوي في المدينة المنورة) فكر رحمه الله كعادته في الاهتمام بطلبة العلم، ورأى أنه لابد من العناية بهم، وبخاصة النابهين منهم، وإن كان ما انطبق على طلبة العلم في بريدة لا ينطبق بالضرورة على طلبة العلم في المسجد الحرام الذين جاءوا من أماكن متباعدة من أنحاء العالم، بغية الحصول على العلم الشرعي من منبعه (الحرمين الشريفين) لأن طلبة العلم في بريدة أصحاب وطن لأكثرهم وسائل معيشة يعتمدون عليها بخلاف طلبة العلم الذين هم مهاجرون، أو لنقل: إنهم غرباء في مكة المكرمة جاءوا لطلب العلم فقط.

فاستقر رأي شيخنا على أنه لابد من إنشاء معهد في الحرم المكي لهذا الغرض يختار له مدرسون أكفياء وتجعل لطلابه مكآفات شهرية تساعدهم على التفرغ لطلب العلم.

وهكذا كان.

إذ تلقيت من شيخنا في عام ١٣٨٤هـ وكنت آنذاك في وظيفة (الأمين العام للجامعة الإسلامية) في المدينة المنورة كتاباً يذكر فيه عزمه على إنشاء معهد الحرم المكي وأنه رأى تكليف لجنة من طلبة العلم المختصين لوضع نظام للمعهد

ووضع الخطوط العريضة للبرنامج الدراسي له، وأنه رأى أن أكون أحد أعضاء تلك اللجنة.

وقد ذكر في كتابه بقية أعضاء اللجنة وقد علق في ذهني الأن اسم أحدهم وهو السيد إسحاق عزوز وهي من كبار السادة العلماء في مكة المكرمة، وقد سبق أن شغل وظيفة دينية فيها.

وهو إلى ذلك عاقل وحصيف.

وقد عقدت اللجنة اجتماعات لها متكررة حتى أنهت مهمتها وقدمت ذلك للشيخ عبدالله بن حميد وقد قام (معهد الحرم المكي) بالفعل والتحق به الطلاب الأجانب وانتفعوا به.

واستمر ذلك عبر السنين إلى الآن- ١٤٣١هـ.

قال ابنه صاحب الفضيلة الدكتور صالح ابن حميد فيما يتعلق بهذا الموضوع: معهد الحرم المكي (الجمع بين التعليم النظامي والحلقات العلمية):

شغف الشيخ- رحمه الله- بالعلم منقطع النظير فهو في نفسه لا يكاد يجلس خالياً من قراءة أو مذاكرة أو بحث.

إلى أن قال:

ثم لما انتقل إلى مكة المكرمة رئيساً عاماً للإشراف الديني على المسجد الحرام نظر في التدريس في المسجد الحرام وهو إحدى مهمات الرئاسة فكأنه

لم يرتض حال الحلقات لقلة الإقبال عليها وكذلك أيضاً عدم شغلها كل النهار كما هو المألوف في القديم إذ كانت الحلقات تبدأ من صلاة الفجر ولا تنقطع إلا بعد صلاة العشاء.

وكأني بالشيخ- رحمه الله- رأى أن يعيد للمسجد- ولا سيما المسجد الحرام- دوره في التعليم واستقطاب الطلاب والعلماء على حد سواء فتوجه إلى فكرة إنشاء المعهد جامعاً بين التعليم النظامي في مواده وشهادته واختباراته وبين التعليم في المساجد إذ أبقاه حلقات عامرة في المسجد وجلب إليه مجموعة من أهل العلم الذين باشروا التدريس فيه وأجرى فيه للطلاب مكافآت مجزية تعينهم على مواصلة التحصيل ولا يزال المعهد في عطائه، بل إن طلابه من أكثر الطلاب تميزاً حين يلتحقون بالجامعات فشهاداته معادلة بثانوية المعاهد العلمية، ودار التوحيد وفتح فيه قسم عال يمنح شهادة البكالوريوس يتلقون تعليمهم بين أروقة المسجد الحرام جوار الكعبة المشرفة وزمزم والحطيم.

ولعله بهذا يتبين نظر الشيخ المتبصر في الاستفادة من مستجدات العصر في تنظيمه للتعليم وشهاداته وبين أصالة التعليم وارتباطه بالمسجد ديناً وتقوى بإذن الله.

إنتهى.

عود إلى مذكراتي الخاصة:

الدين:

كنا في مجلس شيخنا ابن حميد، وبعد أن كاد ينفض المجلس أشار صاحب الفضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد إلى رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة الشيخ علي العجاجي قائلاً مر على أئمة المساجد في البلد أن يعلموا الناس الدين كالعادة، فأشار بالسمع والطاعة.

وهذه العادة عادة تعليم الدين عادة قديمة في البلد لا يمضي سنتان ولو ثلاث إلاَّ وتفعل مرة واحدة وهي تتلخص في أن يجبر إمام المسجد جميع المصلين في مسجده بإجابته على أسئلة في الدين والفقه الحنبلي من مؤلفات الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ومن أجابوا على تلك الأسئلة أو بعض الإجابة حتى ولو بصفة آلية عدوا من الذين عرفوا الدين حتى ولو كانوا لا يفهمون معنى ما أجابوا به الأسئلة على أن بعض العامة الأجلاف لا يستطيعون الإجابة ولو إجابة آلية فيؤاخذون على ذلك ويُشكون إلى الأمير وكأن الأولى أن يشرح لهم بما يفهمون حتى يفهموه ولكن هذا هو الجمود وهذه الطريقة غير المجدية في التعليم.

ومن المؤسف أن السؤال عن الدين يتم بحضور جماعة المسجد كلهم بعد صلاتي العشاء أو الفجر مباشرة قبل أن ينصرف أحد منهم فيسأل الإمام أحدهم أول سؤال قائلاً:

من ربك؟

فيجيب المسئول وهو عامي لأن طلبة العلم على قلتهم لا يسئلون عن ذلك لأنهم يعرفونه قائلاً:

ربي الله، ولو كان هذا كافياً وهو كاف لكي يكف عنه (المطوع) إمام المسجد لهان الأمر ولكن المطلوب منه أن يقول:

ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

وهذه هي العبارة المثالية الكاملة.

ويأتي بعد ذلك السؤال الثاني:

ما دينك؟

والجواب الكافي هو: ديني الإسلام، ولا يكتفي المطوع بذلك حتى يقول المسئول: ديني الإسلام وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وإخلاص العبادة.

وقد يقول ما بعدها أيضاً في العادة: والإسلام يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ثم السؤال الثالث:

من نبيك؟

والجواب الكافي: محمد ﷺ.

ولكن لابد من أن يقول المسئول: وهو محمد بن عبدالله بعثه الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن بشيراً ونذيراً.

مع أن العامي لا يعرف معاني بعض هذه الكلمات كالثقلين.

ثم سؤال عن أركان الإسلام.

وآخر عن نواقض الإسلام: وعن شروط الصلاة... الخ.

يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخرة عام ١٣٧١هـ- ٢٣ مارس عام ١٩٥٢م:

جهاز الراديو:

قبل ستة أشهر أصدر ولي العهد المعظم سمو الأمير سعود أمراً إلى جميع القضاة في نجد بأن يجلسوا في السوق سوق البيع والشراء كل في مدينته مجلسين في الأسبوع مرة يوم الاثنين والأخرى يوم الخميس، وكان أن بدأ مجلس هنا في بريدة فضيلة قاضيها الشيخ عبدالله بن حميد، وكان يرى فضيلته أن من الأحسن للعوام والأليق بهم ألا تشحن رؤوسهم بالمواعظ القديمة أو الأحاديث التي ليست صحيحة التي تزهد في الدنيا أو ترغب في الأخرة وأن لا تذكر لهم العقائد إلا مجملة لأنهم في نجد ليسوا بحاجة إلى مثل ذلك فالجميع يعتقدون عقيدة واحدة ولا يختلفون في شيء منها، وإنما يرى فضيلته أن من الألزم للمذكر والواعظ أن ينظر إلى الأشياء التي وقع فيها العوام الآن ويشخصها لهم ويحذرهم منها، ويضرب مثلاً على ذلك بترك الصلاة والتهاون بها وكذلك الزكاة وقد نفذ ذلك فضيلته فعلا فتكلم على هذين المبحثين وعلى كثير غيرهما مما يماثلهما.

بل ولم يقف فضيلته عند هذا الحد بل وحذر الذين يصرفون أوقاتهم في الاستماع إلى جهاز الراديو وإهمال الصلاة مع الجماعة وإهمال شئون أسرهم بسبب ذلك.

أقول هذه الكلمات لأجل ما سمعته اليوم من شخص من تلك الفئة المغفلة يمتدح عمل فضيلة الشيخ هذا ويقول إنه بسبب كلام الشيخ قد بيع منذ أن قال كلمته الأولى في ذم الراديو في بريدة قد بيع ستة أجهزة راديو، وكم كان خجله عظيماً حينما قلت له إذاً من اشترى هذه الأجهزة أليسوا أهل بريدة؟

التفرغ لطلب العلم على الشيخ ابن حميد:

منذ أن قدمت استقالتي من وظيفة التدريس في المدرسة الحكومية وهي الاستقالة الوحيدة التي تقدمت بها من وظيفة حكومية في حياتي وذلك في شهر جمادى الأولى عام ١٣٦٤هـ تفرغت لطلب العلم على شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد، في دراسة مكثفة للعلوم تبدأ من أذان الفجر وتنتهي بالجلوس في المكتبة بعد صلاة العشاء وبطبيعة الحال لم يكن الوقت كله وقت دراسة على الشيخ، وإنما يتخلله أوقات مطالعة وبحث مع طلبة العلم واستفادة من الشيخ عبدالله بن حميد.

وقد لازمت الشيخ ملازمة تامة فكان أن عينني في وظيفة (قَيم مكتبة جامع بريدة) كما قدمت فصرت استفيد من الكتب التي ترد إلى المكتبة، وصرت اجتهد في الحصول على الكتب لها.

ولكن لم يبق لي أي دخل شهري إلا راتب (قيم المكتبة) وهو أربعون ريالاً في الشهر، وقد زاد الشيخ عبدالله المقرر الذي كان يصرفه لي من مكرمة الملك عبدالعزيز للطلبة فصار اثني عشر ريالاً بدلاً من ستة ريالات التي كانت في أول الأمر، فصار دخلي ٥٢ ريالاً إلا أن ذلك غير كافٍ فوالدي قد غشا الماء الأبيض عينيه فصار يحتاج إلى من يساعده في الدكان.

بل صار بيعه وشراؤه قليلاً إلا أن شقيقي الذي صار بعد ذلك (القاضي سليمان العبودي) سليمان كان كبر قليلاً فصار يساعد والدي في الدكان.

وقد صارت ملازمتي للشيخ عبدالله في أوقات الدرس وغيرها.

وتطورت دراستي عليه في الدرس الرئيسي في الجامع في وقت الضحى فقرأت عليه عدة كتب منها كتاب، (غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى) في الفقه الحنبلي، وهذا الكتاب هو أهم المتون الكبيرة في الفقه الحنبلي المتأخر، ويكفي أن يتأمل الإنسان اسمه وهو الجمع بين الاقناع والمنتهى وهما من أمهات كتب المتأخرين الحنابلة.

ومؤلفه هو الشيخ الأديب مرعي بن يوسف الحنبلي، ومن لطيف صنيعه أنه إذا ورد على ذهنه استدراك على ما ذكره الحنابلة في مسألة من المسائل قال: ويتجه من الاتجاه أو الوجاهة، ولفظ الاتجاه إلى القول في مسألة من المسائل الفقهية تعبير مألوف لأهل الفقه في المذاهب كلها، و إن اختلفت عبارات التعبير، إلا أنني كنت ألاحظ عليها أشياء قليلة فأقول: ويتوجه كذا وليس هذا تأليفاً، وإنما كنت أتكلم به في حلقة الدروس وقد مضت تلك السنون كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

وما لم يكتب فيها ضاع إلاَّ ما اختزنته الذاكرة، أو أثارته حادثة من الحوادث أو بحث من البحوث ولكنني أذكر من ذلك قول الفقهاء الذي ذكره الإمام مرعي بن يوسف صاحب الغاية قائلاً كعادته من كتب أهل المذهب وإنْ لم يصرح به في كل مسألة لأن كتابه كله هكذا وهو ما إذا اضطر المصلي إلى الجشاء أي إلى أن يتجشأ وهو في الصلاة أو على حد تعبير بعضهم غلبه الجشاء قال مرعي:

وينبغي له أن يرفع رأسه بذلك الجشاء من أجل ألا يؤذي جاره في الصلاة برائحته، فقلت أنا:

ويتوجه إلا أن يكون الرجل قصيراً لأنه إذا كان قصيراً وجاره في الصف أثناء صلاة الجماعة طويلاً أو معتاداً، فإن المتجشيء إذا رفع رأسه بالجشاء تضرر جاره برائحته بخلاف ما إذا بقي طبيعياً أو خفض رأسه.

وهكذا مسائل عديدة بعضها طريف وبعضها جدِّي، وكنت أعرض ذلك أثناء الدرس فيبدي شيخنا رأيه فيما أقوله إما بتأييده أو بتوضيح ما يعارضه أو ينافيه.

وكان من أهم ما عرفني به طلبة العلم هو أ ن الشيخ كان يأمرني أثناء الدرس إذا عرضت مسألة أو نقطة من البحث تستدعي الرجوع إلى كتاب من الكتب وطلب مني الشيخ أن أحضر الكتاب الذي هو مرجع المسألة، وأن استخرجها منه فعلت ذلك بسرعة، لأن مفتاح المكتبة بيدي، وقد تولدت لديَّ من كثرة المعاناة ومطالعة الكتب ملكة الوصول إلى المسائل المطلوبة بسرعة.

وهذه من مزايا شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد ألا يترك المسألة تمر وفي نفسه أو نفوس طلابه منها شيء غير واضح.

وأذكر مرة أنني لم أكن موجوداً في حلقة الدرس فاحتاج الشيخ إلى معرفة مسألة من المسائل في أحد المراجع من الكتب التي هي مظنة ذكرها فأمر أحد الطلبة وكنت أعطيته مفتاح المكتبة بذلك، ولكن الرجل لم يستطع الاهتداء إلى

المسألة في الكتاب، ولو اعتذر عن ذلك لكان خيراً له، و لكنه لم يرد أن يفعل، فأحضر كتاباً آخر وأخرج منه مسألة أخرى غير المسألة المطلوبة فأخبرني الحاضرون بعد ذلك أن الشيخ صار كالمتأسف وطلبة العلم في حلقته والمستمعون لها خلفهم يأسفون لحرمانهم من العلم بالمسألة.

لأن من عادة شيخنا أنه إذا بحث مسألة أن يوضحها بعباراته هو، ولا يقتصر على قراءة ما كتبه صاحب الكتاب عنها، وكثيراً ما يذكر لها صوراً أو تصورات غير مذكورة في الكتاب، حتى يثبتها في أذهان الطلبة.

وربما كان يقصد أيضاً أن يثبتها في ذهنه، والمراد من ذلك النقطة أو المسألة التي طلب استخراجها من الكتب، وهو لا يطلب ذلك إلاَّ إذا كانت المسالة مهمة وغير واضحة في أذهان الطلبة وإما لكون المسألة حدث مثيل لها غير معروف في القديم، أو كانت العبارة التي وردت فيها في كتاب آخر أو في مبحث آخر فيها مصطلحات أو كلمات غير معروفة في لغتنا أو فيما نستعمله من لغتنا.

أما المسائل الفقهية المعتادة فإن ذاكرة شيخنا القوية تختزنها مع تفاسيرها وتفرعاتها وأدلتها من القرآن والحديث أو القياس، ومن كلام العلماء، وهذا ظاهر معروف عنه.

رحمه الله وجزاه عنا خيراً.

وكان يحضر حلقة الدرس الرئسية هذه التي هي جلسة الضحى في الجامع عدد كبير من طلبة العلم من كبار وصغار إلاّ من كان يمنعه صغره من متابعة ما يقوله الشيخ لعدم وجود قواعد لمعرفة ذلك في ذهنه.

وبعض أولئك الطلبة كبار السن أكبر من الشيخ عبدالله بن حميد سناً مثل عبدالله بن رشيد الفرج أو في مثل سنه مثل الشيخ صالح بن أحمد الخريصي.

وكل الدراسة في هذه الجلسة النهارية المهمة هي بالنظر، وليس فيها دروس حفظ.

وكثير من كبار المشايخ الذين هم في قضاء بعض البلدان قبل أن يعين فيها الشيخ عبدالله بن حميد وهم جميعاً من تلامذة آل سليم وبخاصة الشيخين القاضيين الأخوين عبدالله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم كالشيخ سليمان المشعلي والشيخ محمد بن عبدالله الحسين بعد أن ترك القضاء، ومنذ أن كان قاضياً في عنيزة، والشيخ علي بن عبدالله الصقعبي والشيخ علي الغضية والشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد إذا كان حاضراً في بريدة والشيخ فهد بن عيسى العيسى والشيخ عثمان بن أحمد بن بشر قاضي الأجفر والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل إذ جاء إلى بريدة وهو قاضي البكيرية والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العبدان القاضي المرشد في الخصيبة

في الأسياح والشيخ محمد بن صالح المطوع، الزاهد الشهير ولم يل القضاء والشيخ محمد بن صالح بن سليم قاضي عدة بلدان.

وسليمان بن عبدالكريم الجربوع والشيخ عبدالله بن عودة السعوي، والشيخ عبدالله بن حماد الرسي، والشيخ سليمان بن محمد الجربوع والشيخ القاضي صالح بن سليمان بن سيف قاضي المضيق قرب مكة، والشيخ محمد بن صالح المقبل من أهل المذنب والشيخ راشد بن فهد التويجري.

كان هؤلاء وغيرهم من أمثالهم يحضرون الدروس من دون أن يشاركوا في الحلقة أو الدراسة، وطبيعي أنهم لا يجتمعون جميعاً لذلك في آن واحد.

وكان يحضر الدروس هذه مستمعاً طلباً للفائدة، وللثواب في اللبث في المسجد عدد من كبار القوم مثل زعيم بريدة في وقته فهد بن علي الرشودي الذي كان يواظب على ذلك، حتى إنني لم أفقده في أي يوم من أيام الأسبوع التي تنعقد فيها الدروس وهي تنعقد في كل أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة.

وقد شاهدته يأتي فيصلي في المسجد ركعتين تحية المسجد، وقد يصلي أربعاً ثم يبقى في المسجد حتى ينتهي الدرس كله في نحو الساعة العاشرة.

ولكنه لم يكن يبحث معنا، بل ولا يجلس إلى طلبة العلم بعد انتهاء الدرس، وذلك لأمور منها أنه ليس طالب علم، بل هو طالب أجر وثواب في حضور الدرس، بخلاف أخيه إبراهيم بن علي الرشودي فإنه طالب علم من تلاميذ الشيخ إبراهيم بن جاسر، رحمهم الله جميعاً.

والأمر الثاني مما يمنع الزعيم فهد الرشودي من البحث معنا أن أكثر الطلبة أصغر منه سناً، ولكنهم أعلم منه بالأمور العلمية البحتة، فلا يستطيع أن يباريهم في المباحثة، والأمر الثالث، أنه صار ذا تجارة واسعة في الإبل ونحوها فيذهب مباشرة من المسجد الجامع إلى جردة بريدة لمتابعة التجارة في الإبل وغيرها.

وكان يحضر الجلسة مستمعاً مثله أيضاً ناصر بن إبراهيم الغصن وسعد بن محمد العامر.

وكان ممن يدرس معنا في الحلقة على ا لشيخ غير من ذكرت:

- الشيخ علي بن راشد الرقيبة.
- الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي.
- الشيخ عبدالله بن محمد البقيشي.
- الشيخ علي بن إبراهيم بن صالح المشيقح الذي أصبح بعد ذلك مساعد رئيس محاكم القصيم أذكر أنه قرأ فيها صحيح مسلم كله على الشيخ عبدالله، وكان يحضر معه قلماً وورقة يقيد فيها بعض الأشياء التي تبحث في الدرس.
- والشيخ علي بن محمد السكاكر، الذي صار رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة.
- والشيخ صالح بن إبراهيم الرسيني.
- والشيخ محمد بن الشيخ القاضي عبدالله بن سليم، وقد مات شاباً وذكرت

ترجمته في (معجم أسر بريدة).

- والشيخ علي بن سالم آل سالم، الذي صار قاضياً ومساعداً لرئيس محاكم القصيم.
- والشيخ عبدالله بن سليمان النقير.
- والشيخ عودة بن القاضي الشيخ عبدالله السعوي.
- والشيخ حميدان بن عبدالعزيز التركي.
- والشيخ محمد بن موسى الحمود.
- والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الغصن.
- والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم الدوسري، الذي صار بعد ذلك أمين مكتبة الحرم المكي في مكة المكرمة.
- والشيخ سلطان بن سليمان السلطان.
- والأستاذ علي بن عبدالله الحصين.
- والشيخ علي الضالع، الذي صار بعد ذلك مدرساً في المعهد العلمي في بريدة.
- والشيخ عبدالله الخضيري قاضي محكمة عفيف ثم صار مدرساً في المعهد العلمي في بريدة.
- والشيخ عبدالله بن صالح المحسن من أهل الشيحية وقد صار بعد ذلك بزمن مدرساً في المعهد الثانوي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.
- والشيخ عبدالله بن سليمان البطي القاضي في محكمة بريدة، ثم في محكمة

عنيزة.

- والشيخ عبدالله بن عثمان البشر الذي تنقل في عدة وظائف قضائية ثم صار عضواً في محكمة التمييز في مكة المكرمة.
- والشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي الذي تولى بعد ذلك قضاء دخنة والخبراء.
- والشيخ صالح بن عبدالرحمن القرعاوي الذي صار رئيس محكمة الأحساء.
- والشيخ علي بن فايز الدغيري الذي تولى أخيراً قضاء الشماسية.
- والشيخ سليمان بن محمد الجربوع قاضي العظيم ثم قاضي الأرطاوية.

وخلق غيرهؤلاء لا تحضرني أسماؤهم.

ولم يكونوا يحضرون الدروس في آن واحد، بل كان بعضهم يحضرها فترة وغيره فترة أخرى من باب المصادفة، وليس بترتيب منهم، وهؤلاء كلهم من الذين كانوا يجلسون في حلقة الشيخ عبدالله بن حميد عندما كنت أنا أجلس فيها، أما الذين صاروا يجلسون عليه من تلامذته بعد ذلك، وبعد أن تركت حضور هذا الدرس بسبب اشتغالي في الوظيفة عام ١٣٦٧هـ فإنهم بالمئات.

هذا وقد نفع الله بجلسة بعد العشاء في مكتبة الجامع فكنت أفتحها وأبقى فيها مع عدد من الإخوة من طلبة العلم أذكر منهم:

الشيخ علي بن راشد الرقيبة.

وعلي بن عبدالله الحصين.

وعبدالله بن محمد البقيشي.

وسلطان بن سليمان السلطان.

وخالي صالح بن موسى العضيب.

والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي.

وأخي الشيخ القاضي سليمان بن ناصر العبودي.

وشيخنا الشيخ صالح السكيتي الذي صار قاضي المذنب.

مسألتان متعلقتان بي:

وهما حادثتان تافهتان لولا أنهما تتعلقان بالمؤلف وبشيخه الجليل عبدالله بن حميد لما استحقا الذكر.

أولاهما: أنني دعوت شيخي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد بعد صلاة الظهر للقهوة والشاي والبخور في بيتنا، وكان ذلك في آخر عام ١٣٦٤هـ وعمري تسع عشرة سنة، وكان الشيخ عبدالله بن حميد آنذاك وكما كان بعد ذلك ملء الأسماع والأذهان، فكان لا يستجيب لدعوات الناس في بيوتهم حتى كبار القوم فضلاً عن شاب صعلوك مثلي، ولكنني كنت تلميذه، بل ربما كنت أقرب تلاميذه إلى تفكيره، لذلك استجاب لدعوتي.

وكان والدي موجوداً فكنت في المكان الذي يسميه الناس عندنا (مْسَوَّى القهوة) يعني مكان الذي يسوي القهوة، يعدها ويصبها وعلى يميني والدي جالساً بجانبي والشيخ عبدالله بن حميد في صدر المجلس الذي يسميه الناس (المحكمة) كأن ذلك من كونه في العادة مكان الحاكم والرجل الكبير.

فلما سكبت القهوة ناولت والدي لكونه بجانبي ولا يمكن أن أعدّيه الفنجال- كما يعبر العوام بذلك، فقال لي: عط الشيخ عبدالله فأعطيت الفنجال للشيخ عبدالله فقال: لا، اعطه الوالد، فامتنع والدي من أن يأخذ الفنجال قبل الشيخ عبدالله وبكى:

فقال له شيخنا: وراك تبكي يا أبو محمد؟

فقال: أبكي من الفرح: إني ما مت لما أني شفت لي و لد يعزمك على بيتي وتستجيب له، ثم قال بعد أن سكن بكاؤه: أنا يا شيخ أحب العلم والمعرفة، ولم يتيسر لي ذلك في شبابي فسألت الله تعالى أن يجعل ابني طالب علم، وقد صار ولله الحمد.

والثانية: أنني مرة قال لي والدي بحدة وبشيء من الغضب: وراك ما علمتني باللي قال عنك الشيخ ابن حميد؟ فقلت له: في أي مناسبة؟ فقال: في فلاحة فهد الرشودي بالصباخ، فقلت: لم أعلم بشيء من ذلك.

وكان يعرفني وهو الذي رباني على عدم الكذب حتى في المزح.

قال: قال لي فلان وفلان أن فهد بن علي الرشودي كان عزم الشيخ عبدالله بن حميد في نخله في الصباخ وكان الوقت صيفاً، قال: فسأل فهد الرشودي الشيخ ابن حميد قائلاً: يا شيخ بشرنا عسى في تلاميذكم ناس متوجهين للعلم ولهم مستقبل في العلم.

فقال الشيخ عبدالله: الإخوان- يريد طلبة العلم- فيهم بركة ولله الحمد.

فقال فهد الرشودي من أمثل تلاميذكم، أو قال من هو أجود تلاميذكم في طلب العلم؟

فقال الشيخ: محمد العبودي وفلان.

وأقول: لم أعرف اسم الشخص الآخر.

وقد طار بها من له صلة بوالدي يبشره بذلك.

قال والدي: ظننت أنك كنت مع الشيخ عبدالله في العزيمة لم تخبرني.

فقلت له: لم أكن في العزيمة، ولم أسمع بهذا من قبل.

وكدت أقول له: ولو سمعت به لما نال اهتمامي، لأنني أعرف منزلتي عند شيخي وإحسانه الظن بي جزاه الله عني خيراً.

أقول: استمر شيخنا في تشجيعي على طلب العلم والتفرغ له وذلك بأن فرض لي بعد ذلك راتباً جيداً هو أربعون ريالاً في الشهر لقاء عملي في المكتبة وزاد المقرر لي من المبلغ الذي كان قسمه على طلبة العلم فصار ١٢ ريالاً بدلاً من ستة ريالات التي كانت في أول الأمر فصار الجميع ٥٢ ريالاً في الشهر، وهذا مبلغ جيد في ذلك الوقت، وقد تقدم ذكر ذلك.

التخفيف من طلب العلم:

بقيت على حالتي هذه إلى أول عام ١٣٦٧هـ وقد جدت بالنسبة إليَّ عدة أمور أولها أن والدي قد أصاب الماء الأبيض عينيه، حتى أذهب نورهما فصار لا يبصر، ولم يكن يوجد طب لمعالجة الماء الأبيض آنذاك، إلا الطب الشعبي الذي لا يريده كثير من الناس لأنه يسبب ما يسمونه (الشاعب) وهو الصداع الشديد الذي لا يمكن الصبر عليه.

وصفة دواء الماء الأبيض ويسميه العامة (الضرب بالميل) والميل هو صفيحة صغيرة من الذهب حادة الطرف على هيئة مسمار مبسوط أي غير مستدير.

ونحن نعلم الآن أن الماء الأبيض هو اعتام عدسة العين وهو إظلامها الذي يحدث لبعض الناس نتيجة كبر السن، والطب الحديث يعالجه الآن بعلاج جراحي وذلك بإزالة العدسة المعتمة وإبدالها بعدسة صناعية صافية توضع في العين فيعود إلى الإنسان بصره.

أما العلاج عن طريق (الضرب بالميل) فإنه يأن يدخل المعالج تلك الصفيحة الذهبية الصغيرة الحادة في جانب من عدسة العين ويزيح حزءاً صغيراً من العدسة المعتمة فيرى المصاب من النور ما يكفي لكي يستغني عمن يقوده لأنه يرى الجدار والطريق.

ولكن كثيراً ما يتسبب ذلك بصداع فظيع لكونه يخلخل جزءاً من أعصاب عين المريض بدون بصيرة.

وبسبب ذلك وما ذكرته من حال عيني والدي ترك (دق الملح) وهو المادة المتفجرة الذي كان يدر عليه دخلاً كبيراً في الخريف الذي هو الفصل الرئيسي لهجرة الطيور من شمال الأرض إلى جنوبها، وفيه ينشط الناس لطلب (ملح البارود) من أجل صيدها بالبنادق.

ولذلك صار أخي سليمان وهو يصغرني بخمس سنوات يذهب بوالدي ممسكاً بيده إلى الدكان و يجلس معه، ولكن الدكان دخله ليس جيداً مثل كثير من الدكاكين في ذلك الوقت.

لذا شح دخل الدكان وكان عليَّ أن أفكر في وسيلة أسهم بها في الحصول على دخل للأسرة.

وأنا نفسي أصبحت في الثانية والعشرين ومثلي يتطلع إلى الزواج وهناك اللذان يكرران بأنهما يريدان أن يريا ذريتي وهما والدي ووالدتي.

وصادف في شهر صفر أن استدعاني أستاذنا عبدالله بن إبراهيم بن سليم مدير المدرسة الحكومة الوحيدة في بريدة في ذلك الوقت وقال لي:

وظيفة التدريس التي تعرفها من قبل تحسنت وعندنا الآن وظيفة لك كنا كتبنا بشأنها لمديرية المعارف- قبل أن تصبح وزارة- نرشحك لها، وهي براتب (معلم درجة أولى) ولا توجد وظيفة أرقى منها في المدرسة إلاَّ وظيفة المدير.

قال: وقد حسن راتبها وارتفع حتى صار الآن ٢٠٧ ريالات.

فاستفهمت للتأكد مما قاله بأن الراتب هو ٢٠٧ ريالاً فأجاب بالتأكيد، وقال: هذه الوظيفة يتمناها كثير من الناس، ولا تحصل لهم، بل يتمناها كثير من الناس بنصف راتبها ولا تحصل لهم.

أقول: هذا صحيح.

وتركته شاكراً له وقلت له سوف أفكر. وكنت عرفت من حالة المشايخ وطلبة العلم الذين وظفوا قضاة بأمر من الملك عبدالعزيز بناء على ترشيح المشايخ الكبار بأنهم عينوا في مناطق بعيدة وبعضها وبيء مثل تهامة الجنوب.

وفي ذلك الزمن كانت بعيدة إلى درجة أن الرسالة المكتوبة لا تصل منها إلا بعد أيام عديدة وعن طريق مكة المكرمة.

وكانت الوسيلة الوحيدة العاجلة هي البرقية وهي غالية، ومفتوحة للموظفين ثم إن الإتصالات البرية للركوب أيضاً صعبة والوسيلة الوحيدة لها هي الركوب في سيارة شحن على طريق برية بدائية فليس فيها شبر واحد مزفت.

وقد حدثني بعض القضاة العائدين من هناك أنهم يغبطوننا على معيشتنا في بلدتنا بريدة.

هذا إلى جانب ما سمعنا من قصص اعتداء على القضاة في بعض مناطق البادية والأرياف البعيدة.

وذلك رغم كون الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله حازماً شديداً على المجرمين.

لذلك صرت كالذي يبحث عن الخلاص من وظيفة القضاء التي هي حتمية لكل طالب علم مجيد.

وأقول لنفسي: لقد وجدت الخلاص من ذلك في هذه الوظيفة الحكومية ذات الراتب الجيد، وفي بلدي، وعند أهلي، واستطيع أن أوفر من راتبها ما يكفي لنفقات الزواج التي كانت ميسرة آنذاك.

ولذلك وجدتني أسارع إلى قبول العرض الذي عرضه عليَّ الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن سليم.

ولم أستشر شيخي الذي هو بمثابة والدي في هذا الأمر لأنني أعرف رأيه فيه وأنه لن يوافق.

وبعد أن قبلت وقبل مباشرة العمل أخبرته وشرحت له الأسباب التي جعلتني أقبل بوظيفة التدريس هذه.

فسكت هنيهة ثم قال: لم أكن أود أن تكون نتيجة اجتهادك في طلب العلم وما حصلته منه أن تكون (معلم صبيان).

وكلامه صحيح فالذي حصل على مثل ما كنت حصلت عليه من العلوم المعروفة للناس في بلادنا في ذلك الوقت هو أكبر من هذه الوظيفة التي يشغل مثلها أناس ليسوا على جانب كبير من العلم.

ولكنني مضطر وشيخنا رحمه الله وجزاه عني خيراً صار ما يصرفه لي

من راتب شهري ٥٢ ريالاً أربعون ريالاً راتب (قَيَّم المكتبة) واثنا عشر ريالاً من المبلغ الذي حصل عليه من الملك عبدالعزيز لطلبة العلم وذلك غير قابل للزيادة.

ولكن وظيفة التدريس هذه راتبها الحالي ٢٠٧ مئتان وسبعة ريالات وهو قابل للزيادة.

وبعد أن باشرت وظيفة التدريس اضطررت للتخفيف من طلب العلم فتركت الدرس الرئيسي في الجامع الذي يكون في وقت الضحى لأنه يتعارض مع عملي في المدرسة، كما خففت من الدروس الأخرى.

وبقي شيء مهم وهو مفتاح مكتبة الجامع التي نمت وزادت محتوياتها، وبذلك زادت أهميتها فقلت لشيخنا الشيخ عبدالله بن حميد وهو الذي عينني فيها: إن هذا مفتاح المكتبة فلا أستطيع أن أفتحها في النهار، فقال: خله معك وعطه بعض الإخوان يفتحها بالنهار نيابة عنك، وباقي الأوقات يكون معك.

وبناء على ذلك كنت أعطي مفتاح المكتبة لصديقي الشيخ عبدالله بن محمد البقيشي وحتى في الليل صرت أعطي المفتاح لصديقي علي بن عبدالله الحصين الذي كان مثلي قد عين مدرساً في المدرسة السعودية، ولكنه (معلم درجة ثانية) أظن أن راتبها آنذاك ١٨٠ ريالاً.

لقد خف طلبي للعمل في حلقات الجامع، ولكن علاقتي بشيخنا الشيخ عبدالله بن حميد لم تضعف أبداً، بل كانت الأيام تزيدها قوة ومتانة.

وهذا لكرم منه فهو القوي وأنا الحلقة الأضعف.

وقد بقي مفتاح المكتبة معي حتى عام ١٣٦٨هـ فأكثرت الإلحاح على شيخنا بأنني لا أريد أن أبقى المكتبة تحت عهدتي وأنا لا أستطيع أن أفتحها فأرى أن أعطي مفتاحها اللشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، فهو غير موظف فأعطيته إياه وقد علمت بعد سنين أن عمله في المكتبة أو كما يسمى في (ديوان الخدمة الدينية) خدمته في المكتبة ويعني السنوات التي قضاها مسئولاً فيها قد اعترف بها ديوان الموظفين آنذاك وضمت إلى مجموعة خدمته الحكومية لغرض التقاعد.

أول رحلة مع الشيخ عبدالله بن حميد:

في أول شهر جمادى الثانية من عام ١٣٦٧هـ قال لي شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله وجزاه عنا خيراً:

الملك عبدالعزيز وفقه الله أرسل إليَّ برقية يطلب مني أن أحضر للرياض لمقابلته، وقد رأيت أن تذهب معي إلى الرياض!!

إن هذا عرض مُغْرٍ لم أتصور أن يكون فمن الذي يرفض أن يكون في رحلة مع شيخه للذهاب للرياض ومقابلة الملك الأسطوري عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود كما كان اسمه يذكر في المؤلفات التي كتبها أناس من الغرب.

فشكرت الشيخ على هذا العرض وكدت أطير به فرحاً.

ولم أسأله عن الغرض من الرحلة فهي رحلة وليس من أدبي معه أن أسأله مثل هذا السؤال، ولم أسأله حتى عن موعد السفر.

وإنما بادرت بالاستجابة بسرور.

وأخبرت والدي فسُرَّ بذلك، ولكنه قال: لا تبطي علينا يا وليدي، كم تبقى من يوم هناك؟

فقلت له: لا أدري.

وصادف أن قابلت خالي عبدالله بن موسى العضيب وهو أخ غير شقيق لوالدتي ولكنه أكبر شخص في أسرتها وهو وجيه كان أحد نظراء ناحية شمال بريدة، ثم عين بعد ذلك نائباً للسوق الذي هو سوق البيع والشراء في بريدة.

فأخبرته بذلك، فسر به، وقال: يا وليدي لا تعلم أ حد حتى الإخوان الطلبة ينحتونك أي قد يصيبونك بالعين، لأن الشيخ يترك جميع الإخوان أهل بريدة وغيرهم من أصدقائه في القرى ويختارك انت من بينهم، هذا شيء يغبط عليه الإنسان.

ثم فكرت في المدرسة وبكوني أصبحت غير حرّ في وقتي.

ورأيت أن أكتم هذا الأمر عن مدير المدرسة الأستاذ عبدالله بن إبراهيم السليم إلى حين.

وبعد يوم أو يومين جاءت مناسبة لذلك فذكرته للشيخ عبدالله بن حميد، فقال: أنا أكلم مدير المدرسة الأستاذ عبدالله بن سليم يسمح لك بالسفر معنا.

وأطمأننت إلى ذلك رغم كون الأمر لو كان كما هو عليه الآن لما كفى ذلك، ولكن الشيخ عبدالله بن حميد له مقام عند مدير المدرسة، ورئيسه بل مرجعه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع هو المدير العام لمديرية المعارف العامة وهو عالم من العلماء، ولا يمكن أن يمتنع عن تلبية مثل هذا الطلب للشيخ ابن حميد.

السفر إلى الرياض:

قدمت أن شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد لم يكن يملك سيارة خاصة حتى ذلك الوقت ولذلك أبرق الملك عبدالعزيز إلى أمير منطقة القصيم عبدالله بن فيصل الفرحان، أ ن يعطي الشيخ عبدالله بن حميد سيارته أي سيارة الأمير مع سائقها لتوصله إلى الرياض وتبقى معه حتى يعود إلى بريدة.

وهي سيارة صغيرة من طراز فورد فيما أتذكر ولكن مجرد ركوب السيارة الصغيرة أمر مهم لا يتطلع إلى مثله سائر الناس في ذلك الحين.

غادرنا بريدة في الساعة التاسعة إلا ربعاً بالتوقيت المغاربي الذي كانت تسير عليه بلادنا حكومة وشعباً وذلك قبل غروب الشمس بثلاث ساعات وربع من يوم الأحد الموافق ٩ من شهر جمادى الثانية عام ١٣٦٧هـ.

وقد غرزت السيارة وتعطلت في الطريق فلم نصل الرياض إلاَّ في الساعة الرابعة حسب التوقيت الغربي من يوم الأربعاء ويساوي ذلك أربع ساعات بعد غروب الشمس، ويعني في ذلك الوقت الذي سافرنا فيه وهو وقت اعتدال العاشرة ليلاً من ليلة الأربعاء ويراد به الليلة التي يسفر صبحها عن يوم الأربعاء الموافق للثاني عشر من جمادى الثانية، فيكون سفرنا استغرق ثلاثة أيام وسبع ساعات وربعاً.

لقد ركب الشيخ عبدالله بن حميد والشيخ علي العجاجي وأنا في السيارة

الصغيرة ومعنا شاب في نحو الخامسة عشرة اسمه عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد وهو ابن أخي الشيخ عبدالله، وتقدم ذكره.

وكانت معنا سيارة أخرى لم نطلبها ولكن صاحبها وهو سليمان بن عبدالله البطي كان من المقربين من شيخنا وهو من البطي أهل الصباخ الذين يكثر أهل الصلاح والتقى وطلبة العلم فيهم، وله سيارة نقل كبيرة ينقل عليها البضائع الثقيلة من بريدة إلى الرياض وأهمها الخشب الذي تسقف به المنازل وهو من الأثل الكثير في منطقة القصيم وتسقف به البيوت الطينية.

ومع ذلك يركب فوقه المسافرون الذين يدفعون أجرة مجزية في ذلك الوقت، فصاحب السيارة مثل سليمان البطي يحمل ا لخشب في سيارته، ويأخذ على ذلك أجرة ويركب فوق الخشب المسافرون فيأخذ منهم أجرة.

ولم يكن من عادة الناس آنذاك أن يستعملوا الكراسي، والمقاعد حتى في بيوتهم وإنما كانوا يجلسون على الأرض لذلك إذا ركبوا في ظهر سيارة النقل التي فيها بضاعة ثقيلة وأكيرها كان الخشب في ذلك الحين لم يتطلعوا إلى أ ن يجدوا كراسي وإنما يجلسون فوق البضاعة كيفما اتفق.

وبعضهم يفرش منامه أي فراشه الذي ينام عليه، وذكر المنام مهم جداً في السفر في تلك العصور، فقد كان على كل مسافر من أهل المدن أن يحمل معه ما يسمى بفراشه وهو الفراش الذي ينام عليه وأغلبه يكون من طراحة ووسادة

ورداء، يحزمه بحبل ويحمله على ظهر السيارة إذا كان له مكان في ظهرها، أو يربطه على جانبها من الخارج.

ولذلك إذا رأى الإنسان سيارة النقل الكبيرة على البعد عجب من كثرة الأشياء المعلقة على جنبيها من المنامات أي فرش النوم والمزاود التي يكون فيها مزودة وهي الكيس القوي من الصوف تكون لما يسمونه الصفر، والصفر هو نوع من أنواع النحاس ويريدون بذلك أواني الطبخ كالقدور والمغرفة والطحن، إذْ يضطرون أن يطبخوا طعام العشاء في الطريق، يحصلون على الحطب له من البر الذي يقفون فيه، ويكون فيه أحياناً حطب متيسر وأحياناً يقل فيه الحطب فيظلون يجمعونه عوداً عوداً، وقد يبعدون عن السيارة في طلبه.

وكيس آخر كثيراً ما يكون من الخيش تكون فيه (المعاميل) وهي أدوات صنع القهوة والشاي من الدلال- جمع دلة- وهي إبريق صنع القهوة وتناولها، وهي من النحاس الذي يطلى داخله بالقصدير الأبيض منعاً لوجود وسخ النحاس فيها.

ولا حاجة إلى القول بأن سبب ذلك كله في ذلك الوقت هو عدم وجود المطاعم أو محلات الاستراحة المجهزة بالطعام والشراب في تلك الأزمان حتى المقاهي لم يكن يوجد منها شيء على الطريق.

ولذلك يحمل الناس ذلك على سيارات النقل التي يركبونها، لكن في حالة

مثل حالتنا الآن التي نحن مسافرون على سيارة صغيرة لابد من أن يكون عفشنا والمراد به متاعنا محمولاً على سيارة أخرى.

وهكذا قال سليمان بن عبدالله البطي للشيخ عبدالله: إننا نريد أن نخاويكم أي نرافقكم ونحمل ما معكم من الأشياء التي لا تحملها السيارة الصغيرة، وكذلك خوياكم الذين يركبون معكم.

فوافق الشيخ على ذلك، وسليمان البطي كثيراً ما يزور شيخنا في بريدة ويلبي دعوته وهو وجيه ومتحدث لبق وسبق أن عد من جماعة بريدة الجديدة، والجديدة وصف للجماعة، وذلك أنه عندما توفي كبار جماعة أهل بريدة من الرشود والمشيقح والربدي اجتمع زعماء بريدة وانتخبوا من دون أن يعرفوا لفظ الانتخاب أو يستعملون لفظه وإنما كانوا يعبرون عن ذلك بأنهم اختاروا عشرة اشخاص من الجماعة ليكونوا جماعة أهل بريدة الجدد ورفعوا الأمر بأسمائهم إلى الملك عبدالعزيز وكان سليمان بن عبدالله البطي هو أحدهم.

كان معنا بالفعل من الخويا اثنان أو ثلاثة أحدهما الطباخ الذي أخذه الشيخ عبدالله معنا من بريدة ليطبخ لنا عشاءنا ويعد القهوة طيلة الرحلة في الرياض وفي الطريق إليها أو منها واسمه (علي....) وأذكر الآن اسمه بوضوح في ذهني ولكنني لا أريد جرح عاطفة ذريته فيما إذا عرفوا أنه ذهب إلى الرياض طباخاً ومعناه خادم أو ما يقرب من هذا المعنى.

ومعنا أيضاً الشيخ صالح السكيتي قاضي المذنب عندما عرف أن الشيخ عبدالله سيسافر إلى الرياض طلب منه أن يكون في صحبته فاعتذر الشيخ منه بأن السيارة الصغيرة ليس فيها مكان له، ولكن إذا أراد أن يركب في سيارة النقل التي هي سيارة سليمان البطي المرافقة فإنه لا مانع من ذلك.

وقد ركب في صدر سيارة النقل هو وسليمان البطي صاحب السيارة وركب الطباخ الذي معه كل ما يتعلق بأدوات الطبخ وإعداد الطعام والقهوة والشاي في سيارة النقل لأن السيارتين سيتباريان.

الشيخ الحازم:

وشيخنا رجل حازم ويحب الحزم في أموره ولا يطيق التواني والتباطيءَ في الأمر الذي يعزم عليه.

ولذلك سافرنا من بريدة قبيل أذان العصر، وقد حملنا عشاءنا الخاص لنا وللمرافقين لنا.

أما بقية الركاب في سيارة النقل فإننا لا نعرفهم، وليست لنا علاقة بهم، وقد اعتاد المسافرون مثل هذا السفر أن كل (خبرة) منهم وهي الجماعة التي مطعمها ومشربها واحد منفصلة عن غيرها، لا تنظر إلى الآخرين ولا ينظرون إليها، والمشرب تعني ماء الشرب والقهوة والشاي.

وهناك بعض الفقراء والغرباء الذين يركبون السيارات في العادة دون

استعداد لطعام أو شراب فيعطف عليهم من يكون عندهم متسع في ذلك من ركاب السيارة.

سارت السيارتان تتقدمها سيارتنا الصغيرة التي فيها شيخنا والشيخ علي العجاجي والشاب عبدالعزيز بن حميد وأنا، متقدمة على سيارة النقل لخفتها على الأرض وسرعة جريها، كما هو معروف.

وكان سائق سيارتنا ماهراً، بل كان مشهوراً في مهارته لذلك صار سائقاً لسيارة أمير القصيم هذه التي معنا الآن، وهو (سعد اللويث) وهو ذكي، بل حاد الذكاء،وله ذوق عجيب في الاستجابة لما يطلبه الكبار في القدر، كما أنه له خبرة طويلة في قيادة السيارة استمرت سنوات عديدة.

وعندما غربت الشمس صلينا المغرب والعشاء جمعاً خلف الشيخ عبدالله بن حميد.

وكانت سيارتنا تقف غير بعيدة من سيارة النقل وإن لم تكن ملاصقة لها.

واستأنفنا السير في الليل البهيم مع أرض ليس فيها منذ أن خرجنا من بريدة، بل قبل أن نخرج من بريدة حتى وصلنا الرياض أي شبر مزفت فشوارع بريدة لم تكن آنذاك قد عرفت الزفت حتى إن السيارات كانت تغرز في الشارع الرئيسي في الخبيب لأن فيه رملاً وتراباً ناعماً.

ولكن الوجه الجيد في الطريق الذي تسير فيه الآن سيارتنا أنها تتبع آثار سيارات سارت فيه نهاراً وإلا فإنها لا تهتدي إلى الطريق الصحيح في الليل.

غير أن هناك إشكالاً وهو أن خطوط السيارات القديمة أو آثارها في الطريق تنتشر في مساحة واسعة لأن بعضها تبعد عن الطريق الذي يبدو وعراً وإن كانت تشاهده وعلى أي حال فإننا كنا نسلك الطريق الصحيح ونحن نسير في هذا الليل البهيم، إلا أن سيرنا كان بطيئاً بسبب وعورة الطريق والخوف من المفآجات فيه من مكان منخفض إلى مكان مرتفع، أو موضع فيه رمل أو تراب ناعم قد تغرز فيه عجلات السيارة.

ومازلنا كذلك حتى لم يبق إلا نحو ساعة أو نحوها على طلوع الفجر، فأوقفنا سيارتنا ورمينا بأنفسنا على الأرض، ما عدا الطبَّاخ الذي جعل يجمع الحطب في هذا الظلام وكان أخذ قليلاً من الحطب قبل غروب الشمس ووضعه في السيارة.

وعندما أذن أحد الرفاق أذان الفجر كان الطباخ قد فرغ من صنع القهوة والشاي فصلينا خلف الشيخ.

ثم شربنا الشاي والقهوة معهما قليل من أقراص الكليجا، واستأنفنا السير، وقد ساعدنا نور النهار على سرعة السير قليلاً، إلا أن الأرض لا تزال وعرة لأنها كما هي منذ آلاف السنين بل إن كثرة مرور السيارات على بعضها أصابها بالفساد.

ووقفنا فترة للراحة ثم واصلنا السير حتى وصلنا مراة[1].

(١) كتبنا اسم (مراة) كما هو في الفصحى، وبعض الكتاب يكتبها (مرات) كما ينطق به الآن، ولا مشاحة في الإصطلاح، وقد نص ياقوت في معجم البلدان على أن اسمها الفصيح (مرأة) بلفظ مرأة: اخت الرجل.

كان وصولنا إليها قرب صلاة الظهر من يوم الاثنين وقد قاربنا أن نصل إلى يوم كامل بليلته منذ أن غادرنا بريدة.

كان من الذي قرره المرافقون مع فضيلة الشيخ أن نبقى في مراة نطبخ عشاءنا ونستريح حتى إذا كان قبيل المغرب تعشينا و صلينا جمعاً وقصراً المغرب والعشاء ثم سرينا كما يسمي الناس السير في الليل.

وكنا جلسنا في (مراة) بجانب سيارتنا الصغيرة في ظل أثلة وهي الواحدة من شجر الأثل.

إلا أن وجود سيارة صغيرة تصل إلى بلدة مراة، وكانت آنذاك قرية لا تستحق أن تسمى بلدة أمر لابد أن يعرف به المسؤولون فيها.

مما دعا أمير مراة أن يسأل عن القادم على هذه السيارة الصغيرة التي لا يقدم عليها إلا شخص كبير القدر، ذو مقام في الدولة، فأخبره بعض القوم أن القادم على هذه السيارة هو الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي القصيم- فجاء يهلي ويرحب بصوت جهوري قوي بالشيخ واسم هذا الأمير (حسن بن عمران) وهو من أهل الرياض مثل شيخنا الذي هو من أهل الرياض غير أن الذي حمله على الترحيب بالشيخ والتأكيد عليه بأن يتعشى عنده الليلة هو مقام الشيخ عبدالله وليس كونه من أهل الرياض، فالشيخ معروف في الرياض منذ أن كان قاضياً في محكمة الرياض ثم اشتهر بكونه قاضي منطقة القصيم المهمة.

ودعا الشيخ فوراً إلى بيته ليقيم فيه بدلاً من بقائه في هذا المكان فاعتذر الشيخ عن ذلك بأن معه مرافقيه لهم حاجات يريدون قضاءها فدعا الشيخ إلى العشاء عنده، وقال: إنني لن أسمح بأن تمروا (مراة) ولا تتعشوا عندي، وقد أخبره الشيخ ليتخلص منه بأننا سوف نغادر مراة بعد قليل ولن نبقى فيها إلى الليل.

وهكذا بعد سلسلة طويلة مملة من التلزيم من قبل أمير مرات والاعتذار من قبل الشيخ أيس الأمير من استجابة الشيخ لدعوته، ولكنه بعد قليل أرسل رجلاً من رجاله معه يد بعير كاملة غير مكسرة قائلاً يقول أمير مرات هذه لعشاء الشيخ عبدالله بن حميد، ما دام أنه لم يتمكن من تناول العشاء عندنا.

وهي يد بعير كاملة لا يكاد الرجل القوي يحملها، وحتى عظامها لم تكسر، بل لم تمس، وكان سليمان البطي قد اشترى لحم بعير لعشائنا لأنه لم يجد شيئاً في مرات من لحم الغنم.

وقال الشيخ عبدالله: لا يجوز أن نبقى في (مرات) كما كنا قررنا من قبل بعد أن كنا اعتذرنا من أميرها بأننا لا نستطيع البقاء فيها.

لذا سوف نتقدم قبلكم وننزل بعد سير ساعة أو ساعتين على أن تلحقوا بنا لنصلي صلاة المغرب والعشاء جمعاً ثم نتعشى.

وهكذا كان، فقد بقيت سيارة سليمان بن بطي وفيها الركاب التي حملتهم ومرافقونا.

ولما انتهينا من العشاء والصلاة تقدمنا السيارة الكبيرة كما هي العادة وسلكنا الطريق الترابي المعتاد الذي يتفرق أحياناً حتى يصبح أشبه بطرق متعددة وليس طريقاً واحداً.

المصيدة:

كنا في غاية من الانشراح نتبادل الأحاديث بروح بعيدة عن التكلف، والسائق يواصل قيادة سيارته بطريقة مريحة وإذا به يصل إلى أرض منخفضة نوعاً، لونها أشهب يبدو كما لو كان قاعاً أبيض في الأصل ولكنه عندما دخل فيه وهو يسير على طريق سيارات معتادة اكتشف الحقيقة وهي أنها صبخة سائلة أي هي أرض سبخة منخفضة قليلاً قد أصابها قبل وصولنا إليها بأيام قليلة سيل جاء إليها من أماكن مرتفعة.

لم يكن سائقنا يعرف هذا المكان لذلك ظن أول الأمر أن هذه الأرض السبخة التي ساخت فيها عجلات سيارتنا ضيقة يمكن تجاوزها بسرعة، لاسيما أنه ليس من الوارد الرجوع إلى ا لخلف ولا الوقوف فيها فضغط على دافع الوقود فيها بقوة فسارت لمسافة توقفت بعدها عن السير.

لقد غرزت عجلاتها كما يقولون أي غاصت في الأرض السبخة.

وعندما نزل السائق ليرى أسرع يقول: لا ينزل منكم أحد ترى الأرض (صبخة) رويانة.

ولم يكن بإمكاننا أن ننزل في هذا الظلام والوحل فندفع السيارة ولم يكن

بالإمكان إذا نزلنا أن نزحزحها من مكانها لأن الطين الملحي قد صاد عجلاتها واسرع الماء المختلط ينزل إلى عجلاتها فكانت أية حركة تزيدها ارتطاماً.

كان الظلام دامساً، ولا نرى حتى حدود هذه السبخة، ولا يمكن إذا نزلنا أن نسير فيها كما لا يمكن أن نجلس، وقر رأينا على أن نبقى داخل السيارة مكرهين، كالمحاصرين.

ولم نر أحداً حولنا وإلا لكنا رجونا أن يأتي إلينا ليس ليسعفنا فقط وإنما لكي يخبر سيارتنا الأخرى بالمكان حتى لا تدخله فتصبح مثلنا.

وعندما مضى جزء من الليل صرنا لا نرى حتى ضوء سيارة على البعد مع أن منظر ضوء السيارة على البعد كان قليلاً.

ولا أذكر الآن بالتفصيل كيف أدينا صلاة الفجر، فأنا لم أكن بدأت كتابة المذكرات اليومية بعد، وإنما بدأت بها بعد ذلك بعام واحد وهو عام ١٣٦٨هـ وإلا لكنت وصفت ذلك كتابة هنا.

إن صلاة الفجر تعني لنا في السفر القهوة والشاي، وما قد يكون معهما من طعام خفيف كالكليجا والتمر، ولكننا الآن مقيدون بسيارتنا المقيدة في هذه السبخة وليس معنا أي شيء يؤكل أو يشرب، لأن كل ذلك كان في السيارة المرافقة: سيارة النقل التي يملكها سليمان البطي.

وتساءلنا بعد ذلك عن تلك السيارة ماذا فعل الله بها؟ وكنا نرجو أن تأتي قبل ذلك فتمنينا ألا تأتي فتصطادها هذه السبخة كما اصطادتنا.

وعندما تعالت الشمس صرنا نرى عدداً قليلاً من السيارات ونسمع صوتها من بعيد وما أسرع أن جاءت سيارة نقل لتقطع هذه السبخة تظن مثلنا أن أرضها قوية فاصطادتها السبخة وغرزت.

و(السبخة) إن لم تعرفها هي الأرض الملحية التي يذوب ترابها الملحي في الماء إذا تعرض له.

وجاءت سيارة ثانية وثالثة وكلها مثلنا تصطادها السبخة فتغرز عجلاتها فيها وإذا أرادت الخروج منها زادت ارتطاماً حتى بلغ عدد السيارات التي مثلنا سبعاً ولكنها كلها من سيارات النقل ليس فيها سيارة صغيرة واحدة من سيارات الركوب.

وقرب الظهر جاء أناس لهجتهم لهجة جنوب نجد بسيارة كان معهم فيها أرشية- جمع رشاء- وهي الحبال القوية، وكانوا رجالاً ذوي شهامة بذلوا أنفسهم لكي يخرجوا هذه السيارات المتعطلة عن الحركة من السبخة فأسرع سائقنا سعد اللويث، يخوض هذه السبخة ولا يقوى على انتزاع رجله منها إليهم وهم خارجها على أرض قوية وقال لهم: هذه سيارة الشيخ عبدالله بن حميد وهو فيها منذ البارحة فأسرع القوم يمدون حبالهم القوية ويربطونها بسيارتهم التي هي سيارة نقل وربطوها بسيارتنا وطلبوا من سائقنا أن يوجه السيارة ولا يشغل محركها وصاروا يتناخون أي يشجع بعضهم بعضاً وهم يعاونون سيارتهم فانتزعونا مع سيارتنا حتى وقفنا في الأرض الصلبة على شفير هذه السبخة وصاروا يعملون على انتشال السيارات الأخرى منها أيضاً.

أما نحن فلم نصدق أننا نصل إلى أرض نستطيع أن نتمدد أو أن نضطجع فيها، وقالوا للشيخ تفضل يا شيخ نبي نسوي لكم قهوة، ولم يكن الناس في ذلك الوقت يستطيعون أن ينقلوا القهوة الجاهزة معهم لأنه لا توجد الزمزميات المعروفة الآن، وإنما توجد لمن يسافرون على الإبل زمزميات من نوع آخر لا تكون مع أهل السيارات.

فامتنع الشيخ من ذلك لعزة نفسه.

وقال: أنتم على خير في إخراج سيارتنا ومن عمل في إسعاف السيارات الأخرى بإخراجها من هذه الورطة ولا ينبغي أن نشغلكم بغيرها.

ثم وصفوا للسائق الطريق الصحيح واستأنفنا السير بالسيارة.

ومما يذكر أننا كنا في مجتمعنا في السبخة، وقد انتصف النهار، وقد رأينا سحاباً بدأ ينشأ في السماء فصرنا ندعو الله تعالى ألا يمطر لأنه إذا أمطر يجعل خلاصنا من هذه السبخة غير ممكن.

سرنا ونحن على غاية من أثر السهر وعدم الأكل أو شرب القهوة والشاي.

ولكن المهم لدينا هو سيارتنا الكبيرة وبطبيعة الحال هي لم ترتطم بهذه السبخة لأننا لا نراها في هذا النهار فهل سبقتنا أم تأخرت عنا؟

وسرنا حتى وصلنا إلى أماكن معروفة في هذا الطريق الوعر من بريدة إلى الرياض مثل (شعيب الأيسن) ومثل (الميركة) وسبع الملفات، ولم نكن نعرفها من قبل، ولكن سيارتنا الصغيرة تجاوزتها متأنية لئلا يخرب فيها شيء لا

يمكنن إصلاحه في هذه البرية وأمر شيخنا بحزمه وعزمه أن نواصل السير ما دمنا قادرين عليه حذراً من أن يعترضنا شيء يمنعنا منه.

الوصول إلى قرب الرياض:

تجاوزنا قرية الجبيلة التي نعرفها لشهرتها على الطريق وإلاَّ فإنه لم يسبق لأحد منا أن رآها من قبل.

وكان ذلك مع غروب الشمس وأمر الشيخ أن نسير وألا نتأخر في انتظار سيارتنا الثانية التي لابد أن أصحابنا قد أعدوا فيها عشاء لنا ومعه القهوة والشاي، ولكننا لا نعرف عن سيارتنا الثانية شيئاً فلا ندري أهي أمامنا أم خلفنا.

وعندما صرنا على مسافة من الرياض نشاهد فيها ضوء بعض مصابيح الكهرباء التي كانت دخلت بعض المنازل فيها ولكنها بعيدة بالنسبة إلى سيارة صغيرة تسير في الليل مع أرض لا تعرفها.

وقفنا وقال شيخنا: لقد أصبحت الساعة الآن أربع ليلاً وتساوي ذلك بالتقويم الزوالي العاشرة ليلاً، وإذا دخلنا إلى الرياض ليلاً لم نضمن أن نجد إبراهيم الشايقي المسؤول عن إنزال مثلنا من ضيوف الملك في بيت لأنه يكون قد نام وربما يتضايق من ذلك.

لذلك قررنا أن نبقى في محلنا هذا حتى الصباح الذي هو صباح يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر جمادى الثانية، ونكون بصباح ذلك اليوم قد

أكملنا منذ بدء رحلتنا من بريدة ثلاثة أيام بلياليها إلا ساعات.

وفرحنا بالراحة على الأرض وأخلدنا لنوم عميق لذيذ، وقبيل الفجر نبهنا شيخنا فأسرعنا للصلاة وأظن أن الذين أسعفونا أعطونا ماء في (جالون) وهو وعاء من اللدائن كان معنا ونفد ما فيه من الماء.

وبعد طلوع الشمس بنحو ساعة ونصف كنا في مدينة الرياض.

قصدنا محلة الوسيطي حيث بيت الشيخ إبراهيم الشايقي المسئول عن كل ما يتعلق بالعلماء والقضاة عند الملك عبدالعزيز.

ووجدناه بالفعل في بيته وأسرع يقدم القهوة والشاي فيه، فصار لهما طعم خاص محبب.

وأنزلنا في بيت كان أعده للشيخ عبدالله ومرافقيه نحن وهو بيت من الطين مثل جميع بيوت الرياض في ذلك الوقت حتى بيوت الملك عبدالعزيز كانت من الطين، وقد وضع فيه فراشاً من الحنابل الخفيفة وهي كالأردية من القطن من صنع آلي وليست صوفاً من صنع يدوي.

وذهب وتركنا.

عندما نزلنا في البيت وتأملناه رأيناه حقيراً ليس لائقاً بالشيخ وأهم ما ينقصه أنه ليس فيه مجلس واسع مناسب للعدد من الناس الذين سيزورون الشيخ فذهب علي العجاجي إلى إبراهيم الشايقي وأبلغه برغبة الشيخ في تغيير هذا البيت إلى أحسن منه وأوسع.

وقد غيره الشايقي بالفعل وبسرعة إلى بيت جيد في حي دخنة الملاصق لحي الوسيطي.

الخبر المقلق:

عرفنا من رسالة شفهية ونحن كنا نلوم سليمان البطي صاحب السيارة التي معنا على تأخره وهو أن السيارة قد انقلبت، ولكن لم يمت أحد من الركاب وإنما أصيب بعضهم برضوض أو خدوش.

وبعد فترة قصيرة جاء سليمان البطي ومعه رفيقانا الشيخ صالح السكيتي، وقد أصيب في ترقوته ذكر أن أحد الركاب قال إن فيها كسراً، ولكنه فيما ظننت مجرد رضة وخدوش في الترقوة.

أما الطباخ (علي) فإنه جاء فاقداً للذاكرة يفتح عينيه ولا يعي شيئاً حتى إنه عندما وصل إلى بيتنا سأل قائلاً: ها الديرة وش اسمها؟

نسي أنه ذاهب للرياض، وقد صعبت حاله على شيخنا، وأرسله إلى المستشفى مع أحد زوار الشيخ المقيمين في الرياض فعاد به يذكر أن الدكتور يقول: الذي فيه ارتجاج في المخ، وسيشفى منه لكن ما ندري متى، لأن هذا يتوقف على مدى الإصابة في رأسه، وذكر أن الارتجاج في المخ ينشأ من ارتطام جسم صلب بالرأس.

هذا وقد بقي ثلاثة أيام ثم عوفي تماماً.

جلس الشيخ في البيت الجديد الجيد في الرياض فانهال عليه الناس بكثرة

فيهم جماعة من أعيان أهل بريدة المقيمين في الرياض، وفيهم علماء وطلبة علم من أهل الرياض على رأسهم جماعة من المشايخ آل الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

إلى جانب أقارب الشيخ عبدالله بن حميد ومحبيه من أهل الرياض.

وكل مَنْ جاء إلى الشيخ وسلم عليه بدعوه للغداء أو العشاء، أو على الأقل القهوة ولكنه ليس من المسارعين إلى تلبية تلك الدعوات إلاَّ لمن يحب أو له حق عليه.

ومن أولئك الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكان يعتبر أعلم آل الشيخ في ذلك الوقت، وإن كان لا يتقلد مناصب رسمية، فأجابه الشيخ على عشاء بعد العصر، وفي اليوم التالي كان في ضيافة شيخه الأقدم منه قاضي الرياض في وقته الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ.

وأذكر من الذين دعو الشيخ على العشاء من غير آل الشيخ ابن فارس وهو يقيم في الرياض وهو من أهل الرياض والشيخ عبدالعزيز بن باز، وكان قاضياً في الخرج آنذاك، إلا أنه دعا الشيخ في بيت صغير في الرياض، لا أدري أهو له أم لأحد أقاربه أقام فيه المأدبة لكون بيته الذي يقيم فيه هو في الخرج.

وكانت مأدبته كغيره عشاء بعد صلاة العصر على ذبيحة وصينية جريش كبيرة.

وبالنسبة لما جاء الشيخ من أجله:

ذكرت في أول الكلام على هذه الرحلة، أن الشيخ عبدالله جاء إلى الرياض بناء على رغبة من الملك عبدالعزيز لمقابلته وبحث شيء أو أشياء معه.

لم أكتب مذكرات يومية عن هذه الرحلة- كما قدمت- ومع ذلك كنت قيدت شيئاً علق في ذهني عنها ومن ذلك:

على مائدة الملك عبدالعزيز:

أقام الملك عبدالعزيز آل سعود مائدة عشاءٍ حافلة في قصره في المربع وهو قصر بل عدة قصور كلها من الطين.

كان مكان المأدبة فناء واسعاً فيه رواق، وكان وقتها بعد صلاة العصر وقد دعا إليها أعداداً كبيرة من الوجهاء في الرياض ورأيت فيها بعض مشايخ البدو.

وكان ممن دعي شيخنا الشيخ ابن حميد فذهبنا إلى القصر وجلسنا فيه في مجلس واسع ثم انتقلنا إلى المأدبة المذكورة، وقد صفت فيها الصياني: جمع صينية وهي صحون واسعة من النحاس المطلي بالقصدير لها قواعد تحتها متصلة بها من النحاس وتسمى تلك القواعد (الوكر).

وقد وجدنا الصياني حافلة بالطعام الذي عماده الجريش والأرز وفوقه الذبائح، وقد وضع للملك عبدالعزيز كرسي ظل جالساً عليه، لم يشارك الناس

في الأكل من الطعام وكان مجلسه في صدر المجلس مما يليه كبار القوم فقال أحدهم: تفضلوا على الأكل يا طويل العمر، فقال: الملك عبدالعزيز وهو يبتسم: (العافية في أطراف الجوع).

وهذا مثل عامي مشهور في نجد سمعت به كثيراً بعد ذلك، ولكن أول ما سمعت به هو من الملك عبدالعزيز آل سعود، كما أن مثلاً آخر كان أول ما سمعته من الملك سعود ثم سمعت بعد ذلك وهو (ما للصلايب إلا أهلها).

والصلايب: جمع صليبة وهي الشدائد والنوازل، يراد منه أنه لا يواجه الصعاب وينهض لمواجهتها إلا الرجال الأقوياء الذين قد تعودوا على أمثالها.

وقد سلمت على الملك عبدالعزيز وصافحته هذه المرة كما كنت فعلت قبل سنة واحدة، وبالتحديد عام ١٣٦٦هـ عندما حضر الملك عبدالعزيز إلى بريدة وذهب الناس إلى استقباله في المهبط الذي هبطت فيه طائرته وهو في (فرشة الودي) شمال بريدة.

وقد سلمنا عليه مع كل أعيان أهل بريدة والقصيم وعجبت آنذاك من سعة كفه، وخلوها من أثر الترف والنعمة.

ولم أره تغيَّر عما رأيته عليه العام الماضي.

وأشياء غير ذات بال:

وجدتني قد قيدت في أوراقي أشياء غير ذات بال، و الطريف عندي أنني كتبتها، وأهملت ما هو أهم منها- حسب وجهة نظري في الوقت الحاضر.

ومن ذلك ما يلي:

نظرة عامة:

كان عهدي بالرياض منذ ست سنوات مضت أي في سنة ١٣٦١هـ حينما سافرت إليها شاباً بل صبياً لا أعرف من الحياة بمعناها الواسع شيئاً ولا من العلم والتاريخ أو الأدب حرفاً، إذْ كنت في السادسة عشرة من عمري ولكنني برغم ذلك- شأن أبناء تلك السن- أحفظ صوراً فوتغرافية في ذاكرتي للرياض رياض سنة ١٣٦١هـ فرحت أبحث عن الرياض تلك في رياضنا الحالية رياض هذه السنة سنة ١٣٦٧هـ ولكنني أبحث عن غير جدوى ويذهب تعبي أدراج الرياح حتى جعلت أتساءل يا هل ترى هل ست سنوات في عمر المدن تكفي لتبديل مظهرها أو مخبرها وصبها في قالب آخر.

إن عهدنا بالمدن- في أغلب الأحيان- كالآدميين ترى الآدميَّ صبياً ثم تراه شاباً فتجده قد تغيَّر، ولكن ملامحه تكون دليلاً عليه الذي لا يتحول وما هو مظهره الخارجي غير ملامحه إذْ ينمو وتنمو ملامحه ويكبر وتكبر معه.

أما الرياض فلم تكن كذلك لم تكن كغيرها إنَّ ملامحها قد انمحت في غمار عمرها الجديد، إنها لم تلبس ثوباً قشيباً فحسب، بل لبست جلداً قشيباً، غيرت به جسمها كله.

يا هل ترى أين الرياض (القزمه) التي يعجب الناس الذي يعرفونها؟

إنها قد اختفت في ذمة التاريخ، أو في أحناء هذه الرياض الحاضرة هذه الرياض الجميلة الفتية الرشيقة التي تتجمل وتعد المساحيق لتزيد تجملاً، وما هي بحاجة إلى ذلك، إن حسنها كحسن البدويات طبيعي غير مجلوب.

إن حظ الرياض من التطور كحظ العهد الحاضر منه، وإن ما بين الرياض القديمة والحديثة كما بين العهد الحاضر والقديم.

كنت أتمشى في الرياض وأنا أتصور نفسي كأنما أنا أمشي في باريس أو لندن أو القاهرة على الأقل لا أنني أمشي في مدينة نجدية فما عهدت المدن في نجد على مثل هذا الشكل.

أجل إنني أعيش في باريس نجد ولندن الصحراءِ كما يعيش البدوي ساكن الصِّمَّان في بلدي بريدة التي كنت أتخير لها وأنا أمشي في الرياض أدعية الرثاء والانكسار جبر الله خاطرها ووفق أهلها للصبر على سكناها (ومسعود بعين أمه غزال).

الرياض قد تغيرت في كل شيء تقريباً في شوارعها، وفي دكاكينها، وفي أسواقها، وفي جميع مظاهر سكناها.

وقد تدفقت المياه في جميع نواحيها بفضل المكنات الرافعة، وقد (استنذوق) أهلها فغلبت النظافة على أكثرهم و(تفرنج) بعضهم فتضاءلت لحى كانت كثيفة، وتلاشت لحى أخرى كانت ملتفة، وتفشت ظاهرة أخرى تلك هي طول الشباب وما طول الشباب إلا طول مظاهر الشباب إلا وأد اللحية في مهدها وعدوان الموسى على ما ظهر منها.

كل هذا كان من مميزات الرياض الحديثة: رياض ١٣٦٧هـ[1].

(١) لم يكن المؤلف زار باريس ولا لندن ولا القاهرة في ذلك التاريخ وإنما كان سمع بها سماعاً، أو قرأ عنها قراءة.

الصحية أو المستشفى:

في بعض الفرص التي كنت انتهزها عندما يسمح لي شيخنا بذلك كنت أتمشى، وقادتني رجلاي إلى المستشفى، أو الصحيَّة كما يسمونها هناك فرأيت بناءً واسعاً رائعاً وروعته في سعته كما يرى من الخارج فقط فوقفت ببابه وأنا لا أدري أي بناء هذا ورأيت أناساً داخلين وأناساً خارجين ولكن أولئك الناس يختلفون تمام الاختلاف عن الأناس الذين يدخلون ويخرجون من العمارات التي تلفت النظر فوقفت عند ذلك لأرى أحداً أسأله عن هذه البناية التي تبدو من الداخل مع الباب بناية غريبة عني، ولكن حالة الخارجين كانت لا تشجع على السؤال وأخيراً عندما أمعنت النظر في هؤلاء الخارجين رأيتهم لا يكاد أكثرهم يخلو من جرح ظاهر أو مرض باطن ينم عليه مظهره فعلمت أن هذه هي الصحية.

فتشجعت ودخلت إلى هذه البناية وما كدت أتجاوز أول غرفة من غرفها حتى وقع بصري على شخص كنت أعرفه قديماً إذْ كان زميلاً في الدراسة فأسرعت إليه وأسرع إليَّ ليسلم علي ولأسلم عليه، وكان موظفاً بالصحية وسألته عن عمله فأخبرني أنه كاتب روشتات.

وصحبني إلى سائر أقسام الصحية أو المستشفى وشرح لي كثيراً منها، ولقد تعجبت أشد العجب من نظامه الرائع وغرفه الواسعة الجميلة، النظيفة وحديقته الصغيرة الخضراء، وتركته على أمل أن أراه مرة أخرى.

ومرت أخرى ذهبت مبكراً عكس المرة السابقة.

إنني فعلت ذلك لكي أراه وهو هو لم يخف من مراجعيه وموظفيه شيء ودخلته وقد أصبحت أعرفه فذهبت تواً إلى حيث يجلس مدير الصحية في العادة فوجدت المكان مزدحماً بالمرضى من كل لون من حضر وقرويين وغيرهم وكان بعضهم يئن وبعضهم قد كساه المرض برداء كئيب! والآخر جالس وتقززت نفسي من تكرار رؤيتهم، ولكنني عزمت على رغم ذلك أن أتريث هنا حتى يحضر مدير المستشفى الذي هو مسؤول عن هؤلاء.

وانتظرت مع هؤلاء المرضى طويلاً وقد قدرت عددهم بالمئتين كلهم بهم أمراض إن لم يعالجوا في الحال فهم خطر على أنفسهم وعلى من يتصل بهم، لقد قدرت عددهم بالمائتين وأنا غير مبالغ ولو بالغت لقدرتهم أكثر من ذلك.

وأخيراً جاء مدير المستشفى جاء الدكتور وهو سوري وأقبل يمشي بكبرياء وزهو، يكاد يصدم من أمامه وجلس على مقعده شامخاً بأنفه، ووقف على رأسه رجل يروح عنه بمروحة من سعف النخيل ورجلان آخران يذودن عنه المراجعين المرضى الذين أقبلوا ليسألوه عن دوائهم وليلتمسوا عنده الشفاء.

ولكي أرسم صورة صحيحة هناك أذكر نص ما يدور غالباً بين هذا الدكتور وبين مراجعيه بالحرف الواحد.

يتقدم المريض إلى الدكتور فيتكلم بكلمة واحدة أحياناً كأن يقول أنا يوجعني

(خشمي) أي أنفي فيسكت الدكتور ويتركه ويلتفت إلى ناحية غيره فيسأل الآخر وهذا ما يحدث في بعض الأحيان قائلاً: ماذا بك؟ فيجيب المريض بي جروح، فيتركه بدون أن يرد عليه أو على زميله المريض ويكتب شيئاً لا يزيد عن كلمة أو كلمتين بوريقة صغيرة ويعطيها المراجع الآخر قائلاً ثلاثة بابرة فيقول خادمه للمراجعين الأولين، واحد مع هذا لأجل يضربون ابرة أنتم وإياه فلا يفهمون ويقولون وين صاحب الابر؟ فلا يجدون من يفهمهم فيظلون وقتاً أطول مما يريدون ماذا يفعلون حتى يتطوع أحد المراجعين الرقيقي القلوب فيرشدهم إلى صيدلية المستشفى ويقول لهم إذا أعطيتم الورقة اعطوكم الابرة ثم اذهبوا إلى هنا ويشير إلى غرفة (ضرب الابر) أي حقن الأدوية.

وفي أقل من ربع ساعة أو ثلث ساعة يكون قد انتهى من أكثر أولئك المرضى والمراجعين على هذه الوتيرة.

هذه طريقة الكشف وهذا هو الدواء، لا كشف ولا عناية ولا فحص ولا سؤال عن المرض غير كلمة عابرة واحدة وحتى بدون كلمة ولا دواء إلا دواء واحداً أما إذا كان المراجع المريض محظوظاً فإنه يحظى بالأمر له بقرص أو عدة أقراص من الدجنان أو مثلهن من الاسبرو، أما الأبر الحقنة فربما كان بعض التي يصرفونها قد فسدت وقد بطل مفعولها.

وبعد قليل وبنفس ما ذكرت قد أنهى الدكتور النظر في جميع مرضاه ومراجعيه.

ولو حدث أن كان أحد المراجعين ثرثاراً أو فصيحاً لا يزيد عن الكلمة أو الكلمتين في مراجعته للدكتور فإنه لا بد أن يتركه ويذهب إلى غيره.

واين يذهب هذا الدكتور بعد هذا؟ إلى دار بعض الأكابر الذين لهم اعتبار عنده.

وخرجت من المصحة وأنا أجر الخطا وأجتر أحزاني وآلامي على ما وصلت إليه الحالة هناك.

نعم إننا نستحق كل ذلك الاحتقار والاستصغار لأننا سكتنا عليهم ولأننا تركنا لهم الحبل على الغارب.

ولأنه لا يوجد أطباء وصيادلة ومختصون منا نحن السعوديين [1].

وخرجت على أن أعاود الرجوع إلى المصحة مرة ثانية لأرى بعض أجزائها، فالمصحة لا تفنى عجائبها ولا تنقضي غرائبها وإن كانت غرائب تحزن.

وعدت مرة أخرى إلى الصحية لأرى باقي العمل كيف يسير في الصحية، وبكرت قليلاً فوجدت الجمع الحاشد من المرضى في حالة محزنة ينتظرون الطبيب فوقفت منتظراً بعيداً منهم وقد لاحظت وجود سيارة سوداء أنيقة تقف قرب مدخل غرفة الطبيب في فناء المصحة ولكنني لم أعرها أي اهتمام وجلست انتظر مع أولئك المساكين، وطال انتظاري ومضى الموعد الذي كان يحضر فيه

(١) هذا كله صار من الماضي وتغيرت الحال بنا ولله الحمد، إذْ صارت لدينا مستشفيات تضاهي أرقى مستشفيات العالم، وأصبح منا أطباء سعوديون عالميون ولله الحمد.

كل مرة وكنت أوهم من يمر بي ويراني كذلك بأنني من المراجعين.

وكثر التساءل عن الطبيب ومن جملة المتسائلين أنا، أين الطبيب يا ترى؟ ولم يجب أحد غير أنين المرضى الذي زاده السأم من الانتظار.

ملحوظة: بقية المشاهدات في الرياض في هذه السفرة حذفتها عمداً حذراً من التطويل.

فوائد جليلة :

استفدت فوائد جليلة كثيرة من مصاحبتي لشيخنا الشيخ عبدالله بن حميد في هذه الرحلة، منها الاستفادة منه شخصياً من علمه وطريقة معاملته للآخرين بالحكمة والعقل وعدم العنف في الكلام أو نحوه.

واستفدت أيضاً معرفة شخصيات كثيرة في الرياض على رأسها الملك عبدالعزيز آل سعود الذي كنت منذ أن عقلت الأمور أسمع من والدي ومن غيره من الشيوخ الطاعنين في السن من أخباره وحسن سياسته ومن شجاعته وبراعته في قهر أعدائه مما كان يستثير عجبي وإعجابي، ويرسم صورة له في ذهني عجيبة، وعندما قابلته في هذه الرحلة ولا أقول قابلني فهو لم يشعر بوجودي إلا كشخص تابع لا أهمية له ولا يستطيع حتى التفكير فيه، وهذا صحيح، وإنما أنا الذي شغلت به وبتأمله وبإسترجاع ما سمعته عنه بل إن الاحداث التاريخية كلها التي صنعها وصنعته تمثلت لي جالسة على هذا الكرسي وأنها هي (عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود).

ورأيت أشخاصاً عدة من كبار القوم من أمراء وعلماء ووجهاء، وكلهم كما قدمت لم يعرفني ولم يلق بالاً لوجودي كما فهمت، وهذا أمر طبيعي لأنني قدمت إلى الرياض تابعاً ولست مستقلاً ولم يزد عمري آنذاك على ٢٢ سنة.

ومع ذلك كانت للنظرات الأولى لأولئك الأشخاص أثر خاص في نفسي.

وكان شيخنا يشجعني على ذلك بالفعل والقول، أما الفعل فإنه لا يذهب

إلى شخص مهم إلا أنا معه وإن لم أكن قائده فيكون معه أحد الإخوة وبخاصة الشيخ علي العجاجي ممسكاً بيده، وأما بالقول فإنه كان يسألني عن أكثر الذين قابلناهم من الأشخاص ذوي الأهمية عن رأيي فيهم وعن انطباع شخصياتهم في ذهني فأخبره بذلك، فيبدي إعجابه به في أكثر الأحيان.

وربما لا أذكر أي شخص مهم يجتمع به الشيخ سواء أكان ذاهباً إليه في بيته على دعوة أم كان هو زائراً للشيخ.

ومن الأشخاص الذي عرفتهم على حقيقتهم الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم آل الشيخ عالم العلماء من آل الشيخ فقد دعا شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد على عشاء في بيته فرأيت منه ما رأيته من سائر العلماء والأشخاص المهمين في مثل تلك المناسبة.

وذلك أنه كان قام من غرفة الجلوس، أي مجلس الشيخ الذي يماثل عندنا غرفة القهوة إلى مكان مائدة العشاء غير أنه لم يجلس معنا على المائدة بل قال: سموا الله يحييكم يخاطب بذلك الشيخ عبدالله بن حميد ومن معه وفي الغالب لا يكون معه إلا أنا والشيخ علي العجاجي والشخص الذي كان يمسك به أما بقية المرافقين فإنهم يتعشون في البيت عشاءهم المعتاد.

وبعد أن يبدأ أكلنا من المائدة يذهب فلا نراه، حتى نفرغ من الأكل فيسرع الشيخ محمد بن إبراهيم وقد أمسك بيد قائده عائداً، إلى مكان المائدة ويقف محيياً داعياً لضيوفه بالهناء والعافية، وبجانبه شخص معه دلة القهوة المبهرة

وفناجيل يسكب فيها فنجاناً لكل شخص ثم يودع الضيوف مضيفهم بالشكر والدعاء.

وهكذا جميع مضيفي الشيخ في الرياض لا يجلسون معه على مائدة الطعام، وهذا شيء لا نعرفه في القصيم بل إن المضيف إذا كان كبير القدر يجلس مع ضيوفه يحدثهم ويحدثونه ويؤانسهم ويؤاكلهم بمعنى أنه يأكل وهم يأكلون.

العودة إلى بريدة:

عدنا إلى بريدة مع فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد بعد أن كنا لبثنا في الرياض نحواً من ثمانية عشر يوماً فيما أذكر الآن على سيارتنا الصغيرة التي قدمنا عليها وهي سيارة أمير القصيم عبدالله بن فيصل الفرحان.

وعود إلى الحديث عن المناصب التي شغلها الشيخ عبدالله بن حميد:

عهدنا الشيخ عبدالله بن حميد فيما سبق قاضياً في بريدة وما يتبعها من القصيم ومهتماً بل مسئولاً عما يتعلق بكثير من المصالح العامة فيها.

وقد استمر كذلك حتى استقال من القضاء.

استقالة الشيخ عبدالله بن حميد من القضاء:

الذي يعرف الشيخ عبدالله بن حميد حق المعرفة مثلنا يفأجأ باستقالته من القضاء، بل لا يصدق أنه استقال فعلاً.

وذلك أن الشيخ عبدالله خُلِقَ قاضياً كما قدمت ذلك، فلم يشقَّ عليه القضاء في أول حياته وقبل أن يمرن على القضاء ويعانيه، فكيف يشق عليه الاستمرار فيه إلى حد الاستقالة منه بعد أن مرن عليه؟

ولا شك أن شخصاً مثل شيخنا الشيخ ابن حميد يرى في القضاء وسيلة لإحقاق الحق، وإبطال الباطل في الحقوق، بإعطاء كل ذي حق حقه.

وأما سبب استقالته فإنني أعرفه حق المعرفة وبتفصيلاته الدقيقة، ولكنني لا أذكرها هنا بالتفصيل وإنما أقول: إنه يتعلق بتنظيم رئاسة القضاة.

وقد بعث الشيخ باستقالته مكتوبة إلى الملك سعود فقبلها وعين في مكانه في بريدة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رحم الله الجميع.

والشيء الذي لا يعرفه إلا أفراد قليل أنا منهم أن الشيخ عبدالله بن حميد عندما قبل الملك سعود استقالته من القضاء، وبقي في بريدة برهة نازعته نفسه بالذهاب إلى الرياض، لأن له فيها بيتاً وفوق ذلك هي وطنه ووطن آبائه وأجداده، فكتب كتاباً سرياً للملك سعود يطلب منه أن يأذن له في السفر إلى الرياض والإقامة فيها، فلم يأذن الملك سعود له بذلك، وقال له: الأفضل أن تبقى في بريدة.

وكان هذا من حسن حظ أهل بريدة فقد أقبل على التتلمذ له ودراسة العلوم طوائف من طلبة العلم جديدة غير الذين كانوا زملاء لنا حتى صارت عليه حلقة كبيرة وهو بما هو عليه من علم، وما جبل عليه من حبه لإفادة غيره يفيدهم و يتعهدهم بالتعليم والتربية.

ولم ينسهم عندما عينه الملك فيصل بن عبدالعزيز رئيساً للإشراف الديني في المسجد الحرام أن يعين أكثرهم معه في وظائف في الرئاسة الجديدة أذكر منهم صالح الطامي وعبدالله بن محمد البقيشي وعبدالعزيز بن إبراهيم الدوسري، وسليمان المنيعي، وحمد بن سليمان المشوح، وخلقاً أظن عددهم يصل إلى ثلاثين، وكانوا قد حصلوا على نصيب كبير من العلم ومن التربية الإسلامية على يدي الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله.

رئاسة الإشراف الديني في المسجد الحرام:

كانت وظيفة الشيخ عبدالله بن حميد التي عين فيها في مكة المكرمة باسم الرئيس العام للإشراف الديني في المسجد الحرام، وهي التي تغير اسمها بعد ذلك إلى (رئاسة شئون الحرمين الشريفين) ثم غير اسمها إلى ما هو عليه الآن (رئاسة الإشراف الديني في المسجد الحرام والمسجد النبوي) وهي وظيفة رفيعة لائقة بالشيخ عبدالله بن حميد وفي مرتبة وزير.

والذي عينه فيها هو الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وهو رجل محب للنظام والوضوح في الإدارة لذلك طلب من شيخنا عبدالله بن حميد وضع صلاحيات ونظام مختصر لهذه الرئاسة فكتب إليه الكتاب التالي بعد ذلك وقد تم ذلك بالفعل على الوجه المطلوب.

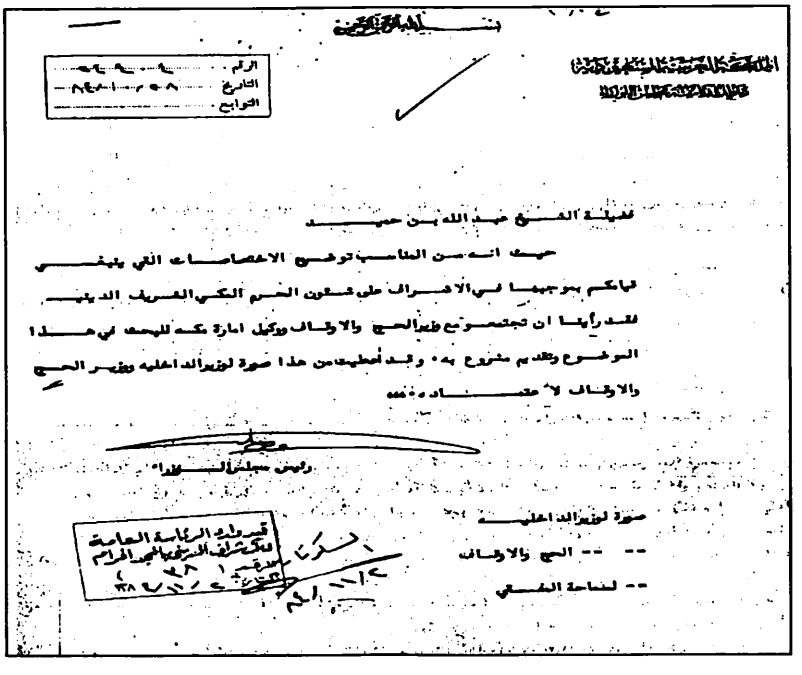

الرقم .....
التاريخ .....
المشفوعات .....

الرئاسة العامة
للاشراف الديني بالمسجد الحرام

مكتب الرئيس

(مشروع اختصاصات الرئاسة العامة للاشراف الديني بالمسجد الحرام)

بناء على أمر حضرة صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء رقم (٢٤٤٠٤) وتاريخ (١٣٨٤/١٠/٢٨هـ) القاضي بتشكيل لجنة مكونة من معالي وزير الحج والاوقاف ووكيل امارة مكة بالاشتراك مع فضيلة الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام الشيخ (عبدالله بن حميد) لبحث مشروع اختصاصات الرئاسة العامة المسندة اليه . . .

وتنفيذا للأمر العالي فقد اجتمعت اللجنة في ليلة (الثلاثاء الموافق ١٣٨٤/١١/٧هـ) حسبما تحدد بمذكرة فضيلة الرئيس رقم (٧٨) في (١٣٨٤/١١/٤هـ) وقد أناب معالي وزير الحج والاوقاف سعادة وكيل الوزارة الشيخ (أحمد مجاهد) وبما أن حكومة صاحب الجلالة قد اعتنت بتنظيم وادارة المسجد الحرام والنظر اليه بعين القدسية والجلال لفضله على غيره من سائر بقاع الأرض ولانه قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فأنشأت هذه الرئاسة لتتولى رعايته بدلا من تشعب المسئوليات واناطتها بعدة مصالح وذلك توحيدا للاجراء وحفظا للمصلحة العامة . . .

ولما يتفق وقدسية المسجد الحرام وذلك لتقوم الرئاسة بواجبها على الوجه الاكمل فقد قررنا مايلي :

(١) ضم جميع المدرسين والمراقبين والوعاظ والائمة والمؤذنين العاملين بالمسجد الحرام التابعين لاي جهة كانت سواء كانوا بمراتب ومرتبات ثابتة أو بمكافأة الى هذه الرئاسة ادار يا من تاريخ التصديق على هذا ومالها من ميزانية عام (١٣٨٥/٨٦هـ) وعلى جهات الاختصاص ملاحظة ذلك ، أما بقية الموظفين الاداريين العاملين بادارة الحرم وما يتبعهم من (خدم وبوابين وأغوات) فيبقى ارتباطهم بوزارة الحج تحت اشراف هذه الرئاسة وأخذ موافقتها عند التعيين أو النقل .

(٢) في حالة وجود موظف سواء كان مدرسا أو مراقبا أو غيره من العاملين بالمسجد الحرام تشمله هذه اللائحة وهو غير مرغوب فيه فانه يجرى التفاهم مع الجهة الاخرى التابع لها الموظف حاليا بنقله الى وظيفة أخرى وترك وظيفته لشغلها من قبل هذه الرئاسة .

(٣) يكون منح رخص التدريس والوعظ والارشاد بالمسجد الحرام من قبل هذه الرئاسة

(٤) بما أن مكتبة الحرم تعتبر مرجعا علميا ودينيا لجميع رواد بيت الله الحرام من مدرسين وطلبة وزوار ومنارا للدعوة والارشاد الامر الذي هو جزء من اختصاصات الرئاسة لذا نرى ضم هذه المكتبة كليا للرئاسة وبموجبه جرى التوقيع . . . . . .

وكيل امارة مكة — وكيل وزارة الحج والاوقاف — الرئيس العام للاشراف الديني بالمسجد الحرام

الرئاسة العامة
للاشراف الديني بالمسجد الحرام

مكتب الرئيس

التاريخ .....
المشفوعات .....

المملكة العربية السعودية
ديوان رئاسة مجلس الوزراء

الرقم (٢٨٦٧٢)
التاريخ : (١٣٨٤/١٢/٢٩هـ)
التوابع: (١)

صاحب السماحة الرئيس العام للأشراف الديني بالمسجد الحرام

بالاشارة الى خطابكم رقم (١٢٩) وتاريخ (١٣٨٤/١١/١٤هـ) المشفوع بالقرار الموضوع من قبلكم بالاشتراك مع وكيل امارة منطقة مكة المكرمة ووكيل وزارة الحج والأوقاف الخاص باختصاص رئاستكم ...

نخبركم أننا نوافق على العمل بما جاء في ذلك القرار ونبعث اليكم صورة منه مع هذا لوضعه موضع التنفيذ ، وقد أبلغت الجهات ذات العلاقة (صورة منه) لاعتماده ... ,,,,,,,,

رئيس مجلس الوزراء

فيصل

/ صورة مع صورة القرار (لسماحة الشيخ محمد بن ابراهيم)
/ ========= (لمعالي وزير الحج والأوقاف بالنيابة)
/ صورة مع صورة القرار (للرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف بالحجاز)

محبة الشيخ للإطلاع:

نعود إلى ذكر الصفات الحميدة والأعمال المفيدة لشيخنا الشيخ عبدالله بن حميد، ولكن ذلك لا يعفينا من أن نذكر أشياء مما يتميز به، ومن ذلك محبته لسماع الأخبار المحلية والدولية فكانت تقرأ عليه الجرائد وكنت أحد القارئين عليه فيها، وإن كان غيري قد يشاركني في قرآتها عليه.

ولكنني ربما جرؤت على القول بأن شيخنا لا يدع شخصاً من النابهين يأتي إليه يريد مجالسته والحديث معه إلا ويسأله الشيخ عبدالله عن الاخبار.

وأذكر أنني كنت في بعض الأحيان استمع إلى الأخبار من مذياع كنت اخفيته في بيتي عن الناس، لأن أكثر الناس يستنقص من يستمع إلى الراديو كما يعبرون عنه.

وأما اقتناء المذياع فإنه نادر من الذين يتخذونه (عمر عوض) مدير اللاسلكي في بريدة ويقول لمن يسأله عنه إنه يحتاج إليه في عمله، والأستاذ سالم بن إبراهيم الدبيب رئيس ديوان الإمارة، ولم أجد شيئاً من الأشياء التي يخبر بها فيسر منها مثل أخباره عن خير أصاب بلداً مسلماً كما جاء في الأخبار، وإخباره عن كتاب جديد صدر لأحد العلماء بمعنى طبع، ولو كان قديماً والقديم من مثل هذا الكتاب هو الأكثر وهو الأصل.

إلاَّ أن إخباره بالكتاب الجديد يجب أن يكون ذلك الكتاب في متناول اليد لأن الشيخ عبدالله سوف يطلب الاطلاع عليه، وسوف يقرأ عليه منه ما يمكنه مما لابد من معرفته به.

ولكن الشيء اللافت في الأمر أن الشيخ عبدالله رحمه الله كان لطيف الطبع، ذواقاً للأدب لذلك كانت تعجبه الكلمة البليغة الموجزة والنكتة العاقلة النظيفة.

ومن ذلك أن أحدنا لا أدري أهو أنا وهذا أكثر ظني، أو هو صديقي الأستاذ علي الحصين قرأ بيتاً فأعجبه في وصف رجل خفيف الحركة لخفة في عقله ونص البيت:

لو أن خفة عقله في رجله سبق الغزال ولم تفته الأرنبِ

فلما سمع الشيخ هذا البيت استعاده وهو يكظم تبسمه لئلا يكون ضحكاً، وقال ماذا ؟ فقلنا:

لو أن خفة عقله في رجله سبق الغزال ولم تفته الأرنبِ

فكان هذا البيت بمثابة نكتة الموسم، لاسيما عندما استحضرنا حال رجل نعرفه يقرب من حال ذلك الرجل.

ومثل ذلك ما قرئ عليه في أحد الكتب الأدبية من المحاورة التي جرت بين

الأصمعي وأعرابي ظريف وهو حصيف في الرد على ما ذكره الأصمعي، إذْ قال الأصمعي لذلك الأعرابي:

كـأنـك بـعـرة في ذيـل كبش مـدلـدلـةً وذاك الـكبش يمشي

فقال الأعرابي للأصمعي:

كـأنـك هَـنَّـة في بـطـن حُـشَّ أصـاب الحُـشَّ رشـن بـعـد طَـشّ

والحش هو المرحاض والرش هو المطر القليل، والطشُّ هو الذي أكثر من الرش، من المطر.

وكان كثيراً ما يسألني عن النوادر التي قرأتها في الكتب أو سمعت بها من الناس، وذلك أنه يكون قد تبادل الحديث مع أناس ليسوا من أهل هذا الشأن، ثم صار يسأل عما قرأته في الصحف أو المجلات أو سمعته من المذياع عن مثل ذلك.

ولكن محبته للنادرة هي في نطاق من الحشمة والوقار، سواء في روايتها له، أو في استماعه إليها.

بل إننا كنا عرفنا من طبعه أنه لا تذكر عنده نكتة أو نادرة تجلب الضحك أو ما يقرب منه إلاَّ إذا كان مجلسه خالياً من الأغراب، مقتصراً على واحد أو اثنين من الأحباب.

وحتى إذا كان الأمر كذلك فإن إعجابه بالنكتة أو النادرة يجعله يبتسم ولا يضحك فإذا كاد الضحك أن يبلغ منه مداه وضع المهفة التي تكون في يده في بيته أو في مكان التنزه الذي خرج إليه على وجهه كأنه يخفي بها وجهه لئلا يراه الآخرون يضحك كما يضحك العوام.

أما إذا كان الوقت بارداً ولا مجال لأخذ المهفة التي هي مروحة يدوية من خوص فإنه يضع طرف شماغه على فمه، فيظل يغالب الضحك ولكنه لا يضحك ضحكاً فيه قهقهة.

إن الأمر الطبيعي في حياة قاضٍ كبير تعرض له مشكلات عويصة من الخصومات بين المترافعين عنده، وبعضها يكون غامضاً أو مشكلاً أن يبحث عما يسري به عن نفسه خارج وقت القضاء.

وهو يفعل ذلك على الصفة التي ذكرتها.

ومن ذلك أني سمعت شيخنا ينشد في مناسبة الحديث عن القضاء وثقل مسئوليته وصعوبة قبول ما يحكم به القاضي على بعض الناس قول ابن الوردي في لاميته:

إنَّ في النقص والاستثقال في لفظة القاضي لوعظاً ومَثَلْ

وذلك أن لفظ (القاضي) لا تظهر فيه الضمة التي تكون على اسم الفاعل مثلاً، تقول قال الأمير: فتظهر الضمة على الراء في آخره، أما إذا قلت قال

القاضي فلا تظهر الضمة على الياء علل النحاة ذلك بأن لفظ القاضي- مثلاً- اسم منقوص وقد منع ظهور الضمة على آخره الثَّقَل أي كونه ثقيلاً في اللفظ والسمع لأنه يحتاج في إظهارها إلى أن يقال (القاضيو).

والشيء الذي له معنى أن شيخنا لم يكن ينشد البيت الثاني من تلك القصيدة في القاضي وهو قوله:

إن نصف الناس أعداءٌ لمن ... وَليَ الأحكام هذا إن عدل

وذلك أن شيخنا لم يجابه الخصوم بالعداوة لأنه حكم عليهما لأنه عادل وعاقل، ولا يترك فرصة لتوضيح ما يحتاج إلى إيضاح في القضية.

نباهته:

نباهة الشيخ عبدالله بن حميد لا تخفى على أحد عرفه، بل حتى على من سمع به فكأنه المعني بقول الشاعر:

عرف العارفون فضلك بالعـ ـلم وقال الجُهَّال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضلك ما بين سيد ومسود

فقد صار في النباهة مضرب المثل وموضع العجب والاستغراب، وصار الناس يتحدثون بوقائع من ذلك يزينون بها مجالسهم، ويتحفون بها محدثيهم، ولو ذهبنا نحصرها لطال المقال من دون أن نتمكن من ذلك.

حدثني مدير مكتبه الشيخ صالح بن عبدالعزيز الغصن قال: كنا مسافرين مع الشيخ عبدالله بن حميد بالسيارة من مكة إلى الرياض في آخر الليل لأن الوقت كان صيفاً فلما تجاوزنا الطائف كان الفجر في اوله فوقفنا للصلاة وصلينا بالفعل.

ولكننا عندما انتهت الصلاة قال لنا الشيخ عبدالله لقد صليتم إلى غير قبلة، فعجبنا من ذلك واستبعدناه لأن فينا طلبة علم مبصرين، فقال: أدلكم على ذلك لقد صليتم إلى الجهة التي سيارتكم متجهة إليها وهي جهة الشرق بدون شك لأننا مسافرون شرقاً، قال: وقد لمست السيارة فوجدت أن قبلتكم إليها.

قال: وكان هذا صحيحاً انتبه له الشيخ مع أنه مكفوف ولم ننتبه إليه مع أننا مبصرون.

وحدثني صالح بن عبدالعزيز الغنيم، قال: كنا ننتظر الشيخ ابن حميد على العشاء في الروضة التي صارت الآن تسمى (الراشدية) وكانت قبل ذلك تسمى (روضة الموسى) وتقع إلى الشمال من بريدة وكان بينها وبين بريدة في ذلك الوقت مفازة وكان الوقت ليلاً وسائق السيارة هو محمد صالح ابن بطي ظل فترة يسوق بالشيخ بسيارته ولم يكن الطريق مزفت، فلما مضى على سيرهم وقت قال لهم الشيخ موجهاً كلامه لسائقه ولمن معه من المبصرين: تراكم ضعتوا يا فلان، حطوا بالكم.

قالوا: ولم نحس أننا ضعنا ونحن مبصرون، ونور السيارة قوي، فظللنا نسير فترة ثم اكتشفنا أننا قد ضللنا الطريق وأن الشيخ على حق.

ولما سألناه عن كيفية معرفته بضياعنا، قال: لقد جئت إلى هذه الروضة أظنه قال مرة قبل ذلك، ولم يكن الطريق إليها تحت السيارة مثل الطريق هذا اليوم الذي ضعتم فيه فعرفت أنكم قد انحرفتم عن الطريق.

أقول من نباهة الشيخ عبدالله بن حميد ومن هدايته أنني لما كنت معه في الرياض عام ١٣٦٧هـ إذْ كان الملك عبدالعزيز آل سعود استدعاه للرياض لبعض الأمور التي تقتضي مشاورته، فطلب مني أن أرافقه وذلك لكوني تلميذه الملازم له كما تقدم، فلما وصلنا إلى الرياض ووسطها في ذلك الوقت لم يكن

تغيَّر، قال لي: يا أخ محمد، أريد أن تذهب معي إلى امرأة لها عليَّ حق، وهي امراة كبيرة إنها (طرفة بنت فيصل) عمة الملك عبدالعزيز آل سعود.

لقد كان ذكر هذه المرأة وعلو نسبها حافزاً لي على الفرح بالذهاب إليها، ولكن كيف؟ وأنا لم أصل للرياض إلاَّ منذ يوم واحد، ولا أعرف فيه أهل بيت واحد، فقال لي الشيخ: أنا أدلك، امسك يدي.

فأمسكت بيده فصار يدلني بمعنى يقول لي: ادخل مع الزقاق الذي على يمينك ثم استمر حتى تجد زقاقاً على يسارك فادخل منه وستجد في واجهته بيتاً هو الذي نريده.

كان يقول ذلك بلسانه، ولكنه كان يمسك بيدي، ويذهب بها إلى تلك، وأنا فيما يراه الناس أمسك بيده أقوده.

فلما وصلنا إلى البيت المطلوب قرعه فخرجت جارية سوداء مملوكة في الأغلب أو عتيقة كانت مملوكة من قبل، وكانت الجواري السوداوات هن اللاتي يخدمن في بيوت الأكابر، إذْ لم يكن الناس يعرفون خدماً يبقين في البيوت ويعشن مع أهلها لخدمتهم غيرهن.

فقال للجارية قولي لعمتك: هذا عبدالله بن حميد، يبي يسلم عليك، فذهبت الجارية فما أسرع أن جاءت (طرفة بنت الإمام فيصل) وقد تلثمت لأنها علمت أنني معه.

وأشارت الجارية إليَّ أن أجلس في غرفة ملاصقة للباب، ودخل الشيخ معهن إلى داخل البيت والعمة (طرفة) تهلي به وترحب، وتبالغ في ذلك.

ثم جاءت الجارية إليَّ بالقهوة، وأنا في مكاني من الغرفة بالقرب من الباب.

وقد عاد الشيخ بعد فترة وليست معه وإنما سمعتها تودعه وتدعو إليه، ولم تسلم عليَّ، ولم أسلم عليها، لأنني ليست لي صفة عندها إلا أنني أمسك بيد الشيخ.

وعندما خرجنا قال الشيخ مبتسماً: أنا ما قلت لك إني أبي أدلك؟، ثم قال: هذه طرفة بنت الإمام فيصل بن تركي كنت أصلي بها في رمضان وأنا طالب علم صغير، وكنت أقرأ عليهم المواعظ والأحاديث.

لذلك لم أرد أن أضيع حقها عليَّ بعد أن كبرت وظيفتي وأصبحت قاضياً.

أقول: كان من عادة نساء الكبار من القوم وبخاصة نساء الشيوخ وهم الحكام في نجد أن يصلي بهم التراويح ويلقي عليهم الاحاديث والمواعظ طالب علم كفيف لئلا يبصرهن ومن عادتهن أن يقدمن له شيئاً من المكافأة المالية، وإن لم يكن كثيراً فإنه كان مقبولاً في تلك الأوقات.

أما كون الشيخ هو الذي يدلني وقد أمسك بيدي فالموقف ذكرني قول الشاعر:

ومما هو جدير بالذكر أن والدها الإمام فيصل بن تركي توفي عام ١٢٨٢هـ فإذا كان عمرها عند وفاته سنة واحدة كان عمرها الآن ٨٥ سنة، وإذا كانت قبل ذلك كانت أكبر مما ذكرنا.

ومن نباهة الشيخ: تعليقه على بعض النصوص التي لم أجد من علق عليها بمثل تعليقه، ومن ذلك تعليقه على قصة يوسف الصديق وامرأة فرعون.

قال شيخنا بعد أن تلا الآية الكريمة (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ).

قال: هذا يدل على أن عزيز مصر ليست عنده غيرة على أهله، إذْ كيف يبلغه شيء عن أن يوسف وزوجته بينهما ما أوجب الانتقاد وإن لم يكن ذلك صحيحاً في الواقع لأن نبي الله يوسف مبرأ من هذا أما قال الملك: يوسف اعرض عن هذا.

واكتفى بذلك، و قال لامرأته: استغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين، واكتفى بهذا.

وفي ميدان آخر لم أكن اسمع الشيخ يتحدث عن مراحل حياته إلا إذا اقتضى ذلك مقتضٍ، ومن ذلك ما حدثني قال: لم أكن عرفت أن بعض شعر لحيتي قد شاب لأنني أنا كفيف البصر، ولم يخبرني بذلك مخبر.

قال: وذلك في أول ما بدأ الشيب يغزو لحيتي إلا مرة لا أنساها وهي أنني كنت قادماً بالسيارة من مكة المكرمة إلى الرياض فوقفنا في عفيف، وكان الوقت صيفاً والطريق غير مزفت فأوقفت السيارة وذهب الرفاق يبحثون لنا عن محل مناسب نقضي فيه فترة القيلولة، وإذا ببدوي من أهل عفيف يقول لسائق سيارتي الذي لم يبق إلا هو:

أنت – يا ولد- رح بالشايب إلى الظلال هذاك اللي تشوفه.

قال: فارتعت لذلك وعندما عاد من أثق به من المرافقين سألته عما إذا كان في لحيتي شيب؟

فأجاب قائلاً: أحسن الله إليك شيء ما ينذكر ما أدري هن ثلاث أو أربع شعرات بيض!!!

أما ما يتعلق ببصره فإنه قد كُفَّ وهو صغير فهو ليس كشيخه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتى الأكبر للمملكة وشيخ المشايخ فقد كف بصره و هو طفل مميز.

وكذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز لم يكف بصره دفعة واحدة بل كان على مراحل وكان يذكر ذلك لي في بعض الأحيان وأن بصره كف وهو غلام، أو قال وهو صبي.

معرفته الناس بأصواتهم:

ومن نباهة الشيخ ابن حميد معرفته الناس بأصواتهم، مثلما يعرفهم غيره برؤية وجوههم أو أكثر من ذلك.

أذكر أنني ذهبت إليه في يوم عيد بعد أن انتهى الناس من حضور الصلاة، وبعد صلاة العيد بنحو ساعة وذلك لأعايده وهذا أمر لازم بالنسبة إليّ لا يحتاج إلى التنويه.

وصلت إلى بيته كما يفعل سائر الناس ووجدته مفتوحاً والناس مزدحمون على الدخول والخروج منه لكثرتهم فجلست بجانبه لأن الذين يأتون لمعايدته يعايدونه وينصرفون، وبعض الذين لهم صلة أكثر من غيرهم به يجلسون هنيهة مثل دقيقتين أو ثلاث وإنما أكثر الناس يعايدونه بالمصافحة وتقبيل رأسه أو جبينه، قائلين: عيدك مبارك، يا شيخ، إذا كانوا من سائر الناس بالنسبة للعلم والمعرفة بأمور الدين، أما إذا كانوا من طلبة العلم أو ممن يجلسون إليهم فإنهم يقولون: تقبل الله منا ومنك، أو عيدك مبارك نسأل الله أن يتقبل منا ومنك، وينصرفون من دون أن يجلسوا، وهذه هي الحالة العامة بالنسبة لأكثرهم.

أما أنا فإنني جلست بجانبه، وذلك في مجلسه في قهوة بيته المفروشة بالسجاد وفيها المراكي بمعنى المتكآت، ولم يكن الناس آنذاك قد اعتادوا على أن يجلسوا على الكراسي.

فرأيت العجب العجاب من معرفته بأفواج الناس الذين كانوا من الكثرة بأن الواحد منهم ينتظر فترة لكي يصل إليه الدور لمصافحة الشيخ ونقبيل راسه وجبهته، فإذا قال أحدهم (عيدك مبارك) يا شيخ، قال له الشيخ تقبل الله منا ومنك يا فلان، وكيف حالك يا فلان.

والغريب أنني لاحظت أنه يعرف من أهل بريدة بأصواتهم أكثر مما أعرفه أنا من رؤيتهم بوجوههم وأنا من أهل بريدة الأصلاء، وهو من أهل الرياض، ويعتبر غير عريق في الوصول إلى المدينة، بل لم يكن مضى عليه في ذلك العيد أكثر من خمس سنين.

وبعد أن لبثت عنده جالساً لفترة استأذنت منه بالإنصراف فلم يأذن، قال: انتظر.

وما زال الناس يأتون إليه أفواجاً للمعايدة، وهو يقول للواحد منهم حياك الله يا فلان، وكيف حالك! وإذا كان للرجل منهم أب كبير السن أو قريب مريض سأله عنه وإذا كانت له مسألة تشغل باله، او معضلة معروفة سأله الشيخ عنها، وإذا كان يعاني من مرض معروف سأله الشيخ عنه بتفصيل لا أعرفه أنا.

وقد بقيت عنده أرى ذلك العجب، وكان يقوم للرجال المعروفين منه، إذا جاءوا يعايدونه، أما سائر الناس فإنه قد يرد عليهم المعايدة بالمصافحة، دون قيام وبعد فترة من هذه المعايدة الكثيرة التي لو كان غيره هو الذي عايشها لما صبر عليها، قال للذي يصنع القهوة: صك الباب أي أغلق الباب الخارجي،

وذلك لاعتقاد الجميع بأن جمهور الذين لهم قدر أو منزلة أو الذين يحبون أن يسلموا على الشيخ ويجيونه تحية العيد قد فرغوا وهم أُلوفٌ من الناس من دون مبالغة.

وجلست معه وحدي، ثم استأذنته وانصرفت.

ولكن ما رأيته من فطنته ومعرفته الناس بأصواتهم لم ينصرف من ذهني وصرت أحدث به أصدقائي وأقاربي لفترة طويلة.

وجدت في مذكرتي ما يلي:

كنت في مجلس شيخنا العلامة عبدالله بن حميد رحمه الله، وكان الناس يتحدثون عن مشقة السفر للحج فقال: لقد أمضيت في أول سنة حججت فيها على الإبل ٢٨ يوماً إلى مكة وقال: آخر من أهل الرياض إنها شهر يا شيخ.

فقال ثالث: بعد ذلك جاءت السيارات فصرنا نذهب إلى مكة في ثلاثة أيام على طرق وعرة ثم زفتت الطرق وتوفرت السيارات الصغيرة فصرنا نصل إلى مكة في اثنتي عشرة ساعة أو نحوها، ثم جاءت الطايرات المروحية فصار الطريق من الرياض إلى جدة ثلاث ساعات وثلثاً ثم جاء الطيران النفاث فصار ساعة واحدة للبوينغ ٧٠٧ ويوم ذلك لم يكن يوجد أكبر منها في بلادنا من الطيارات النفاثة.

ثم سكت الجيمع، فقال أحدهم: وأي شيء بعد هذا يا شيخ؟

فسكت الشيخ عبدالله بن حميد هنيهة ثم قال: ما بعد هذا إلا أن الإنسان يفكر أنه يريد أن يذهب إلى مكة فإذا به يجد نفسه فيها.

فطنته لشبهات المبطلين من الخصوم:

كان شيخنا الشيخ ابن حميد عجيباً في رد شبهات الخصوم الذين يتضح له أنهم يريدون بأقوالهم التضليل، والتعمية على الحقيقة، فكان يركز على ذلك، ويعمل بهدوء على كشف ذلك بياناً للحقيقة، وذلك بأن يأخذهم بأقوالهم من باب الالزام بالحجة، وإن لم يبن حكماً على ذلك فهو لا يصدر حكمه إلا وفق قواعد الشرع الشريف، ولكنه يجعل المبطل يتراجع في مجلس الحكم عما قاله مما يخالف الحقيقة، فيحكم بمقتضى الشرع.

من ذلك ما حدث به ابن خضير وهو من آل خضير أهل التجارة الذين يتعاملون في أشياء كثيرة.

قال: جلب رجل شاب من جهة الشمال القريب تسعة (بعارين) إلى بريدة، فجاء إليه الناس من المتاجرين بالإبل، وجعلوا يساومونه ويزيدونه حتى وصلوا إلى آخر ما يمكن أن يكون ثمناً للإبل، ووقفوا عن الزيادة، وذلك في وسط جردة بريدة التي هي سوق الإبل فيها، وزدت على ما اعطاه الناس بها فباعها عليَّ بيعاً واضحاً عليه أكثر من عشرين شاهداً كل بعير بتسعين ريالاً، وهي تسعة أباعر.

قال: وكان الوقت في أول الضحى لأن هذا هو وقت البيع حيث يجتمع الناس من تجار الإبل من أهل بريدة وغيرهم فقلت له على العادة: إذا صار العصر تعال خذ دراهمك فرضي بذلك وهي عادة للناس أن يؤخر الناس إعطاء الثمن

لأن الذي يشتريها من تجار الإبل قد يبيعها فوراً بمكسب قليل، وأما ابن خضير فإنه تاجر وثري معروف.

قال: وعندما انصرف الشمالي- نسبة لشمال نجد- صاحب الإبل صادف أن طلب مني أحد التجار هذه الأباعر التسعة لأنه (يؤلف بعارين) على حد تعبيرهم و(توليف البعارين) هو شراؤها منفردة أو بأعداد قليلة حتى تَجتمع من ذلك رعية من الإبل يذهب بها للتجارة أو لغير ذلك.

وكان الناس يقصدون مدينة بريدة لهذا الغرض لأن سوقها معروف أنه أكبر أسواق الإبل في البلاد، فبعت الأباعر التسعة عليه بتسعمائة ريال أي بربح عشرة ريالات في كل بعير.

وهذا ربح جيد، وربما كان اشتراها مني بهذا الربح الجيد لأنه يريد أن يكمل ما معه من الإبل ولو زاد سعرها زيادة قليلة، لأنه يعرف مثل غيره أننا لا نضطر إلى بيع الإبل بسرعة، لأن عندنا رعاة وإبلاً أخرى.

قال: فذهب الحُسَّاد الذين غاظهم أن أكسب في هذا الوقت القصير تسعين ريالاً دفعة واحدة وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت يكفي أن تعرف أنه ثمن لبعير.

وقالوا للذي باع عليَّ الإبل: لقد ضحك عليك ابن خضير وباع أباعرك على مائة ريال الواحد، أرجع له وخله يأخذ مكسب ريال واحد بالبعير ماهوب عشرة.

فلما كان بعد العصر وكنت أعددت دراهمه له، قال: لي أنت بعت بعاريني على مائة ريال وضحكت علي، واليوم أما انك تعطيني ثمنهن على مائة وإلا فأنا ما بعت،

وكان عندي شهود على بيعه وعندي شهود على كلامه.

فقلت له: انا شريت منك (البعارين) بالسوق وقدام الناس ولا خلاها الناس لي إلاَّ عقب ما عطوها ثمنها، وأنت تعرف ذلك، وأما المكسب فهو من الله ما هو منك.

الآن خذ دراهمك قيمة الإبل وتوكل على الله.

فامتنع من ذلك، وقال: أبي بعاريني والا تعطيني ثمنهن على مائة ريال.

ثم ذهب عني وبعد يومين أو ثلاثة جاء والده، وقال لي أمام الناس: اعطني بعاريني يا ابن خضير.

فقال: فقلت له: بعارينك شريتهن من ولدك وصارن لي وبعتهن على واحد اخذهن مع أباعر ثانية ولا أدري وين هي.

قال: وهذا صحيح، ثم قلت له: ولو هن عندي ما عطيتك إياهن لأني شاريهن شراء صحيح.

فذهب إلى أمير بريدة وكان وقتها عبدالله بن فيصل الفرحان يشكوني إليه، كما هي العادة فأرسل الأمير- كالعادة أيضاً- رجلاً من رجاله هو بمثابة الشرطي لأنه لم يكن يوجد شرطة في بريدة في ذلك الوقت فأمرني أن أذهب

معه إلى القاضي الشيخ عبدالله بن حميد، فقال الشيخ من المدعي فتكلم صاحب الإبل، وقال: أنا يا شيخ- ولدي سرق بعاريني وباعهن على ابن خضير، واليوم أنا ما بعت ولا شريت أبي بعاريني.

لقد عمد إلى هذه الحيلة حتى لا يقال: إن البيع صحيح.

فسأل الشيخ ابن خضير عن رأيه في الدعوى هذه فأخبره بالواقع.

واتضح للشيخ أن الرجل غير صادق وأنه كان أرسل ابله التسع مع ابنه ليبيعها، ولكنه لم يرد إنفاذ البيع عندما علم بأن ابن خضير باعها بربح كبير.

فسكت الشيخ برهة وصاحب الإبل يقول ويكرر ذلك، البعارين سرقها ولدي أبي بعاريني.

فقال الشيخ بهدوء يخاطب رجل الأمير: رح يا فلان للأمير وقل له يخلي ها الرجال عنده، ويرسل رَجَّال يجيب ولده من المكان الفلاني، وكان الشيخ سأله عن مكانه من قبل، نبي نقطع يد ولده لأنه سارق بشهادة أبيه هذا الحاضر، وهي الشهادة التي كررها هنا أكثر من مرة.

فانزعج صاحب الإبل، وقال: وش تقول يا شيخ؟

فقال الشيخ: أنت تقول بإقرارك وشهادتك: إن ولدك سرق الإبل، والسارق تقطع يده، نبي نقطع يد ولدك ونحكم على ابن خضير أنه يعيد لك البعارين المسروقة، ان أمكن ذلك وإلا يعطيك قيمتها التي يعرفها أهل النظر بالسوق من

الذين عرفوها.

وكانت معروفة.

وكان الشيخ يقول ذلك بهدوء وبما ظاهره الجد، فقاطعه الرجل، وقال: يا شيخ، ادخل على الله والله ما سرقها ولدي، ولا أبيه تقطع يده، أنا أرسلتها مع ولدي يبيعها لبريدة، واليوم أنا دخيل على الله ثم عليك يا شيخ، إن و لدي ما يجيه شيء، وأني راضي ببيعته على ابن خضير.

فقال الشيخ لابن خضير، قم يا ابن خضير أنت وإياه وعطه ثمن بعارينه.

والقضية الثانية:

كان أخوان من أهل بريدة شريكين في المال أحدهما وهو الكبير مقيم في بريدة يبيع ويشتري بالمال المشترك بينهما، وينفق من ذلك على البيت الذي كان فيه أولاده وأولاد أخيه والآخر وهو الصغير يسافر بتجارة الإبل وغيرها إلى الشام والعراق.

وبعد أن قَلَّتْ تجارة الإبل، بل كسدت بسبب وجود السيارات في الأمصار وبسبب مهم وهي أنها صارت تشتري لداخل المملكة، توقفت تماماً فصار الصغير لا يسافر ولا يحسن التجارة كما يحسنها أخوه، فاتفقا على أن يقتسما المال بينهما فاقتسماه ونزل كل واحد منهما في بيت له خاصة مع أولاده.

وكان بقي مما لهما من مال مشترك حائط من النخل والأرض في الخبوب وهو باسم الكبير وإن كان مشتركاً بينهما فباعه بأربعة وعشرين ألف ريال.

فجاء أخوه الصغير يطلب منه حقه منه وهو نصف قيمته، فأعطاه خمسة آلاف ريال، وهو يعلم أنه لا يحسن التجارة كما يحسنها هو نفسه.

وامتنع أن يعطي أخاه أكثر من ذلك مع أن نصيبه من النخل اثنا عشر ألف ريال.

فشكا أخاه على الأمير الذي أحالها للقاضي الشيخ عبدالله بن حميد، وبعد أن ادعى الأخ الصغير مطالباً بنصف قيمة العقار الذي باعه أخوه بأربعة وعشرين ألفاً ذاكراً أن أخاه أعطاه من ثمنه خمسة آلاف وامتنع عن أن يعطيه أكثر من ذلك فسأل الشيخ عبدالله بن حميد الأخ الكبير المدعى عليه، فأقر بذلك فسأله الشيخ عن السبب في كونه لم يعط أخاه إلا خمسة آلاف مع أنه باع النخل وما يتبعه بأربعة وعشرين ألفاً لأخيه نصفها؟

فقال: يا شيخ أخوي ما يحسن التصرف بالمال يبي ياخذ الدراهم ويخربها، فقال له الشيخ بهدوء، يا فلان وهو معروف لأنه كان من جيراننا الأبعدين في بريدة.

انت تذكر إن أخوك ما يحسن استثمار حقه من الدراهم، ولذلك نبي ناخذ منك نصيبه من ثمن النخل ١٢ ألف ريال، ونعطيها تاجر رشيد يستثمرها بالبيع و الشراء ويعطي أخوك من مكسبها ما ياكله.

فتعجب الأخ، وقال: يا شيخ، كيف تأخذ مني اثنا عشر ألف ريال وأنا معطيه خمسة آلاف، يعني انه ما بقي عندي له إلا سبعة؟

فقال الشيخ: لأنك مفرط عطيت أخوك خمسة آلاف وانت تعرف انه لا يحسن التصرف بها، ولذلك تعتبر في غير محلها.

فانتبه الرجل إلى أنه قد أخطأ في شبهته التي ظن أنها ستجوز عند الشيخ ابن حميد، وكان الشيخ قد عرف بثاقب بصيرته أنه غير صادق فيما يقول من ادعائه بأن أخاه لا يحسن التصرف بالمال، وأنه بالتالي لا ينبغي أن يعطى نصيبه من النقود.

فقال: يا شيخ أحسن الله إليك، أنا مستعد الآن اعطيه باقي حقه سبعة آلاف ونخلص.

فالتفت الشيخ إلى الأخ الصغير المدعي، وقال له: قم مع أخوك يعطيك حقك!!!

ويتعلق بذلك ما عرفته من الشيخ عبدالله بن حميد ومن غيره وهو أن واحداً من عامة الناس كان قد اختلف مع الملك عبدالعزيز آل سعود عند شيء مما يختلف الناس فيما بينهم عليه، وكان الوقت آنذاك طرياً بالنسبة لأكثر الأمور في بلادنا، فكان الناس يدخلون على الملك عبدالعزيز لا يمنعهم من ذلك مانع، يخاطبونه بل ويباحثونه فيما يريدون، إذْ كانت علاقات بعضهم ببعض آنذاك بسيطة، وكانت المشكلات ليست كثيرة، مع أن الذي نعرفه ويعرفه غيرنا أن الملك عبدالعزيز لا يترك البحث في المسائل حتى الصغيرة منها إلا وينهي أمرها ويأمر بما يرى أن فيه المصلحة منها.

وقد تجادل ذلك الرجل مع الملك عبدالعزيز وقال له في النهاية: أبي منك الشرع: يا عبدالعزيز هو الشرع ما يحصل؟

فقال له الملك عبدالعزيز: يحصل.

ثم أرسل الملك عبدالعزيز رجلاً من خاصته إلى الشيخ عبدالله بن حميد، وكان ذلك إبان أن كان الشيخ قاضياً في الرياض، وقال له: يسلم عليك الإمام، ويقول: فلان بيني وبينه خصومة طالب مني أني أمشي وإياه للشرع وأنا رجل مشغول فهل إذا أنبت شخصاً عني في مخاصمته عندكم يكفي ذلك؟

فقال له الشيخ عبدالله بن حميد: مثلكم مثل سائر الناس، من آراد أن يوكل وكيلاً يخاصم عنه لا مانع.

قال: فأرسل الشيخ إبراهيم الشايقي من أهل الرياض ومن المقربين لدى الملك عبدالعزيز في قضاء حاجات الناس التي يأمر بها الملك لهم.

قال الشيخ: فجلس الخصمان: المدعي والمدعى عليه، بالوكالة عن الملك عبدالعزيز: إبراهيم الشايقي.

قال: ولما سمعت الدعوى والإجابة عليها اتضح أن الحق مع الرجل فحكمت له على الملك عبدالعزيز رحمه الله.

ومن نباهة الشيخ ابن حميد رحمه الله ودقة فطنته قضية عرضت عليه ونحن في مكة المكرمة وهي بين مدير الأوقاف العامة قبل أن تنشأ وزارة الحج

والأوقاف، وكان ذلك في عام ١٣٧٢هـ ويمثل الوزارة رجل اسمه جستنيه أظن أن اسمه الأول حسين، وبين اثنين من البخاريين أو ثلاثة.

والمدعي هو إدارة الأوقاف تقول إن هؤلاء البخاريين في أيديهم الآن رباط البخارية وهو وقف للأمير عبدالأحد آخر أمراء بخارى قبل استيلاء الشيوعيين على السلطة في بخارى أو قال قبل سقوط إمارة بخارى قال: وتطلب مديرية الأوقاف العامة تسليمها هذا الوقف ليكون من بين ممتلكاتها لأنه وقف متعطل لا ينتفع به أحد.

ورد البخاريون: بأن هذا هو وقف الأمير عبد الأحد أمير بخارى للحجاج البخاريين الذين يصلون إلى مكة المكرمة ينزلون فيه حتى يقضوا حجهم، وإلى أن يعودوا إلى بلادهم.

فقال ممثل مديرية الأوقاف العامة: الآن يا شيخ لا يأتي حجاج من بخارى لأن البلاد صارت شيوعية، والشيوعيون لا يسمحون للناس بالحج، وقد صار لا ينتفع منه ونريد أن يضم إلى مديرية الأوقاف العامة لأنه لن ينتفع منه في المستقبل.

فسأله الشيخ عبدالله بن حميد قائلاً: كيف تقول: إنه لن ينتفع منه بالنسبة إلى حجاج بخارى في المستقبل؟

فقال: لأن الشيوعيين لا يسمحون للناس بالحج الآن، ولا يأتي من تلك

البلاد أحد لا حاج ولا غيرهم فقال له الشيخ بعد أن تأمل الموضوع: هذا العقار وقف على حجاج بخارى وبأيدي ناظر أو قال نظار منهم، ويبقى كذلك حتى يتمكن حجاج بخارى من المجيئ إلى مكة والانتفاع به.

فاحتد ممثل الأوقاف قائلاً: هذا لا يمكن؟ كيف يأتون وهم قد منعوا منذ عشرات السنين؟

فقال الشيخ عبدالله: يحدث الله من أمره ما يشاء، فقد يتمكن حجاج بخارى من الحج مرة ثانية، فينزلون في هذا العقار الموقوف عليهم.

وهكذا حكم الشيخ بأن يبقى الوقف كما هو، وألا تسمع دعوى مديرية الأوقاف العامة في الاستيلاء عليه!!!

وقد حكم الشيخ بعد أن اطلعنا على صك الوثيقة الذي يتضمن اثباتها ومكان وجوده وحدوده.

وهكذا بقي هذا الوقف.

ويشاء الله العزيز الحكيم أن يصدق توقع الشيخ عبدالله وتسقط الشيوعية ويعود أهل بخارى إلى الحج وانتفاعهم بالوقف.

وكنت كما هو معروف أعمل في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وكانت لي اتصالات بالمسلمين في بخارى حتى قبل سقوط الشيوعية فيها بنحو خمس سنين لأن الإدارة الدينية في وسط آسيا دعتنا إلى روسيا فسافرت إلى

هناك ثم سقطت الشيوعية في عام ١٤١٠هـ وجاء الحجاج منها، فكنا نساعدهم على إيجاد مكان لهم يسكنون فيه في مكة، والمراد بذلك الحجاج من البلاد التي كانت شيوعية، إلا أن حجاج بخارى ذكروا أنهم لا يحتاجون إلى مساعدة من الرابطة لانهم يسكنون في رباط الأمير عبدالأحد، ورباط آخر مثله موقوف عليهم، فقلت لمن كان حولي في الرابطة انظروا إلى فراسة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله وبعد نظره حيث رفض أن يدع مديرية الأوقاف وهي حكومية سعودية أن تستولي عليه قائلاً: إنه ربما يعود إليه حجاج بخارى وقد عادوا بالفعل بعد أقل قليلاً من ٥٠ سنة من حكم الشيخ في القضية.

وقال الأستاذ عبدالكريم الطويان:

من طرائف أقضية الشيخ ابن حميد رحمه الله:

فقدت إحدى الأسر في بريدة طفلها الصغير، و بحثت عنه دون جدوى وبعد عدة سنوات، كان والده يتجول في سوق الغنم حسب عادته اليومية فأبصر غلاماً مميزاً، فوقر في نفسه أنه ابنه، فتقدم إليه وضمه وهو يقول ولدي ولدي، فزجره صاحب الغنم وهو من البادية ودفعه وهو يقول له: هذا ابني وليس ابنك، فتنازعا وطال بينهما الكلام فتدخل الناس بينهما ورفع أمرهما إلى القاضي في زمانه الشيخ/ عبدالله بن حميد- رحمه الله- فقال للرجلين: أعطوني الولد، واذهبا، وفي الغد احضرا في مجلس القضاء، وأخذ الولد وبعثه إلى بيته وأولاده وعندما جلسا معاً على العشاء، قال له الشيخ: ماذا كانوا يسمونك أهلك يا غلام؟ فقال له على البديهة يسمونني (الحضري) فضحك الشيخ وسكت، وفي

الصباح، استقر الشيخ البدوي فأقر بالحقيقة، قال إننا أخذناه من البلدة قبل عدة سنوات، فحصحص الحق، واستلم الوالد ولده، ونال الأعربي عقابه.

قال ابن طويان:

هذه القصة رويت لي منذ مدة، ولا أكاد أتذكر راويها وقال لي الأخ الدكتور أحمد بن عبدالله الحميد، وهو يحدثني عن والده: لما تولى والدي القضاء في شقراء، جاءه أحد رجال البلدة، وقال له: إنني رأيت البارحة على ضوء القمر جاري فلان وهو يتسور بيتي! فقال له القاضي تعال به غداً وسأنهرك وأغلظ عليك فأصبر ولا تتضايق فأجابه: سمعاً وطاعة.

وفي الصباح، جاء إلى مجلس القضاء ومعه جاره، فادعى بدعواه في الأمس، فزجره القاضي، وقال له: ألا تستحي على نفسك أن تتهم جارك بهذا السوء، فجارك نيته طيبة، ضاق صدره في منزله فتسور بيتك لكي يتعلل معك ويستأنس في الحديث! فقال: هذا ما حدث يا شيخ ما جئت إلا لهذا الغرض!!

فأقر بجريمته دون أن يفطن للحيلة التي بيتها له الشيخ! فكان أن نال عقابه الذي يستحقه أمثاله ممن لا يأمن جارهم بوائقهم![1].

وينبغي تصحيح اسم البلدة فالشيخ لم يتول القضاء في شقراء، وإنما نزل في المجمعة وهو يتولى قضاء المجمعة وسدير.

---

(١) من أفواه الرواة، ج٨٥.

ورواها غيره على الوجه التالي:

نزل أعراب بجوار حضرٍ (أهلِ قرية) وإذا عند الحضر صبيّ يتيم قد ماتت أمه: فاتفقوا مع جيرانهم البدو لإرضاعه، فأرضعوه، وأبقوه عندهم لإرضاعه، وكان أبوه غائباً، ولكن الأعراب طمعوا بالصبي فارتحلوا من جوار الحضر، وتنقلوا في البر، وكبر الصبي معهم.

فلما حضر أبوه تطلب الأعراب حتى وجدهم، وإذا بالصبي قد كبر وميز ولكنه لا يعرف إلا هؤلاء البدو.

فالرجل طلب ابنه منهم فأنكروا وأبوا تسليمه إياه: فأحضرهم عند شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، إذ كان قاضياً في بلد هناك، رحمه الله يخاصمهم فيه، فأنكروا، والشيخ يعرف أن الرجل الحضري لا يطمع بابن الأعراب ويدعيه، فغلب على ظن الشيخ أن الرجل صادق ولكن لابد من البرهان على دعواه.

وكان الشيخ كفيف البصر ذُوْ دهاءٍ في القضاء، وكثيراً ما يَتَفَرّس في القضايا المشكلة والمعضلة.

فعدل الشيخ هنا إلى التفرس في القضية: فقال الشيخ للأعراب والرجل: اخرجوا عن المجلس برّا وأبقوا الصبي عندي هنا: فخرجوا:

فالشيخ سأل الصبيّ قائلاً: هل أولاد جيرانهم يعيِّرونك؟ قال: نعم، قال: ماذا يقولون لك؟ قال: يقولون لي يا الحضري: (وذلك حيث كانت الحضارة عيب عند البدو ذاك الوقت).

فحينئذٍ ثبت لدى القاضي بموجب القرينة القوية أنه ابن الرجل الحضري: فحكم له به، وأمر بتأديب البدو المنكرين، فتنازلوا وطلبوا العفو فعفا عنهم.

وحكى ابنه الدكتور أحمد قال: روى لنا الوالد الشيخ عبدالله بن حميد لَهُ مما يدل عَلَى ذكائه حيثٌ قال رحمه الله: (حينما كنت قاضياً في المجمعة جاءني شخص وقال لي إن جاري فلاناً سطا على بيتي عند منتصف الليل بقصد السرقة، ولما أحسست به خرجت إليه ورأيته يفتش في غرف المنزل وتأكدت أنه جاري فلان، فلما شعر بي هرب ولم أستطع اللحاق به، فسألته هل لديك بينة فأجاب بالنفي وكيف أجد بينة ونحن في منتصف الليل، فأحضرت الجار المتهم فأنكر وادعى أنه بريء ومظلوم، وفي مثل هذه الحالة لا يجب عليه إلا اليمين حيث لا بَيِّنة، فإذا أدى اليمين أطلق، فالتفتُّ إلى المدعي فقلتُ له أنت إنسان مخطئ وظالم وسمعتك سيئة في كل انحاء المدينة واستطردت في تقريع المدعي وتوبيخه، كل هذا والمتهم يكاد يطير من الفرح، ثم أشرت إلى الجار وقلت إن هذا الجار من خيرة الرجال وأفضلهم وكنا نعرف حسن سلوكه، ولكن من المحتمل أن يكون حصل له خوف أثناء الليل ووحشة شديدة وهذا يحصل لبعض الناس ولحقت به فهرب فهو لم يقصد السرقة.

فلما سمع المتهم كلامي هذا رفع صوته قائلاً: هذا والله صحيح يا شيخ أنا خفت في الليل فجئت إلى جاري لأزيل وحشتي ولكنه الله يهديه لحقني فهربت مِنه، فلما سمعت منه اعترافه أمرت بالقبض عليه وسجنه).

كان الشيخ عبدالله بن حميد قوي الذاكرة مما يساعده على استحضار المسائل العلمية وتذكرها وإن بَعد العهد عنها، وقد حصل له رحمه الله مواقف تدل على أن له- رحمه الله- قوة ذاكرة، منها أنه كان مسافراً من القصيم إلى مكة لأداء العمرة وتعطلت سيارتهم في الطريق وبينما الشيخ جالس إذ أقبل شخص فجلس وسلم على الشيخ فرد عليه السلام وقال: وعليكم السلام يا منير فاندهش هذا الشخص كيف عرفه الشيخ فقال له الشيخ ألست منيراً الذي تخاصمت مع فلان الفلاني في قضية الجمل الأصفر، وكان هذا قبل عشرين عاماً تقريباً.

حكمته في أحكامه:

كان في إحدى ضواحي بريدة امرأة عمياء بيضاء قد انقرض أقاربها، فليس لها محرم، وإنما أقامت وهي صغيرة عند جيران لأهلها ولكنهم ليسوا بمحرم لها.

وبطبيعة الحال كان حظها في الزواج ليس كبيراً، إلى أن تقدم لخطبتها من الذين هي عندهم رجل أسود اللون، ولكن حالته المالية جيدة، وليست عنده زوجة في ذلك الوقت.

ومن الطبيعي أن يرفعوا أمرها للشيخ عبدالله بن حميد لكونه القاضي الذي هو ولي من لا ولي لها.

فسألهم الشيخ عن الرجل الذي خطبها هل دينه وأمانته وأمور دنياه على ما يرام بحيث يظن أنه إذا تزوجها يكفل لها المعيشة الطيبة فأثنوا عليه خيراً.

فاستمهلهم الشيخ ثم سأل من يثق بهم من أهل تلك الضاحية عن هذا الرجل الذي تقدم لخطبة العمياء يتأكد من صلاحه فأخبروه أنه طيِّب ومستقيم السيرة، إلا أنه أسمر وبعضهم قال: إنه أسود وهي بيضاء.

فأناب أحد المشايخ أو الأعيان من جيرانهم أن يعقدوا له عليها بعد أن أخذوا رايها ووافقت.

وقيل لي إن الشيخ عبدالله قال لهم عندما قالوا: نخاف إنها ماتبيه لأنه أسود: هي تبي تشوف سواده؟ ولم أسمع بهذا من الشيخ.

وزوجها من ذلك الرجل، وكان زواجها ناجحاً صان المرأة وأصلح حال الرجل.

ويزوج الشريفة بغير شريف:

هذا في بريدة وأما في مكة المكرمة عندما كان الشيخ عبدالله فيها لإنهاء القضايا القديمة وكنا معه أن أحيلت من محكمة مكة قضية كانت متأخرة لديها.

وكانت العادة أن ترسل محاكم مكة المكرمة القضايا المتأخرة فيها إلى الشيخ عبدالله انفاذاً للأمر السامي وحضرت المدعية وهي امرأة يبدو أنها عاقلة وكنا مع الشيخ عبدالله في مجلس الحكم ومعها المدعى عليه وهو أخوها.

فقالت: يا شيخ هذا أخوي فلان امتنع عن تزويجي وأختي فلانة حتى تعدت سن الزواج وسنها الآن تقترب من الخمسين وهي في بيته تمن عليها امرأته وأولاده بالخبزة التي تأكلها فيه، وأختي الثانية أصغر منها بعشر سنين فاتها قطار الزواج.

وأنا الآن يريد أن يجعلني مثلهما فيرفض تزويجي بحجة أنه يريد لي زوجاً من الأشراف ويقول كما صرح بذلك: يريد أن يزوجني بشريف ما يبغى الأجناب يدخلوا علينا في أوقافنا أوقاف الأشراف، وأنا يا شيخ امراة ولله الحمد أعرف حدود الشرع ولا أريد أن يعطل زواجي.

فسأل أخاها عن دعواها فقال: يا شيخ أنا ما جاني لها رجل كفءٌ لها ولا لأخواتها وإلا زوجتهن.

فردت المرأة ذلك بقولها: يا شيخ لقد تقدم إليه رجل طيب مأمون رغب فيَّ وأنا رغبت فيه، وهو عاقل وحالته المادية جيدة إلا أنه ليس من الأشراف.

وبعد أن تثبت الشيخ من صحة دعوى المرأة: استناب القاضي الذي جاءت منه المعاملة قائلاً: أسألوا أولاً وتثبتوا أن الذي تقدم لخطبتها كفءٌ من حيث الدين وميسور الحال وثقة عدل يظن أنه سيعيش معها عيشة طيبة، فإذا ثبت ذلك زوجوها به ولو لم يكن شريفاً.

وهكذا تم ذلك الزواج.

على وجه العموم فإن القصص والحكايات عن عجائب أحكام الشيخ عبدالله وفراسته في معرفة الحق من الباطل من الخصوم وسعيه في ذلك إلى المصلحة العامة كل ذلك صار معروفاً وصار الحديث عنه حديثاً عن أشياء لها نظائر، والنظائر لها نظائر أخرى.

وعهدي بأحد الإخوة يحاول أن يجمع الشواهد على ذلك، يذكر القضايا التي حكم فيها الشيخ حكماً دقيقاً، بل إنه استنبط استنباطاً وجه الحق منها.

مؤلفات الشيخ ابن حميد:

لم يكن شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد بدعاً من المشايخ أهل نجد في عدم الاهتمام بالتأليف إذْ نجد العالم منهم بحراً لا يدرك غوره في بعض العلوم ولكنه لم يؤلف فيها حتى ولا كتاباً واحداً.

وذلك على خلاف علماء الأمصار الذين يكونون أقل منهم علماً وأقل كذلك تلاميذ وطلبة والمراد بهم الطلبة الذين يتعلمون منهم على طريق الحلق: جمع حلقة درس في المساجد إذْ نراهم يسارعون إلى التأليف وبعضهم نراه يكلف تلامذته بكتابة مؤلفاته ولو لم يكن فيها جديد من العلم أو طريقة البحث.

وإذاً التأليف يكون عادة أوكالعادة عند العلماء في عصر من العصور ويكون عكس ذلك في عصور أخرى، وعصرنا الذي أدركنا عليه شيوخنا هو (عصر عدم التأليف) إن صح التعبير.

ويمكن أن نقرب الموضوع المتعلق بعصور التأليف بذكر حال مؤلفين اثنين من علماء المسلمين في عصرين مختلفين.

أولهما: الإمام السيوطي وهو عبدالرحمن المعروف بابن الأسيوطي فهذا الرجل مؤلف من الطراز الأول في كثرة المؤلفات وفي تفرعها.

وقد وقفت له على كتاب من تاليفه عنوانه: (التحدث بنعمة الله) ومن الغريب أن الذي حققه وأشرف على طبعه امرأة أوروبية شابة كانت تدرس في

أقسام اللغة العربية في إحدى الجامعات الأوروبية وكان كتاب (التحدث بنعمة الله) للسيوطي هو موضوع رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه.

وقد حققته وطبع بتحقيقها، ولم أر فيه من التحقيق الذي ينبغي أن يكون في رسائل الدكتوراه كثير شيء، وربما كان هدفها من طبعه مجرد وجوده بايدي الناس، وإيضاح أنها هي التي اكتشفته لأنه لم يطبع من قبل، وأكثر الذين كتبوا مؤلفات السيوطي لم يذكروه بين مؤلفاته ولا شك أن ذلك امر قد يبدو طبيعياً لأن المؤلف المكثر من التأليف مثل السيوطي، بل مثلي أنا لايدري متى يكف عن التأليف، ولا يدري متى توافيه المنية، ولذلك حتى ينظر في مؤلفاته بزيادتها أو تنقيح بعضها.

وقد ذكر السيوطي في ذلك الكتاب عدداً لمؤلفاته لا أحِقّ عدده الآن ولكن يتراوح بين ٢٨٠ مؤلفاً وبين ٣١٠ مؤلفات.

وقد ألف السيوطي بعد تاليفه ذلك الكتاب عشرات الكتب لم تذكر في كتابه (التحدث بنعمة الله) وهذا معروف السبب وهو أنه عمر بعد ذلك وهو من المكثرين من التأليف.

وليس المراد من إيراد هذا الكلام إلاَّ بيان أن التأليف قد يصبح عادة أو لنقل بلغة العصر: إنه قد يصبح تقليداً من تقاليد العصر.

ولذلك قال منتقدو الإمام السيوطي وعلى رأسهم الإمام السخاوي الذي كان معاصراً له بينهما تحاسد العلماء، أو لنقل بصريح العبارة العداوة اللفظية

الفظيعة، و لكنني لا أعرف أذكر السخاوي ما سأذكره عن مؤلفات السيوطي أو ذكره غيره، وظني أنني وقفت عليه في غير كتب السخاوي.

قالوا: كان الإمام السيوطي يعرف أول أمره بابن الأسيوطي أي ابن السيوطي نسبة إلى مدينة (اسيوط) في صعيد مصر لأن والده كان قاضياً فيها.

قالوا: كان والده غنياً ترك له (أطياناً) والمراد بها في مصر الأراضي الزراعية المنتجة، إلى جانب مكتبة غنية بالكتب، قالوا: فكان عبدالرحمن السيوطي ينفق بتوسع على الكتب وعلى طلبة العلم وصارت عنده رغبة في التأليف فكان إذا رأى نجابة في بعض تلاميذه أعطى كل واحد منهم كتاباً في فن من الفنون، وقال: اختصر هذا الكتاب فيقرأه ويراجعه ويكتب عليه أنه تأليفه.

وقال بعضهم: إنه يأخذ الكتاب إذا كان مختصراً لكتاب آخر ويكتب عليه أنه تأليفه، ويجد من الوراقين من ينسخه له ويكتب عليه اسمه، ويجد من المأل ما ينفذ ذلك منه.

قال المنتقدون للسيوطي، لذلك كثرت مؤلفاته وأكثرها نقول عن الآخرين، أوما استوحي من مؤلفات علماء آخرين.

وتلك طريقة قد تروج عند بعض الناس في تلك العصور لأن معظم الكتب التي يرجع إليها العلماء كانت توجد في خزائن كتب موقوفة، ويكون ما عداها من الكتب يصعب الحصول عليه إلا باستنساخه.

ويقول بعضهم في تبرير مثل ذلك: إن مؤلف الكتاب الأول الذي أخذ السيوطي أو تلامذته معلومات منه قد يكون هو أخذ من مؤلف قبله كذلك.

على أية حال فإن الإمام السيوطي قد اشتهر بالتأليف حتى نسب بعضهم إليه كتباً ليست من تأليفه بالتأكيد ومن ذلك ما يتعلق بما يكون بين المرأة والرجل من الجماع وأنواعه، وهي كتب مطبوعة.

وأذكر بهذه المناسبة أن شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد كان مرة طلب مني أن أفتش في مكتبته عن كتاب صغير مخطوط يبحث عنه فعثرت على كتاب مخطوط في نحو كراسة وهي ثمان صفحات وبعض الوراقين يجعلها ثمان ورقات أي ١٦ صفحة لم أذكر عنوانه ولكنني عندما أخبرت الشيخ عبدالله به ضحك ولم يكن عندنا أحد، وقال: هذا من تأليف السيوطي وقد قرأته، وستجد فيه سجعاً غريباً هو:

أبو قردان. زرع فَدَّان: ملوخية وباذنجان

قال شيخنا وأنا لا أعرف (أبو قردان) هذا ولكن السجع غريب، فقلت له: أبو قردان طائر أبيض يشبه الغرنوق رايته في مصر ورأيته يتجمع في أعداد تكون أحياناً كبيرة عند الفلاحين الذين يسقون زرعهم من النيل، فلم أرهم يذودونه عن المزارع ولا يصطادونه وعهدي بمثله من الطيور أن يسرع الصيادون إلى صيده فذكروا أولاً أنه هزيل لا يسمن، وثانياً أن وزارة الزراعة المصرية

منعت صيده وأسمته (صديق الفلاح) لأنه يأكل الحشرات والدود الذي يصيب المزارع وبخاصة مزارع القطن الذي كان المحصول الرئيسي في مصر.

والمثال الثاني في علامة الهند النَّوَّاب صديق حسن خان ملك ناحية بهوبال في الهند، ولذلك لديه مال ونفوذ وكان طلبة العلم يفدون إليه للتعلم وقد وفر لهم المعيشة وهم من أنحاء الهند، وخارجها وقد سافر إليه لطلب العلم عدد من علماء أهل نجد مثل الشيخ سعد بن عتيق والشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

قالوا: فيعطي بعض تلامذته المحتاجين الأكفياء كتباً ليختصرها، أو يؤلف على منوالها ثم يراجع ذلك الكتاب ويكتب عليه إنه من مؤلفاته.

هكذا قيل لنا وما شهدنا إلا بما علمنا من حالته وحالة الإمام السيوطي.

ومالي أذهب بعيداً ولدي شاهد من نفسي فأنا مكثر من التأليف وليس عندي تلاميذ يساعدونني عليه، ولو وجدوا لما استطاعوا أن يكتبوا ما أريد أن يكتبوه، ولما استطعت أن أقبل ما يكتبونه ومع ذلك ألفت كتباً كثيرة مع كثرة اشغالي في الوظيفة وفي الأسفار في أنحاء العالم.

وحتى هذه النقطة وهي الكتابة عن الرحلات في الخارج لم يستطع بعض الناس أن يهضم ذهنه بأن يصدق أنني كتبتها كلها وقد بلغ عددها ١٧٧ كتاباً طبع منها حتى الآن ١١٨ كتاباً مائة وثمانية عشر كتاباً، وما يزال الطبع فيها جارياً إلى جانب مؤلفات كثيرة منها (معجم أسر بريدة) في ثلاثة وعشرين

مجلداً، و(معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة) في ١٣ مجلداً وهما مطبوعان.

و(الأصول الفصيحة للأمثال الدارجة) في ثمانية مجلدات، ومعجم بلاد القصيم في ستة مجلدات، و(الأمثال العامية في نجد) في خمسة مجلدات، ولي كتب مخطوطة كثيرة منها (معجم الألفاظ العامية) في ٢٤ مجلداً وهكذا.

وكنت بحثت في نفسي حالة بعض علماء السلف منهم الحافظ ابن حجر صاحب (فتح الباري في شرح صحيح البخاري)، العظيم.

أقول: مضيت في ذكر الكتب التي ألفها الحافظ ابن حجر في التاريخ ورحاله فقط فبلغت ٥٧ مجلداً ما بين تاليف واختصار أو تلخيص وهو رئيس القضاة في مصر، أو قاضي القضاة فيها كما يسمونه، وعلماؤنا لا يحبون أن يسمى الرجل (قاضي القضاة) قياساً على نهي النبي ﷺ عن أن يقال: ملك الملوك، وقال: لا تقولوا ملك الملوك لا مالك إلا الله.

ولذلك لم يشتهر في التاريخ العربي الإسلامي وصف ملك من الملوك بذلك إلا من كان عجمياً إذ كان الإيرانيون يسمون ملكهم الأخير الذي نعرفه وعاصرناه وهو المعروف عالمياً بشاه إيران بملك ملوك إيران، لأن (شاه) بالفارسية هي ملك بالعربية فيقولون في وصفه (شاهن شاه) بمعنى ملك الملوك.

ولاشك في أنهم نقلوا ذلك عن أسلافهم الذين كان الناس يلقبونهم بذلك.

أما (قاضي القضاة) فلم يرد نهي عنه، ولذلك لا أنهي أنا عنه، ولكلٍ رأيه في هذا الموضوع.

ونرجع إلى موضوع قلة المؤلفات عند علمائنا أهل نجد لمناسبة الحديث عن مؤلفات شيخنا العالم الجليل عبدالله بن محمد بن حميد.

وترجع قلة مؤلفاته إلى سببين:

الأول: أنه لم يكن يحفل بالتأليف لنفسه ولم يكن يهتم به، أسوة بمشايخه الذين تلقى العلم عنهم.

والثاني: أن تلامذته وهم كثر وفيهم أناس يستطيعون أن يساعدوا على أن يكون لشيخهم مؤلفات كثيرة عن طريق تسجيل فوائده وفي تدريسه للفنون التي يدرسونها عليه، وعن طريق فتاواه وارشاداته العلمية، لأن الناس كلهم لم يكونوا منتبهين لذلك، ولا كانوا يفكرون فيه.

وإنما اقتصر علماؤهم على مؤلفات أئمة وأعلام من العلماء سابقين مثل مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، ومثل مؤلفات الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب ورسائله، مع أن كتبه مختصرة ورسائله مركزة فيما يلزم للمسلم مما يثبت العقيدة السلفية في ذهنه.

ولو فرض أننا في عصر غير هذا العصر الذي عشناه في عهد الطلب لكان للشيخ تلاميذ كثر يكتبون كلامه ويدونون إفادته يحضرونها له ويضعونها بين يديه فيراجعها ويسميها بالاسم الذي يرتضيه لها، وتصبح مؤلفاته.

لأنه منذ أن عرفناه بعد قدومه إلى بريدة في عام ١٣٦٣هـ وحتى وفاته يلقي من الدروس ويشرح من المسائل العلمية في فنون مختلفة من العلم ما لو سجل لملأ مئات المجلدات من الكتب ولو لخص لم يستوعبه إلا عشرات العشرات من الكتب.

هذا إلى جانب ما عرف عن علمائنا من التواضع، وعدم التفاخر بما يعلم ومنه التأليف وبخاصة إذا تحدثوا عن العلماء الكبار من أهل نجد أو من علماء المسلمين الأوائل فنراهم يحقرون أنفسهم عند ذكر أولئك الأعلام، مع أن الذي نعتقده أن فيهم من هم أعلم من الأولين، لأن لكل زمان دولة ورجالاً والدهر هو الدهر، ولكن عواطف الإنسان ومثله وتقديره للأمور هو الذي يختلف أو يختلف بعضه من عصر إلى عصر، ومن دهر لدهر، ومن قوم إلى قوم، وما عليهم في ذلك من لوم.

هذا وقد وجدت صديقنا صاحب المعالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد نجل شيخنا الشيخ ابن حميد قد كتب قائمة بمؤلفات والده الشيخ عبدالله وحسبك به علماً بهذا الشيء لأنه ورث أوراق شيخنا وعرف ما فيها واستقصى ما يتعلق بمؤلفاته فأحببت أن أنقل عنه ذلك وقد نشره في أحد أعداد مجلة الدارة التي تصدرها (دارة الملك عبدالعزيز) في الرياض وهذا بيان المؤلفات:

- إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويزه لذبح دم التمتع قبل وقت نحره، (توضيح لمسألة حكم تقديم هدي التمتع قبل يوم النحر).
- غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود (تتعلق بحكم الأضحية عن الميت ووصول الثواب إلى الأموات).
- تبيان الأدلة في إثبات الأهلة (في حكم الأهلة واختلاف المطالع بين البلدان).

- الرسائل الحسان في نصائح الإخوان (مجموعة مقالات توجيهية).
- الدعوة إلى الجهاد في القرآن والسنة.
- توجيهات إسلامية (مجموع مقالات توجيهية).
- كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر.
- هداية الناسك في أحكام المناسك.
- دفاع عن الإسلام واشتراكية حرام. (في حكم الاشتراكية).
- الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع.
- الاشتراكية في الإسلام.
- حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.
- نقد نظام العمل والعمال.
- رسالة في حكم التلفزيون.
- فتاوى مخطوطة- وهي تحت الإعداد للطبع.
- رسالة في التوحيد.
- تنبيهات على أن جدة ليست ميقاتاً.

وهناك إجابات سديدة مختصرة على أسئلة السائلين كان شيخنا يجيب بها في برنامج (نور على الدرب) الذي تذيعه الإذاعة السعودية، لو جمعت تلك الإجابات بعد تبويبها وتصنيفها لاجتمعت منها مجلدات.

إضافة إلى مئات بل آلاف الفتاوى الشفهية التي كان الشيخ يجيب عليها السائلين أثناء دروسه في المساجد وفي مكة المكرمة بالذات وفي مواسم الحج.

والأولى موجودة في الإذاعة محفوظة كما نعتقد يفترض أنها يمكن أن تؤخذ من الأشرطة وتطبع في كتب.

أما هذه الأخيرة التي كان يجيب بها أويفتي بسرعة في تدريسه أو في مجالسه لإرشاد الناس وافتائهم في أمور دينهم فإنها لم تسجل، أو هذا هو أكثر حالها، وقد ضاعت بالفعل مع الأسف الشديد.

وأيضاً لو كان اعتنى معتنٍ بتعليقاته وشروحه على الكتب العلمية التي كان يعلق بها ويفيد الطلاب والمستمعين للدروس بها لبلغت مجلدات كثيرة وهي في فنون عديدة.

ولو جمعت تعليقاته الشفهية على الأحداث السياسية والاجتماعية لبلغت مجلدات ولكان لها وقع عظيم في النفوس لما يتحلى به من معرفة بهذه الأمور وحسن للتقدير في أسبابها ونتائجها، وتلافي الضرر الذي ينشأ عن إهمالها ومن تداعياتها.

وأضيف هنا ذكر شيء مهم هو أن الشيخ عبدالله بن حميد رغم كونه القاضي الذي تشغل بعض القضايا وقته وربما شغلت ذهنه حتى في غير مجلس القضاء فإنه يصح أن يقال عنه: إنه رجل العمل العام في المدينة ولا نقول كما يقول بعضهم رجل الخدمة العامة لأنه يترفع عن لفظ الخدمة كما يكره كل ما يدل على الأنقياد والخضوع إلا لله تعالى فهو القاضي المفتي والمعني الأول بالمحافظة على مصالح الناس العامة وهو رئيس الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، وهو المسئول عما يتعلق بأئمة المساجد والمؤذنين فيها، وهو المسئول أيضاً عن عمارتها، وهو المسئول عن تأديب من تسؤل له نفسه تجاوز حدود المعروف إلى المنكر، بل هو الذي يتابع الأمور العامة في المملكة العربية السعودية حتى إذا سمع بشيء يحتاج إلى أن ينبه الملك له أو يسترعى انتباهه إليه كتب إليه بصفة سرية بأن المصلحة العامة تقتضي كذا أو بأن الأمر الشرعي فيه هو كيت وكيت.

والملك عبدالعزيز والملوك بعده يحترمون الشيخ ابن حميد ويقدرون نصائحه وآراءه لأنهم يعلمون أن هدفه هو تحقيق المصلحة العامة، وأنه لا ينظر فضلاً عن أن يسعى في مصلحة له شخصية.

محبته للكتب:

إن الحديث عن الكتب التي ألفها الشيخ عبدالله بن حميد يجر إلى الحديث عن محبته للكتب وتقديرها في نفسه، وذلك أمر طبيعي بالنسبة إلى شيخ طُلعة يتطلع إلى المزيد من المعرفة، ويتطلع الناس إلى معرفة رأيه في بعض الكتب وبخاصة من المؤلفات الجديدة يعطيني إياها لأعرف ما فيها أولاً، ثم أجده يقرأها بمعنى تقرأ عليه فيسمعها بنفسه ولا يقنع بما يراه الآخرون بشأنها.

ومن محبته للكتب ما حدثني به، قال: من نعم الله تعالى على عباده أن يسر لهم في هذا العصر أموراً لم تكن متيسرة لمن كانوا قبلهم، قال: ومن ذلك أنني سجلت طائفة من أمهات الكتب تسجيلاً كاملاً وذكر منها صحيح البخاري وعيون الأخبار لابن قتيبة والبداية والنهاية لابن كثير، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير فإذا اشتقت إلى هذه الكتب ولم يكن بقربي من يقرأ لي منها، فتحت المسجل على واحد منها حسب ميولي في تلك الساعة واستمعت إليه مسجلاً.

قال: والمتعة العظمى أن أفتح المسجل على بعض الكتب قبل أن أنام حتى يغلبني النوم فأنا استفدت من الوقت الضائع ما بين الاضطجاع والاستغراق في النوم.

وكان صديقنا الأستاذ علي بن عبدالله الحصين وهو مثلي من أخص تلاميذه يقرأ عليه أو إن شئنا الدقة قلنا يطالع له بعد صلاة العشاء في الكتب

التي تبحث في الفنون التي تدرس عليه من أجل استذكارها فكان إذا ما ورد إليه كتاب جديد لم يصبر حتى يجد له فراغاً من الوقت، بل يطلع على عنوانه وعلى محتواه من الفهرس أو من خطبة المؤلف، ثم يؤجل قراءته إلى حين.

ومن العجب أن شيخنا على عادته في اكتشاف مفاهيم الناس للأمور إذا قرأ كتاباً ثم حضر إليه من هو مهتم بالكتب أو حتى من ذكر عنده أنه يعرف ذلك الكتاب يسأله عن رأيه فيه، وذلك لأمرين أولهما سماع رأي آخر في الكتاب، والثاني معرفة مدى حكم ذلك الذي قرأ الكتاب إذا كان الشيخ قد قرأه فكأن الشيخ يقيس بذلك صحة حكم ذلك الشخص على الكتاب، ليعرف حكمه على كتاب آخر أو كتب أخرى تصل إليه.

كان كثير من المشايخ وطلبة العلم يرسلون إليه مخطوطات كتبهم لكي يقرأها ويبين رايه فيها وليصحح ما يكون فيها من أخطاءِ.

أذكر من ذلك أن الشيخ عبدالحميد الخطيب سفير المملكة العربية السعودية في باكستان صنف تفسيراً للقرآن الكريم أسماه (تفسير الخطيب) ورجا من الشيخ عبدالله أن يقرأه ويصحح فيه ما يرى أنه يحتاج إلى تصحيح، فأمرني الشيخ أن أقرأه عليه، وكان مسودة بخط المؤلف وخطه ليس واضحاً جيداً، وتعبيراته فيها لمحة عصرية غير مألوفة لأمثالنا فصرت أقرأه عليه ولكن لم أكن أسرع في قراءته مضطراً لما ذكرته.

فوجدت الشيخ غير مرتاح لقراتي فيه مع أنه في العادة يرتاح جداً لقراءتي عليه، لأنه يريد الذي يسرع في القراة ولا يلحن في النحو ولا يغلط في كلمات اللغة فأخذه مني وأعطاه أحد المشايخ ليقرأ عليه فيه، ولكن ذلك الشيخ عجز عن قراءته فاعتذر، ولم يجد الشيخ إلا أن يصبر على قراءتي عليه فيه مع عدم الاسراع لعدم وضوح الكتابة والمعنى.

ومع ذلك أكمل الشيخ الإطلاع على المجلدات التي أعطاها السفير الخطيب من مسودات الكتاب.

وهذا مثال من عشرات الأمثلة على قراءته للكتب.

وفي ميدان آخر من التأليف كان الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام قد أعطاه كتابه (علماء نجد على مدى ستة قرون) قبل أن يطبعه وكان مكتوباً على الآلة الناسخة (آلة الاستنسل) آنذاك فقرأه بمطالعتي أنا وغيري عليه.

ومن العجيب عندي أن شيخنا الذي كان وقته من ذهب لأنه بين قضاء وتدريس لا يمتنع عن الاطلاع على أي مؤلف جديد يريد مؤلفه أن يعرف رأي الشيخ فيه فكان يأخذ ذلك معه حتى في السيارة حتى يعرف المقصود منه.

ومع أنني لا أحب التثقيل عليه فقد عرضت عليه كتابي: (نفحات من السكينة القرآنية) فقرأه عليه أحد الإخوة كله، وقد استخرت لنفسي أن أطلب منه قراءته لأنه كتاب أشبه بكتاب التفسير فموضوعه مهم.

وعندما أتم الإخوان قراءته عليه قال لي الشيخ عبدالله: لقد فتح الله عليك يا شيخ محمد، ثم قال: لقد كنت أبحث عما ذكرته في معنى الآية الكريمة (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) لأن ذلك مزلة أقدام فوجدتك (ذهين) أي ذا ذهن ثاقب إذْ تخلصت منها بذكر مذهب أهل السنة والجماعة من دون أن تخرج عن طريقتك المختصرة في تأليف الكتاب.

ثم كتب له المقدمة التالية أوردها هنا لأنها مختصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«اطلع شيخنا العلامة الجليل الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية على بعض هذا الكتاب فتفضل مشكوراً بكتابة الكلمة التالية):

الحمدلله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعد:

فقد قرأ عليَّ فضيلة الشيخ محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام للدعوة الإسلامية فصولاً من مؤلفه ا لقيم: (نفحات من السكينة القرآنية) فألفيته كتاباً مفيداً، أورد فيه المؤلف الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالسكينة، وتناول معانيها بالإيضاح والتفسير، تفسيراً قصد به بيان العظة والعبرة من الآية، دون أن يركز على بيان معاني مفردات الكلمات، فجاء كتابه سهل الفهم، واضح المعنى سلسل العبارة، ولا غرو فإن فضيلة الشيخ العبودي من المشايخ

الذين أمضوا قدراً من حياتهم في دراسة العلوم الإسلامية، وهو- إلى جانب ذلك- أديب فاضل حصل على (ميدالية) الاستحقاق في الأدب، فإن كتابه واضح لمن يقرؤه، وخاصة من لم يكن لهم سابق ممارسة بقراءة كتب التفسير، ولا معرفة باصطلاحات المفسرين.

ولا شك في أن المسلم بحاجة دائمة إلى تلاوة كتاب الله تعالى وتدبر آياته الكريمة، يستمد من ذلك سكينة النفس وهدوء البال، ويحصل مع ذلك على الأجر العظيم والثواب الجزيل على تلاوة القرآن الكريم.

نسأل الله تعالى أن يثيب المؤلف الشيخ محمداً العبوديَّ، وأن ينفع بكتابه، وأن يوفق المسلمين إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم في أمر دينهم ودنياهم، إنه قريب مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

عبدالله بن محمد بن حميد

الختم

رئيس مجلس القضاء الأعلى

الرياض في ٤/٦/١٣٩٧هـ

وقد كتب شيخنا هذه المقدمة لكتابي على خلاف عادته في عدم الإسراع إلى كتابة المقدمات للكتب، وإنما كان بعد إطلاعه على الكتاب يخبر صاحبه بما لاحظه فيه وهذا هو الأعم الأكثر أو يثني عليه بأنه ليس له ملاحظة عليه.

والأمثلة على ذلك كثيرة مع أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك ولكنها وقائع سوف نذكرها وليست مجرد استنتاجات.

أولها: الإسراع إلى جمع الكتب لمكتبة الجامع التي كان الشيخ الجليل القاضي عمر بن محمد بن سليم قد أعد مبناها ولكنه مرض مرضاً طاوله حتى توفي قبل قدوم الشيخ ابن حميد بأشهر، فلم يتمكن من إمدادها بالكتب فضلاً عن أن يفتحها للطلبة فسارع شيخنا بالكتابة للملك عبدالعزيز يطلب معونة منه لطلبة العلم وعندما أرسل إليه المعونة كان من بين مصارفها أمره لفهد بن مزيد الخطاف وهو تاجر أودع الشيخ عنده تلك النقود ليصرف منها وهي ثلاثة آلاف ريال فرانسة في السنة وتقدم ذكرها ما بأمر الشيخ منها فأمر أن يهيأ للمكتبة السراج والشاي وفراشاً من البساط وأن تفتح كل ليلة بعد صلاة العشاء ليتذاكر فيها الطلبة دروسهم، يعين كبيرهم صغيرهم على ذلك.

وكان أعطى مفتاح المكتبة لي، وكنت آنذاك مع الأخوين الشيخ عبدالله بن محمد ا لبقيشي والأستاذ علي بن عبدالله الحصين.

ثم مسعاه بل مساعيه في توفير الكتب لتلك المكتبة حتى أصبحت في زمن يسير تستحق هذا الاسم بجدارة.

وقد وكل إليَّ بصفة رئيسية العناية بالكتب فيها فذكرت له وسيلة يمكن أن تحقق زيادة محتويات المكتبة، لأفعلها، ومذكراتي التي كنت أكتبها منذ عام ١٣٦٨هـ ولمدة خمس سنين حافلة بذلك.

والمثال الثاني: أنه في عام ١٣٦٧هـ بعد وفاة الشيخ عثمان بن الشيخ القاضي صالح بن عثمان القاضي قاضي عنيزة، وكلمة (قاضي) في اسمه كلمة نسب، وكلمة عمل فاسم أسرته (القاضي) وهو قاضٍ وإن لم يكن أول قاضٍ من هذه الأسرة، فقد سبقه إلى القضاء منها الشيخ عبدالرحمن بن محمد القاضي الذي كان عينه الإمام تركي بن عبدالله آل سعود بعد أن أعاد الدولة السعودية إلى الوجود وعرفت عند المؤرخين باسم الدولة السعودية الثانية.

وقد ذكرت شيئاً عن هذه الأسرة العلمية الكريمة في (معجم أسر عنيزة).

كان الشيخ صالح بن عثمان القاضي في عنيزة قد سافر وهو شاب إلى مصر لدراسة العلم في الأزهر وحصل على كتب من هناك و لكنه ترك الدراسة هناك إلى مكة المكرمة فبقي فيها مدة حصل فيها على كتب جيدة لا يوجد مثلها في نجد، فسافر من مكة إلى عنيزة ثم عاد مرة ثانية إلى مكة وحصل منها على بعض الكتب.

لذلك اجتمعت لديه كتب نفيسة وقد عينه الملك عبدالعزيز في قضاء عنيزة فحمدت سيرته في القضاء إلى أن توفي في عام ١٣٥١هـ وقد خلف ابنه عثمان

وهو طالب علم بل عالم رشحه الشيخ عمر بن سليم للملك عبدالعزيز آل سعود ليكون قاضياً في عنيزة بعد أن ثقل قاضيها آنذاك الشيخ عبدالله بن مانع، ولما اعتذر الشيخ عثمان عن القضاء قال له الشيخ عمر بن سليم: إنه لا يعلم أمثل منه لقضاء عنيزة، وأنه لا ينبغي للملك أن يقبل عذره و لكنه امتنع عن ذلك.

كان والده الشيخ صالح العثمان قد جمع كتباً نفيسة بقيت تحت إشراف ابنه هذا الذي هو الشيخ عثمان حتى توفي عثمان عام ١٣٦٦هـ.

فجاء الخبر إلينا في بريدة بأن كتب القاضي ستباع في بريدة أخبروا الشيخ عبدالله بن حميد وسائر طلبة العلم، وكان الذي تولى بيعها لهم علي بن محمد الخراز الملقب (الظبي).

سألت بعض العقلاء من أسرة القاضي عن سبب بيعها في بريدة، وليس في عنيزة فذكروا أنها تركة فيها حق لورثة الشيخ صالح ولورثة الشيخ عثمان والورثة فيهم المرأة والطفل، وينبغي أن يبحث عن الوسيلة التي يحصلون بها على ثمن أكثر لها، وبريدة يؤمل أن تشتري فيها بأكثر مما تشترى به في عنيزة لأن بريدة كانت ولا تزال أقوى اقتصادياً.

قال لي شيخنا الشيخ عبدالله بن حميد: إن كتب القاضي ستباع في دكان علي الخراز فاشتر لي شخصياً منها ما شئت.

فقلت له: ماذا ترغبون من الكتب؟ فقال: اشتر ما تراه مناسباً لي ، وكنت أعرف الكتب التي يرغب فيها شيخنا.

فسألته عن الحد الأعلى من الريالات التي يريد أن أشتري به الكتب له، فقال: لا حَدَّ لذلك، الأمر راجع لك.

قال: واشتر منها ما تراه لازماً لمكتبة الجامع في حدود كذا ريالاً، لأنها يمكن أن تشتري بها كتباً للمكتبة.

وهكذا حضرت بيع تلك الكتب فيمن يزيد وهو الحراج،: والمناداة على كل كتاب منها في الناس الحاضرين الذين جاءوا من أجل الشراء منها وعددهم كثير، لأن (علي الخراز) ظل وقتاً يخبر الناس بها ثم حدد موعداً لابتداء البيع.

كانت فيها كتب مخطوطة من النوادر اشتريت منها لشيخنا مشكل الآثار للطحاوي نسخة مكتوبة في القرن الرابع الهجري ليس فيها نقط ولا أعجام، والنقط هو النقط التي توضع على الكلمات المعجمة، أما المهملة فهي خالية منها فمثلاً تكتب (عبدالله) بدون نقطة تحتها وهكذا كلها.

وأما الإعجام فهو التشكيل بالحركات كالضمة والفتحة والكسرة.

وسبب إهمال ذلك فيها أن علماءنا الأوائل كانوا لا يستجيزون أن ينسبوا كتاباً لمؤلفه إلاَّ إذا قرؤه على راو أو شيخ لهم رواه عن المؤلف أو عمن سبقه بسند متسلسل، فهم إذاً يعتمدون على سماع الكتاب أكثر مما يعتمدون على قراءته المجردة من ذلك.

وإذا قرئ مثل هذا الكتاب بالسند فكل راوٍ يقرأه كما أراده المؤلف ويعرف بطريق أولى الكلمات التي حقها أن تكون منقوطة والكلمات المهملة.

هذا وقد اشتريت إلى ذلك لشيخنا الشيخ ابن حميد عدداً من المطبوعات النادرة، وكل ذلك بأسعار معتدلة مع أنه رحمه الله لمحبته للكتب لم يطلب مني أن استرخص الكتاب، بل لم يتكلم عن سعره.

واشتريت لنفسي من النوادر كتاب (الجبر والمقابلة) لأستاذ فن الجبر والمقابلة في الهندسة والحساب بل لأبي هذا الفن في اللغة العربية لكونه أول من عرف عنه أنه أحيا هذا الفن وألف فيه وهو محمد بن موسى الخوارزمي الذي توفي في عام ٢٥٠ أي منذ أكثر من ألف ومائة وخمسين سنة.

أما الكتاب هذا فإنه مكتوب في عام ٧٥٠ للهجرة، أي منذ أكثر من ثمانمائة سنة بخط جميل وجميع الرسوم الهندسية فيه مكتوبة بالخط الأحمر، أو قل: إنها مرسومة بالحمرة، وبذلك يكون الكتاب تحفة من تحف القرون الماضية وهو متوسط الحجم شأن المؤلفات المبكرة في العربية في القرن الثاني وأول الثالث.

وقد بقي هذا الكتاب عندي حتى رآه الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح الذي صار بعد ذلك مساعداً لرئيس محاكم القصيم، فأغراني بالدراهم وبالكتب فبعته عليه ولا أدري ما فعل الله به الآن، ولكنني أظن أنه في مكتبته لأنه جماع للكتب حريص على اقتناء النوادر منها.

وقد عهدته إذا أعجبه كتاب ولم يستطع شراءه كتب لنفسه بخطه نسخة منه كما فعل بطبقات الحنابلة لابن رجب قبل أن تطبع إذْ كنت كتبت منها نسخة في مجلدين للشيخ فهد بن عبيد العبدالمحسن لأنه صديقي وبمثابة شيخ لي، وليس ذلك بأجرة فنسخ الشيخ علي بن إبراهيم المشيقح من خطي نسخة منها لمكتبته.

واشتريت من كتب القاضي هذه نسخة من (لسان العرب) لمكتبة الجامع في بريدة لأن المكتبة لم تكن فيها نسخة من (لسان العرب) وهو مطبوع الطبعة الأولى في مصر وهي صحيحة نفيسة بالنسبة إلى الطبعات الأخرى كطبعة لبنان.

كما اشتريت للمكتبة كتباً أخرى مطبوعة مما لا يوجد فيها وأنا أعرف الناس في ذلك الوقت عام ١٣٦٧هـ بمحتويات مكتبة الجامع من الكتب.

بيعت الكتب كلها في بريدة، وبقيت منها دُشُوت- جمع دَشْت- بفتح الدال وإسكان الشين وهو أشبه بالمحفظة من الجلد كان طلبة العلم يجمعون فيه الأوراق المتفرقة التي يقيدون فيها الفوائد أو الرسائل الصغيرة ذات الأوراق المحدودة العدد، ويكون للمحفظة التي توضع فيها الأوراق ثلاثة أزارير أحدها في أعلاها، واثنان في كل جانب منها واحد.

وهي أوراق ثمينة رقم كونها غير مرتبة، ولم يذكر فيها اسم مؤلفها إذ كانت جزأً من رسالة أو كتاب صغير ولم يذكر اسم كاتبها، وقد استفدت منها

في كتاب (معجم بلاد القصيم) وذكرتها باسم (أوراق تاريخية من عنيزة).

وهي أشبه ما تكون بالأوراق التي نشرها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام رحمه الله في (خزانة التواريخ النجدية) باسم (تاريخ الشيخ صالح القاضي) فهو غير مرتبة، وحتى بعضها غير مصحح مع أن طابع الخزانة قد كتب عليها بأنها صححها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام وهو لم يصححها، وظني أن الشيخ عبدالله البسام كان إبان طباعتها قد أصابه المرض فشغله عن تصحيحها، وإلا فإنها لا يمكن أن تكون على ما هي عليه من التحريف لو أنه اطلع عليها، واستطاع أن يصححها، ودليلنا على ذلك أن كتابه الأول (علماء نجد خلال ستة قرون) كان على غاية من الضبط والصحة.

رحم الله الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، وجزاه خيراً على ما قدمه، ورحم الله الشيخ القاضي صالح بن عثمان القاضي على جمعه لتلك الكتب التي استفدنا منها، وإنْ كان ذلك بثمن فمهما كان ثمن الكتاب فإنه أثمن من قيمته المادية.

هذا وقد وجدت الشيخ محمد بن عثمان القاضي قد ذكر تلك الكتب التي بيعت في بريدة في كتابه (روضة الناظرين في مآثر علماء نجد وحوادث السنين) في ترجمة والده الشيخ عثمان بن صالح القاضي، فقال: (ج٢ ص٧٢):

وعنده أي عند والده عثمان مكتبة حافلة بالمطبوعات والمخطوطات الأثرية النفيسة التي لا تتوافر عند كل أحد، ورثها من أبيه، ومن متروكات العلماء

التي كانت توضع عند أبيه، ثم عنده، ثم عندنا غرفتان نسميهما غرفة الكتب الكبرى والصغرى.

وقد سألت الأستاذ محمد بن عثمان القاضي بعد ذلك سؤالاً قصدت منه المعرفة، عما إذا كان يؤكد ما ذكر من أن سبب بيعها في بريدة هو أنها تركة متعلق بها حقوق للورثة فقلت له: لماذا بيعت في بريدة وليست في عنيزة؟

فقال: الذي بعنا منها في بريدة مكررة عندنا نسخة أخرى من كل كتاب منها.

ولم اقتنع بذلك لأنه لا يعقل في تلك الأزمان التي كانت النقود فيها قليلة بأيدي الناس وكان العالم يعتبر نفسه محظوظاً إذا حصل على كتاب صغير أن يشتري العالم من كل كتاب نسختين، لاسيما أن فيها مخطوطات قديمة مثل (مشكل الآثار) للطحاوي الذي كتب قبل ألف سنة، وكتاب الخوارزمي الذي كتب قبل ثمانمائة سنة، والتصوير آنذاك غير معروف، وأقصد تصوير الكتب في نجد.

وحتى الكتب المطبوعة بعضها كلسان العرب كبير لا تشتري منه نسختان.

وسكتُّ على ذلك لأنني أعرف من عادة الأخ الأستاذ محمد القاضي أنه يطلق في مؤلفاته في بعض الأحيان عبارات تحتاج إلى تقييد، هداه الله.

إنتهى.

والمثال الآخر على محبة شيخنا للكتب واقتنائها أننا عندما كنا معه في الحجاز في المهمة التي أمر بها الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وهي أن يذهب شيخنا إلى الحجاز لإنهاء القضايا القديمة المتأخرة في محاكمها وبعضها مضت عليها عشرون سنة، وهي لم تنته وكنت معه ومعي اثنان من المشايخ سموا الهيئة المساعدة له على ذلك حسب أمر الملك عبدالعزيز وسوف يأتي شرح وافٍ لتلك المهمة فأعددت قائمة بأكبر الكتب التي ليست عندنا وأغلاها مثل (تاج العروس، شرح القاموس) وشرح إحياء علوم الدين للزبيدي والمبسوط للسرخسي، والمغني والشرح الكبير وشرح المهذب للنووي، وتهذيب الكمال لابن حجر.

ورغبنا من شيخنا رحمه الله أن يطلب من الملك سعود الأمر بصرف نسخ أربع منها واحدة له وثلاثة لنا نحن الثلاثة وهم كاتبه: محمد العبودي وعبدالله بن سليمان بن حميد وعلي بن عبدالعزيز العجاجي، فكتب الكتاب وأخذه الشيخ علي العجاجي فسلمه لمحمد بن سعيد رئيس ديوان ولي العهد آنذاك وهو الملك سعود فأمر الشيخ السحيمي المسئول عن مستودع الكتب الحكومية في مكة بصرفها إذا كانت موجودة لديهم، أو شرائها إذا لم تكن موجودة فيه.

وقد سأل عنها فوجدها غالية فعرض علينا أن تأخذ ثمنها كما ذكره هو فوافقنا نحن الثلاثة على ذلك، وامتنع شيخنا عن أخذ الثمن، وقال: أنا طلبت كتباً لأنني احتاج الكتب ولست بحاجة إلى نقود.

ومن الأشياء التي كلفني شيخنا عبدالله بن حميد بالقيام بها أنه كانت تجمعت عنده نقود للمكتبة من أولها تبرع قدمه آل مزيني أهل بريدة الذين انتقلوا منها إلى الكويت وصاروا من أثريائها وأظنه ثمانمائة ريال، أو ثلاثة آلاف ريال إضافة إلى فرش المكتبة التي تقدم ذكره وطلب مني الشيخ عبدالله أن أسافر إلى مكة المكرمة واشتري بها كتباً لمكتبة الجامع التي أنا قيمها بمعنى المسئول عنها.

فاشتريت بها بالفعل كتباً جليلة عظيمة من أمهات الكتب في كافة المذاهب ومن غير كتب الفقه وحملتها إلى بريدة مع سيارة نقل خاصة ألفت حمولة لها.

ومن محبة الشيخ عبدالله بن حميد للمعرفة أنني كنت إذا أردت السفر للخارج وودعته قال لي: اكتب، أي ألف كتاباً فيما تراه، فقلت له أكثر من مرة: إن الكتابة سهلة عليَّ وهو يريد أن أكتب كتاباً وأنا أقول له: إن ذلك سهل، ولكن المهم عندي الجدوى، فهل كتابة الكتب مجدية؟ فيقول: نعم، النفوس مجبولة على الاستطلاع وحب الإطلاع، ولا يتيسر لكل الناس أن يسافروا والذين يتيسر لهم السفر لا يتيسر لهم أن يكتبوا، فإذا لم تكتب أنت وأمثالك عن البلاد التي تسافر إليها كيف يطلع المرء على أحوالها؟

أما إذا جئت من السفر وذهبت أسلم عليه، فإنه يسألني عن أحوال تلك البلاد وبخاصة من جهة الديانة ولكنه أيضاً يحرص على الإطلاع على الأحوال العامة فيها.

عدم المجاملة في قول الحق:

شرح أحدهم كتاب المحرر في الفقه فجاء إلى الشيخ عبدالله بن حميد وكان في المسجد الحرام فعرض عليه كتابه وقرأ بعضاً منه ثم قال الشارح للشيخ عبدالله بن حميد سم الكتاب: فاعتذر الشيخ عبدالله عن ذلك، فألح الرجل عليه وقال: لابد أن تسميه بما تعتقد فيه برب هذا البيت، وأشار إلى الكعبة فقال الشيخ عبدالله أكتب: القول الركيك المكرر في إفساد المحرر.

فغضب الرجل وانصرف وهو يدمدم.

والرجل يستحق ما ذكره الشيخ عنه لأنه سأل الشيخ بالله تعالى أن يخبره عن رايه في الكتاب.

اهتمامه بالمصالح العامة للمسلمين:

اهتمامه بالمصالح العامة للناس وما يتعلق بشئونهم عند الحكام وولاة الامور معروف، حدثني شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قال:

قال كان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وهو شيخنا ورئيس القضاة والمفتي الأكبر للمملكة، ركناً شديداً للقضاة يؤيدهم في قضاياهم، ويدافع عنهم إذا أراد أحد من ذوي النفوذ أن يتجرأ عليهم بالقول أو الوقوف أمام تنفيذ أحكام.

وعندما توفي الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في عام ١٣٨٩هـ فكرت في أنه لابد من أن يكون للقضاة سند قوي مثلما كان الشيخ محمد بن إبراهيم سنداً قوياً لهم، وكانت الأموال قد فاضت على الناس وكثرت الخصومات بين الناس حول الأراضي والعقارات التي انتشر بيعها وشراؤها، واستقطاعها من الحكومة ونشبت خصومات حول بعض الأراضي التي يعتبر بعض الناس أنها حكومية ثم يدعي بعض الناس أنها لهم بالوراثة أو وضع اليد منذ سنين.

ذهبت إلى الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله فذكرت له ذلك وقلت: إن القضاة يحتاجون إلى مرجع لهم قوي يستندون عليه، ولذا أرى أن تعينوا أخاكم الأمير بندر بن عبدالعزيز وزيراً للعدل ليكون مرجعاً للقضاة وضامناً لتنفيذ ما يحكمون به، فقال لي الملك فيصل:

يا شيخ عبدالله، لو أنا عينت أخوي بندر (وزيراً للعدل) مع تولي بعض الأمراء وزارات كما تعلم لقال الناس: إن فيصل أخذ هو وإخوانه الوزارات عن الشعب، وصار الشعب لا حظَّ له فيها.

قال شيخنا ثم تبين أن الملك فيصل كان قد فكر في ذلك، إذْ سرعان ما عين الشيخ محمد بن علي الحركان وزيراً للعدل.

أقول أنا مؤلف الكتاب محمد العبودي: اختيار الملك فيصل للشيخ محمد الحركان ليكون وزيراً للعدل كان في محله فهو عادل بالفعل وهو نزيه الكف واللسان ولذلك حمد الناس سيرته في الوزارة وأثنوا عليه حتى خرج منها.

إنتهى.

ومن اهتمام شيخنا ابن حميد بأمور المسلمين حتى في مهاجرهم البعيدة أنه كان يقرأ الجرائد والمجلات التي تهتم بذلك ومنها صحيفة (النذير) التي يصدرها الشبان المسلمون في مصر ومجلة الأزهر، والمجلات الإسلامية الهندية.

هذا إلى جانب الجرائد السعودية وهي قليلة في ذلك الوقت، فكان يقرأ له منها كل الأخبار الداخلية والخارجية ومن أهم الخارجية ما يتعلق بالإخوة المسلمين في العالم.

وكان يسألني عن الأخبار كلما التقينا يريد بذلك ما سمعته من أخبار العالم عامة، وأخبار المسلمين بصفة خاصة، وكان يخصني بذلك على اعتبار

أنني متابع لذلك وأن لديَّ مذياعاً أخفيه في بيتي وكذلك كنت أقرأ طائفة من الصحف والمجلات الخارجية.

وكان الشيخ عبدالله بن حميد يعلِّق على ما يقرأ عليه في بعض الكتب حتى ما يحتمل الأمر التعليق عليه على التراخي.

أذكر من ذلك أن صديقنا الشيخ علي بن عبدالعزيز العجاجي رحمه الله كان يقرأ على الشيخ عبدالله بن حميد في المسجد الجامع قبل أذان العشاء بقليل، ومرة أو أكثر من مرة كان يقرأ ما نقله ابن الأثير في الكامل عن أسباب حرب داحس والغبراء، وما أثارته بعض المواقف في نفوس تلك الشخصيات التاريخية من العرب، فتعجب الشيخ من أن تتسبب مثل تلك العبارات والكلمات في الحروب التي استمرت سنوات طوالاً، ولم يملك نفسه أن قال بصوت منخفض:

وش ها العقول؟

أي ما هذه العقول الناقصة التي أوحت بهذا؟

وكذلك عندما جاء الحديث عن أسباب حرب البسوس وأنها بسبب نعجة من النعاج قال أيضاً:

ما هذه العقول؟

ولا شك في أنه يصدر في ذلك عن سعة عقله، وقدرته على التصرف في الأشياء المهمة بمقتضى السياسة والتدبير وليس بالعواطف التي تجعل من

الأشياء التافهة أو الكلمات التي تلقى في الهواء سبباً للحروب والاضطرابات والخسائر الجسيمة.

وكان يهتم بما يكتب في الصحف عن الأمور الدينية والأمور العامة، ويقول: الصحف يقرأها كثير من الناس على اختلاف مشاربهم، لذلك تجب العناية بما ينشر فيها.

وهذا ما وجدته في مذكراتي متعلقاً بهذا الموضوع:

يوم الثلاثاء ١٩ شعبان عام ١٣٧١هـ- ١٣ مايو عام ١٩٥٢م:

التشجيع:

لا شيء كالتشجيع لكن للمحتاج إليه.

هنالك من الناس أناس قد عجن في طينتهم التواضع، أو قل ضعف الثقة بالنفس، فهم يحتاجون إلى من يشعرهم بأنهم ليسوا كذلك، وليست نفوسهم ضعيفة وليسوا بالذين ينبغي أن يظنوا في أنفسهم ذلك.

وهناك أناس ذووا نفوس كبيرة وهمم عالية لا يرضيهم من أنفسهم القليل، ولا يقنعون بالشيء المتواضع، فهم لا يعجبون بأنفسهم ولا يحفلون بما يصدر عنها لا لأنهم قد منوا بمركب النقص أو النظر إلى النفس بمنظار الاحتقار والازدراء، ولكن لأنهم يحتقرون الأشياء عامة ويعتقدون بحقارتها، ولو كانت قد تواضع الناس على احترامها وتعظيمها، ولا يخرج من هذه الأشياء نفوسهم ولا ما يصدر من نفوسهم.

أنا لا أدري من أي هذه الأصناف أكون، ولكنني في مرة من المرات في الأيام القريبة الماضية جرى البحث بيني وبين فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة في وجوب الكتابة في الصحف والمجلات في المواضيع الدينية بلغة سهلة موجزة حيث يقتضي الإيجاز، ومبسطة حيث يقتضي التبسيط ومبسوطة حيث يقتضي البسط، وإن الواجب إنما يقع على عاتق الأدباء الذين يعرفون كيف يكتبون، بل وعلى العلماء، وإن كان ينقصهم

بعض أسباب ذلك ووسائله، كالإنشاء الراقي والإطلاع على العلوم العصرية وغير ذلك.

وإن الواجب أيضاً أن يبين للناس سبيل الدين الصحيح، ويستبعد من الدين كل ما هو ضار به، وضار بالمسلمين، من تلك الأشياء الدخيلة على الدين والتي ألصقت به في العصور الحديثة والدين منها براء، ومن هذا البحث تطرق الحديث إلى أن قال فضيلة الشيخ:

إن من الواجب على أمثالك أن يفعلوا ذلك، ثم بعد حديث طويل قلت لفضيلته: إنني قد كتبت مقالة في نحو ذلك الموضوع، وموضوعها في كرامات الصوفية التي اغتر بها بعض الناس حتى أدخلوا فيها ما ليس منها وما ليس من الإسلام في شيء، ولكنني لم أنشرها، ولم أنو أن أنشرها الآن، أولاً لأنها مقالة قد يساءُ فهم القصد منها والداعي إلى كتابتها، وثانياً لأنها تحتاج إلى مراجعة وتحرير وإن فضيلتكم لهو أول من يجب أن تعرض عليه تلك المقالة، حتى يرى رأيه فيها ويصدر حكمه فيها، إنْ في صالحها وإنْ عكس ذلك، وهو في صالحها على كل حال.

فقال فضيلته: إن هذا هو الواجب وأن الرأي مشترك ولا بأس بعرضها.

وذهبت اليوم بعد أن صليت الظهر إلى فضيلته في بيته وقرأت عليه تلك المقالة، فأثنى عليها ثناءً عاطراً، وقال: الواقع أنني حتى الآن قبل أن تقرأها بقليل لم اكتشفك، لم أكن أعلم أنك كذلك والعهدة في ذلك إنما تقع عليك أنت.

فأنت الذي قد صمتَ كل هذه المدة وكان الواجب عليك أن لا تفعل ذلك، فقلت له: إنني لم أفعل ذلك لم أصمت إلا لمعرفتي بمنزلة نفسي، وإنني لا أصلح الآن إلا للصمت، ولكن تشجيعكم وحسن ظنكم هو الذي حملني على أن أقرأ عليكم تلك المقالة وأطلب رأي فضيلتكم فيها، لاسيما وهي مقالة دينية.

هذا ولقد أثر عليَّ تشجيع فضيلته.

فيا هل ترى من أي الأصناف أنا؟

الشوارع في الرياض:

دخل على فضيلة الشيخ بعد ذلك أحد رجال بريدة، وكان قد وصل من الرياض اليوم، وكان رجلاً منقباً.

ولقد فرحت بقدومه لأنه سوف يتحدث عن أشياء لا يتسير لي الإطلاع عليها عند غيره.

ذلك لأن أخبار الرياض إنما ترد إلى بريدة مشوهة محرفة كأنها إنما ترد عن هارون الرشيد وعن بغداد في عهد هارون الرشيد، لأنه لا يوجد في الرياض صحيفة يمكن الاعتماد عليها، ولا يوجد نشرات أخبار ولا يوجد مراسلون في الرياض للصحف، وفضلاً عن ذلك فالرياض لا تسمح بأن ينشر عنها مثل تلك الأخبار في الصحف لا في الصحف الداخلية ولا في الصحف الخارجية.

قال فضيلة الشيخ سائلاً ذلك الرجل الذي قدم من الرياض: وماذا فعلت شوارع الرياض التي قالوا إنها سوف تنشأ فيه؟

فأجاب الرجل بأنهم قد عدلوا عن إنشائها، ولذلك انخفضت قيمة الأراضي والبيوت في الرياض إلى أكثر من ٤٠٪ من ثمنها عندما أشيع أن تلك الشوارع قد تشق فيها.

أما تلك الشوارع فهي عبارة عن شارعين رئيسين أحدهما يشق الرياض من الشمال إلى الجنوب والآخر من الشرق إلى الغرب، إذ يصبح الشارعان عبارة عن أربعة شوارع.

فقال فضيلته: وهل تأكدتم الآن أن ذلك سوف يحدث فعلاً، أي إنه سوف يؤجل أو يلغى مشروع الشوارع؟ فقال: هكذا يشاع وكذلك كل مشاريع الرياض وشؤون الرياض ليس إلا إشاعات قد يكون لمن يشيعها مصلحة خاصة، فيفعل ذلك، وقد تكون مصلحة بعض الكبراء في عدم الإشاعة في السكوت فيفعل ذلك، ولا أحد يعتمد عليه يوقف الأمر عند حده.

لقد تضرر كثير من الناس من جراء تلك المسئلة لأن هناك عدداً كبيراً من الناس اشتروا أراضي كثيرة على أمل أن تشق الشوارع فتستهلك ما يقرب من ثلاثة آلاف بيت لابد وأن يؤثر ذلك في أقيام البيوت، ولكن تلك الإشاعة الأخيرة بأنه قد عدل عن ذلك المشروع قد سببت هبوط أسعار البيوت ومن ثم انهيار مالية بعض التجار انهياراً كبيراً، ولا تزال الدعاوى تقام الآن في محكمة الرياض.

ثم تحدث عن المعهد العلمي في الرياض، فقال:

إن بريدة بحاجة إلى مثل المعهد العلمي في الرياض، ذلك المعهد الذي يتوفر فيه التعليم الصالح المنتج مع التشجيع المادي الذي لا يوجد له مثيل في غيره من المعاهد، فهو يعطي للطالب مكافأة مالية تزيد على راتب الموظف المدرس بالمعارف في المدارس الابتدائية، إذْ أن راتب المدرس يبلغ مائتين وسبعة ريالات، وراتب ذلك الطالب أي المكافأة الممنوحة له قدرها مائتان وسبعة وستون ريالاً، الأمر الذي حدا بكثير من المدرسين الحكوميين في الرياض إلى ترك وظائفهم والالتحاق بهذا المعهد.

وليس يكلف حصول هذا المعهد في بريدة أكثر من أن يجتمع من في أيديهم- عن طريق الوراثة- الحل والعقد فيها ويكتبوا بذلك مذكرة إلى ولي العهد تتضمن طلبهم لفتح ذلك المعهد، ولكنهم لم يفعلوا، ونرجو أن يفعلوا ذلك قريباً.

يوم الاثنين ٢٥ شعبان عام ١٣٧١هـ- ١٩ مايو عام ١٩٥٢م:

حول رحلتي إلى الرياض:

كان لدي عزم على السفر إلى الرياض قبل حلول العطلة، وذلك للسعي لإدخال أخوي سليمان وعبدالكريم في المعهد العلمي بالرياض، وهو معهد ثانوي.

ولكنني ذهبت اليوم إلى فضيلة شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة أذكر له ذلك وأطلب منه أن يتكرم بإعطائي تقريراً عن أخي سليمان الذي يطلب العلم على فضيلته ليكون ذلك بمثابة شهادة تخوله دخول المعهد بعد عرضه على فضيلة مدير المعهد، فقال لي فضيلته: وهل لك حاجة في الرياض غير هذه الحاجة؟ فقلت: لا، إلا حاجة بسيطة.

فقال: إنني أرى لك أن لا تذهب إلى الرياض، فشهر رمضان ليس منك ببعيد، وما ذكرت من غرضك الرئيسي من ذهابك إلى الرياض يمكن تأمينه بدون سفرك، إننا نكتب كتاباً ضافياً خاصاً منا لمدير المعهد بإدخال أخويك في المعهد.

فشكرت فضيلته وقلت له: ولكنني أرى أن هذه فرصة لخلع ضرسي الذي يؤلمني، وهذا ما يجعلني أحرص على السفر إلى الرياض.

قال: وإذا عزمت فإنه قد وصل اليوم كما تعلم الشيخ صالح الخريصي من مكة، نقلته سيارة للشركة العربية للسيارات، وقد أمر على تلك السيارة

الصغيرة أن تسافر غداً إلى (البكيرية) لتقل قاضيها الذي استدعي إلى الرياض، وإنني سوف أكلم قاضي البكيرية في أن تكون بصحبته على تلك السيارة الصغيرة المريحة.

فشكرت فضيلته أيضاً وقلت له: إنني سوف أنتظر.

حديث في الإذاعة السعودية:

كانت الإذاعة السعودية قد رغبت إليَّ في أن أتحدث من الإذاعة عن شيخي الشيخ عبدالله بن حميد، فذكرت ما يلي:

١. كثرة إطلاعه على الأمور المهمة سواء منها ما هو ديني أو سياسي أو اجتماعي.

٢. حرصه على البحث وتجديده عن طريق الدرس وبطلب المراجع في حلقة الدرس لئلا يفوت الحاضرين.

٣. بصيرته وعدم استطاعة المبطلين من الخصوم التلبيس عليه والتأثير على أحكامه.

٤. هو باقٍ في أذهان تلامذته وتلامذتهم وفي الصكوك والأوراق والوثائق وهي كثيرة بحيث لو جمعت أحكامه لكانت مجلدات وحبذا لو جمعت مع العلم بأن بعضها وبخاصة في القديم لم يدون.

٥. جديرٌ بأن تؤلف في سيرته المؤلفات، وقد عزمت على الإسهام في ذلك بتأليف كتاب يتضمن ما أعرفه عنه.

٦. ورعه في نسبه إذْ يقول الناس: إنه من آل حميد أمراء الأحساء ومن بني خالد ولكنه لا يذكر ذلك فضلاً عن أن يتبجح به.

٧. يُشَجع الأذكياء النابهين من الطلبة وأذكر أن أحد الطلبة تمكن من معرفة

مسألة عويصة في النحو فقال له الشيخ أمام الطلبة والمستمعين للدرس: أنت ذكي يا فلان، لأن الذي يجيد النحو هو ذكي.

٨. معرفته العجيبة بالناس ولو مضت على آخر محادثة له معهم سنون.

٩. محبته للإطلاع إلى درجة أنه كانت تقرأ عليه الجرائد ويناقش فيها في وقت كان أكثر طلبة العلم فيه يعيبون على من يزعمون أنه يضيع وقته في الإطلاع على الجرائد.

١٠. معروف بتوجيه رسائل النصح ولفت النظر إلى أولياء الأمر كل ما اقتضت المصلحة ذلك، ولدى أسرته إجابات من الملك عبدالعزيز ومن بعده من أبنائه الملوك على تلك الرسائل وأمثالها.

١١. تربية طلاب العلم الذين يدرسون عليه تربية كاملة لا تقتصر على تحصيل المعلومات، وإنما تشمل ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم في كل حالاته وسلوكه، وقد انتفعت من ذلك كثيراً، جزاه الله عني خيراً.

١٢. أخذه بالحكمة التي هي قاعدة أصولية تقول: إن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، فهو لا يقرر مبدأ جامداً وإنما يتبع ما فيه المصلحة العامة داخل نطاق الأوامر الشرعية، وذلك في أحكامه وعلاقته بالناس.

أنتهى.

وقد نشر الأستاذ عبدالله بن سالم الحميد تلك الحلقة من البرنامج التي

هي عن شيخنا عبدالله بن حميد في جريدة الجزيرة في العدد الصادر في يوم ٩ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٥/١٠/٢٢٠١م.

وهذا نص كلامه:

تستيقظ الذاكرة على أصوات نابضة في آفاق الوجود كان لحضورها نكهة وبُعدٌ وإضافة، وفي غيابها تتشكل أطياف ذلك الحضور الأثير.

قسمات وبصمات وشواهد تبقى في صفحات الوجدان وأنسجة الذاكرة تستدعي وتستقطب الحضور.

العلماء، الحكماء، المفكرون يغرسون شجر الوفاء والعطاء فتظل ثماره يانعة يجني قطافها الآخرون، ويشكل حضورهم في الحياة إضاءات مشرقة تسهم في تنمية الوعي والمعرفة والإصلاح والبناء. قال رسول الله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

وفي حضرة العلماء تتألق تجليات الحكمة والعلم والوفاء والوقار مسكونة بالنبل والإيثار والإتقان متوزعة في حركة متجددة دائبة لخدمة العلم والتنمية والأخلاق والارتقاء باهتمامات الناس إلى ما يحقق مصالحهم ويرتقي بتوجهاتهم. عَلَمٌ من أعلام الفقه والفتوى والقضاء.

نبغ في العلوم الشرعية، وتفقّه في الدين لدى نخبة من علماء الشريعة والفقهاء في عصره حتى تأهل وبرز فيها.

تولى التدريس في المسجد الحرام، وتولى رئاسة الإشراف الديني بالحرم المكي الشريف.

اشترك في عدد من اللقاءات والندوات الإسلامية.

وتدرج في مناصب القضاء حتى وصل إلى منصب رئيس المجلس الأعلى للقضاء. إنه العلامة الفذ فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

ولإلقاء الضوء على شخصية الشيخ عبدالله بن حميد يتحدث الشيخ إسماعيل بن عتيق:

«الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد العالم العلامة البحر المتلاطم حبر الجيل وعالم التأويل، أخذت بمشورة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي وتوجهت إلى بريدة قاصداً الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وكان إذ ذاك رئيس محكمة بريدة وما يتبعها من القرى عدا مدينة عنيزة.

استقبلني الشيخ عبدالله استقبال الأستاذ لأبنائه وتلاميذه وشجعني على البقاء في بريدة والانتظام في سلك الدراسة في معهدها العلمي مع ملازمة دروس المساجد في الفجر والمساء.

وكان ما كان من قدرة الله وتدبيره أن أمضيت في القصيم ثلاث سنوات من ١٣٧٦ هـ إلى ١٣٧٩ هـ وكان من أبرز مشايخي فيها عالمنا الجليل الشيخ عبدالله فقد رتبت عليه بعد صلاة الفجر مع جملة من الاخوان متن الاجرومية، ثم يليها ملحة الإعراب، وبعد الانتهاء منها متن القطر ثم بدأنا بالألفية لكنني

لم أكملها معهم كما كنا نقرأ عليه بعد الفجر كتاباً في العقيدة وقد أنهينا عقيدة السفاريني كما أنهينا عليه متن الطحاوية ثم العقيدة الواسطية.

أما بعد المغرب فندرس «الفرائض» وهو مستمر في كل ليلة بعد كل مغرب، كما قرأت عليه من الكتب شرح مسائل الجاهلية للإمام الألوسي، المتن لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب واشتركت في قراءة متن زاد المستقنع حفظاً مع قراءة شرحه الروض المربع وذلك في ضحى كل يوم في الأشهر التي تغلق فيها المعاهد. كنت أبقى في بريدة زمن التعطيل والاجازة الصيفية مرابطاً وملازماً للعلماء فيها.

أما وصف شيخنا فلا يلم بتبيانه البيان وهو العالم الأجل العبقري، لم تشهد الجزيرة إلا النادر من أمثاله في ذكائه ونبوغه وفطنته وفهمه.

كان رحمه الله يداعب تلاميذه ومحبيه وقد يتنازل في تعبيره إلى أقل المستويات للتفهيم وإيضاح المراد. من مداعبته رحمه الله أن قال لشيخ كبير السن وهو يحمل سراجاً في صلاة العشاء والفجر لإنارة طريقه قال له: لو حملت معك بدلاً من السراج كشاف البطارية اليدوي، فرد عليه:

لا أريده لأنني لا أحبه، ان الشباب يحملونه اما أنا فأحب سراجي. فقال الشيخ: هذا السراج من النار والقاز وربما يقترب من ثوبك فيحرقه وفي المسجد إن وضعته أمامك مكروه وإن وضعته خلفك لعب فيه الأطفال وربما اطفؤوه أما هذه البطارية فيمكنك أن تضعها في جيبك عند دخولك المسجد وعند الخروج

تضيء لك الطريق، ومع هذا فإن الشيخ العجور لم يقتنع بهذا الايضاح والتبيين لمصلحة الإضاءة بالبطارية.

بقي رحمه الله في القصيم قرابة ١٨ عاماً تخرج على يده خلالها الكثير من الطلبة البارزين وكان جل أوقاته في التدريس في المسجد والمكتبة بعد الفجر، وبعد الظهر وبعد المغرب وفي الضحى بعد أن ترك القضاء. عليه من الله شآبيب الرحمة والمغفرة والرضوان جزاه الله عنا أحسن الجزاء».

أما الأديب محمد بن ناصر العبودي، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي فيتحدث عن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله من خلال مرافقته له في العمل وفي رحلة الحياة.

«يعتبر شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله وجزاه عنا خيرا من العلماء الأفذاذ المعروفين في المملكة العربية السعودية وقد تميز رحمه الله بميزات عديدة:

أولها وأهمها حرصه على تكثيف ثقافة علمية واسعة، فلم يكن يقتصر في التدريس على الفنون التي كان العلماء في ذلك الوقت يقتصرون عليها مثل علم الفقه والعقيدة فقط بل كان يجعلهم يتبحرون في دراسة هذه العلوم ولكنه إلى ذلك يعلمهم أيضاً النحو والصرف والفرائض وحتى العروض، كان رحمه الله يحب أن يبحث فيه وأن يتعلم طلابه هذا العلم الذي يعتبر نادراً في ذلك الوقت.

وكانت له طريقة خاصة في البحث، وذلك أنه أول شخص أعرفه من العلماء الكبار كان يحرص على أن يحضر المرجع العلمي الذي يتناول المسألة التي تبحث، يحضره في حلقة الدروس ويمرن به الطلبة على استخراج المسألة من المرجع الذي أحضره.

كانت دروسه على وجه الإجمال في الجامع الكبير في بريدة وكانت في الجامع مكتبة لا بأس بالعدد الذي فيها من الكتب النفيسة، ولكن العدد ليس كبيراً بمستوى ما تعارفنا عليه الآن فكان يطلب إحضار المرجع من المكتبة إلى حلقة الدروس ويبحث أمام الطلبة هذه المسألة ويربيهم على استخراج المسائل من المراجع. ولذلك تعلمنا عليه كيفية البحث وكيفية عدم ارجاء الموضوع الذي يستحق البحث إلى زمن لاحق لأنه كثيرا ما يتأخر البحث، وربما تفوت الفائدة منه إذا تأخر البحث فيه.

كان رحمه الله يشجع النابهين من الطلاب وكان يعلن ذلك لهم وللناس. أذكر أن أحد الطلبة من الذين كانوا يدرسون عليه، وكنا ندرس معهم مع ذلك الشخص كنا ندرس ألفية ابن مالك فعرضت في الدرس مسألة عويصة تحتاج إلى بحث فالشيخ رحمه الله طلب من أحد الطلبة أن يبحث هذه المسألة بمعنى أن يبين للشيخ كيف نحل هذه المسألة وكيف نهتدي إلى الصواب فيها، فعجز واحد، وطالب آخر لم يستطع أن يعرف المسألة والشيخ كان يكلمهم واحداً واحداً فالثالث حلها بسهولة وبوضوح وقال له الشيخ أمام الطلبة أنت ذكي يا فلان لأن النحو يحتاج إلى ذكاء ولا نعرف شخصاً متميزاً في النحو إلا وهو ذكي».

ويضيف تلميذه الشيخ محمد بن ناصر العبودي:

«مما أعرفه عن شيخنا الجليل جزاه الله عنا خيراً معرفته معرفة عجيبة بالناس ولو مضت على آخر محادثة له معهم سنون.

أذكر أني حضرت عنده في عيد الفطر فكان الناس من أهل بريدة وما حولها يزدحمون على بابه للسلام عليه، وكل من سلم عليه رد عليه ويقول: كيف حالك يا فلان. علماً بأن بصره لا يساعده على ذلك ولكن بصيرته كانت مفتوحة وذاكرته كانت قوية.

ثم من مزايا شيخنا رحمه الله، أنه يربي طلبة العلم الذين يدرسون عليه تربية كاملة، أو تستطيع أن تقول إنها كاملة بمعنى أنها لا تقتصر على تحصيل المعلومات. فقد كان بعض العلماء قبل وقته يقيسون العلم والتعليم بالمعلومات فقط، ولكنه رحمه الله كان لا يقتصر على ذلك، وإنما كانت عنايته بطلبته تشمل ما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم في حالاته وسلوكه وفي معاملته للناس، وأذكر أنه كان رحمه الله يرشدني حتى إلى طريقة الحديث مع الناس، بمعنى أن الإنسان إذا كان في مجلس علم ينبغي أن يتحدث، ليس كما يتحدث إذا كان في مجلس عوام، أو كان في مجلس ليس فيه كلفة إلى أخره.

ومن مزايا شيخنا الجليل رحمه الله وجزاه عنا خيراً أخذه بالحكمة التي هي قاعدة أصولية وتقول: إن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً فكثير من العلماء يأخذون بالشيء أخذاً حرفياً، بمعنى أنهم يعتقدون أن المصلحة في

الأخذ بذلك الشيء دون النظر إلى الظروف المحيطة به، وهذه الظروف مثل ما ورد عن بعض العلماء وهذه قاعدة أصولية ثابتة وهو أن دفع المضار مقدم على جلب المصالح، بمعنى أننا إذا كان رأينا أمراً ما يتعلق بتحصيل مصلحة ولكن يترتب عليه مفسدة أكبر من تحصيل المصلحة فإننا نتركه لهذا السبب».

وكان فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد يتمتع بذاكرة واعية في الحفظ والاستيعاب والدقة، وكان يتصدر للفتوى بعد الانتهاء من إلقاء دروسه الفقهية في المسجد الحرام ويجيب على تساؤلات طلبة العلم والمستمعين مورداً الأدلة والتفصيلات والأمثلة المقنعة.

وكان فضيلته رحمه الله أحد العلماء المهمين في الفتوى والإجابة على أسئلة المستمعين في البرنامج الإذاعي «نور على الدرب» وكانت له طريقته الحكيمة وأسلوبه المميز في الإجابة حيث يعيد اسم السائل وسؤاله ثم يجيب على السؤال مع بيان الدليل.

أنموذج:

يقول في إحدى إجاباته على أحد المستمعين:

«يا أخ محمد عيضه النجراني من مكة: تقول: ماهي حدود السترة؟ المصلي إذا قدم أمامه شيئاً يعتقد أنه سترة فإن ذلك كاف، حتى لو وضع خيطاً أمامه على أنه سترة له أو وضع نعليه على أنها سترة له أو عصا أنها سترة له، كل ذلك لابأس به وكاف في السترة إلا أن الأولى أن تدنو إلى الجدار أو إلى سارية من سواري المسجد تكون سترة لك، هذا هو الأولى، وقد جاء في الحديث أن النبي صلي الله عليه وسلم، قال:

«ليستتر أحدكم ولو بسهم» وفي الحديث «ولو بمثل مؤخرة الرحل» وقدرها العلماء بمقدار نحو ثلث ذراع».

في كتابه بعنوان «قادة الفكر الإسلامي» تناول الأستاذ عبدالله بن سعد الرويشد نماذج من العلماء والفقهاء منهم الشيخ عبدالله بن حميد فقال عنه:

«تولى الشيخ ابن حميد عدة مناصب دينية على جانب كبير من الأهمية ففي شهر المحرم من عام ١٣٥٧هـ عينه الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وأجزل مثوبته قاضياً في الرياض، ثم اختاره جلالة الملك عبدالعزيز في عام ١٣٦٠هـ ليكون قاضياً بمقاطعة سدير، ثم في عام ١٣٦٣هـ نقل إلى قضاء مقاطعة القصيم واستمر بها حتى طلب الإعفاء من منصب القضاء والإحالة

إلى التقاعد في آخر عام ١٣٧٧هـ وكان قد انتدبه عام ١٣٧٢هـ جلالة الملك عبدالعزيز للنظر في بعض القضايا المتخلفة في كل من المحكمة الكبرى بمكة المكرمة والطائف وجدة والمدينة المنورة».

أعمال الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله ومسؤوليته في القضاء والدعوة والإفتاء لم تمكنه من التفرغ للتأليف، لذلك لم يصدر له غير مجموعة من الرسائل الفقهية القصيرة منها «هداية الناسك إلى أهم المناسك» وتحقيقه ومراجعته لكتاب «المجموعة العلمية السعودية» عن درر علماء السلف الصالح الذي يتناول مجموعة تضم جملة من عقائد السلف الصالح ألفها عدد من أهل التحقيق والتدقيق من علماء السلف منهم الإمام محمد بن جرير الطبري، والطحاوي والإمام أحمد بن تيمية.

والأستاذ الدكتور ناصر بن سعد الرشيد أحد العارفين للشيخ ابن حميد من حيث التجربة والتعامل الأكاديمي. يقول عن هذا الجانب وعن دروس سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في الإتقان المتمكن:

«إن للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله تعالى شأنه في ذلك شأن كثير من علمائنا الأفاضل وعلى رأسهم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى ، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، قبولاً لا يدانيه قبول لما عرف عنه من علم وفلاح ومناصرة للحق ومجاهدة للباطل والبدعة.

لا أريد أن أعدد جوانب الشيخ فهي كثيرة بيد أني سأذكر بإيجاز اثنتين من

هذه الذكريات التي لا تزال عالقة بذهني ومنها:

أولاً: تعمقت صلة الشيخ عبدالله رحمه الله تعالى بكلية الشريعة بمكة المكرمة في الفترة التي كنت واحداً من أساتذتها واتضحت هذه الصلة بدعوة الكلية للشيخ رحمه الله أن يكون مناقشاً خارجياً للرسائل العلمية لمادة الفقه وكنا نتعجب لمنهج الشيخ في المناقشة ودقته وحرصه على انضباط العبارة وأسرها. وهو لم يتعلم هذه المناهج في أي جامعة لكنه الفقه بمعنييه العلمي والفهم الذي كان يتحلى به الشيخ، وقد لا يعرف كثير من الناس أن الشيخ رحمه الله كان أحد المناقشين لأول رسالة دكتوراه تمنح في المملكة العربية السعودية في كلية الشريعة بمكة المكرمة.

ثانياً: عندما زرته في آخر أيامه في مستشفي القوات المسلحة في الهدا بالطائف وقد بدا رحمه الله شاحباً ناحلاً ضعيف الجسم والحركة، فكان أول ما سألني: ما أخبار تهذيب الآثار «وكان هذا الكتاب الضخم لابن جرير الطبري وكان قد أسند إليّ من قبل الشيخ مهمة تحقيقه بعد أن تبناه مجلس القضاء برئاسته رحمه الله تعالى فلما طمأنته بأن العمل في هذا الكتاب يسير على ما يرام سُرّي عنه وذكرني هذا السؤال من الشيخ بموقف البيروني وهو يحتضر حينما سأل أحد عائديه عن مسألة رياضية فقال له العائد: أتسأل عن هذه المسألة وأنت في هذه الحالة، وماذا ينفعك العلم بها؟ فأجابه البيروني: لأن أخرج من هذه الدنيا عالماً بها خير من أن أخرج جاهلاً بها.

ولقد هزني نبأ وفاته وصلينا عليه في مكة المكرمة في يوم قائظ شديد الحرارة ورثيته بهذه القصيدة:

ما عليكن ياذوات الحجال ... أن تذرفن الدموع في إجلال
أو فكفكفن من دموع العذارى ... ثم دعن البكاء للأطفال
فبكاء الرجال في محكم الخطب ... حريٌ به ماقي الرجال
رحل الشيخ بعد طول جهاد ... أتعب الخيل والعدا في القتال
فقده لا أرى فيه فقد فرد ... انه فقد أمة في النضال
إن فقد الشيوخ منا لرزء ... ليس فقد الرعاع والأذيال
كان في الحفظ والذكاء فريدا ... وهو في الفقه مضرب الأمثال
كان يفتي بما يراه اتباعا ... بفعال الرسول في كل حال
وإذا ما دعاة سوء أتونا ... بنعيق الضلال والضلال
قام يدعو لله في السر والجهر ... قوياً بلومهم، لا يبالي
لا يداري بعلمه أو يماري ... نصرة الحق قصده لا التعالي
أنت فينا البصير في ظلم الشك ... ونعم الخبير في الأهوال
نحن عُمْيٌ كم قدتنا بأمان ... لصُوى النبع بارداً كالزلال
وإذا ما الهجير ألهب في النفس ... سموماً أخذتنا للظلال
سوف أرثيك أيها الشيخ جهدي ... ورثاء الشيوخ للأجيال
سوف أرثي بك العلوم جميعاً ... أنت منها الدُرُ أنت منها العوالي
موتة الشيخ ثغرة في حمانا ... وحما الدين والدُنا والمعالي
نحن في عالم يموج سعيراً ... وظلام الشكوك مثل الجبال
فهنيئاً بشدك الرحل عنا ... سوف نعيا غداً بشد الرحال

ثم قال الأستاذ عبدالله بن سالم الحميد:

الخاتمة

ونختم قراءتنا لشخصية الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله بشهادة الشيخ محمد بن ناصر العبودي ولفتته المهمة عنه، التي يقول فيها:

«الشيخ رحمه الله من الشخصيات النادرة الباقية في الذاكرة، ولكن الذاكرة كثيراً ما تُستر أو تتيه في بعض الأحيان بفعل المعلومات الجديدة التي ترد على الذاكرة فتؤثر على الأشياء الموجودة فيها، إنما الشيخ رحمه الله باقٍ في ذاكرة تلامذته، وهو باق أيضاً في الصكوك والأوراق والوثائق التي خلّفها، وهي كثيرة بحيث لو جمعت لكانت مجلدات، وطال ما راودتني فكرة القادرين على جمعها بأن يجمعوها حتى يستفيد منها القضاة ويستفيد الباحثون من الناحية العلمية ومن الناحية اللغوية والاجتماعية، لأنها تبين كيف يتعامل الناس وكيف كانوا يتخاطبون، ومزايا شيخنا رحمه الله وصفاته عديدة، وأعتقد أنه يجب أن تؤلف في سيرته المؤلفات، وقد عزمت مع اعترافي بالضعف على تأليف كتاب يضمن ما أعرفه عنه وربما يسمّى «الشيخ عبدالله بن حميد كما عرفته».

ونأمل أن يصدر كتاب الشيخ محمد العبودي قريباً لتسليط الأضواء على جوانب لم نعرفها عن ابن حميد رحمه الله.

إنتهى كلامه.

ونشرت جريدة عكاظ هذه الكلمة لي عن شيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله في عددها الصادر في يوم الأحد الرابع من ربيع الاول عام ١٤٢٧هـ الموافق ٢/٤/٢٠٠٦م:

العبودي: كان يتحرى الحق في الخصومات ويناقش الشهود

في أوثق الشهادات عن الشخ عبدالله بن حميد، علمه وعدله وخدمته لطلبة العلم، يروي الدكتور محمد بن ناصر العبودي الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي (عرفت شخينا الجليل عبدالله بن محمد بن حميد عندما عينه الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله قاضياً في بريدة وما يتبعها من القصيم وذلك في آخر عام ١٣٦٣هـ وقد رتب جلسات علمية يدرس فيها الطلبة عليه على نظام الحلقات منها درسان بعد صلاة الفجر وجلسة موسعة بعد طلوع الشمس ومثلها بعد الظهر ومثلها بعد المغرب وكانت طريقته في التدريس تشبه الطريقة الحديثة أو أكثر إفادة منها، لأنه يعتمد على مناقشة الطلاب ويأمر بإحضار المرجع أو المراجع من الكتب من مكتبة الجامع، وهذا تمرين للطلاب على الرجوع للكتب والمراجع العلمية، وبدأت الدراسة عليه عند ابتداء جلوسه للتدريس في أول عام ١٣٦٤هـ، و كانت دروسي عليه بعد الفجر وبعد المغرب وفي الضحى إلى جانب الجلسات الكثيرة غير محصورة العدد في بيته لأنه كان يأمرني بقراءة الكثير من الكتب عليه سواء منها ما يتعلق بالدروس التي يجلس فيها للتدريس أو لغيرها.

وتتجلى غزارة علم الشيخ عبدالله أنه كان يلقي الدروس عن ظهر قلب، وكان يجيب على المشكلات العلمية فوراً ومن دون الرجوع إلى الكتب كما كان

الناس يستفتون استفتاء مباشراً فيجيبهم على ذلك جواباً مباشراً ولذلك نفع الله بعلمه فتخرج على يديه عدد كبير من الطلبة بعضهم تولى القضاء وبعضهم شغل مناصب أخرى، ولو كان (رحمه الله) يعطي إجازات علمية للمحصلين من الطلبة لأتضح حجم ذلك، ولكن لم يكن هو والعلماء في عصره يمنحون مثل تلك الإجازات العلمية المكتوبة كما هو معروف الآن، وإنما ان يظهر تأهيلهم لطلبة العلم عن طريق تزكيته لهم لتولي المناصب المهمة.

والمواقف كثيرة، وأذكر منها: أنه عندما صدر الأمر السامي بأن يختار الشيخ عبدالله معه ثلاثة من طلبة العلم للبت في قضايا قديمة بالمنطقة الغربية اختار الشيخ أن أكون أحدهم فكان يتحرى الحق في الخسومات والعدل بين الخصوم ويناقش الذين يشهدون بشهادات غير صحيحة حتى يبطلها.

ومن مواقفه الجليلة أنه كتب إلى الملك عبدالعزيز في أواخر عام ١٣٦٣هـ بأن يخصص مساعدات شهرية قليلة لطلبة العلم ببريدة فوافق الملك عبدالعزيز فصار الشيخ عبدالله يقسمها بينهم.

كما أمر بترتيب جلسات للطلبة يتذاكرون فيما بينهم في مكتبة جامع بريدة.

ولم تنقطع علاقتي بشيخنا الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد (رحمة الله عليه وجزاه الله عنا خيراً) بل استمرت حتى وفاته ولكن ما استفدته من علم وأدب وسلوك لم ينقطع بانقطاع حياته (رحمه الله).

رسائل من الشيخ عبدالله بن حميد وإليه:

شيخنا عبدالله بن محمد بن حميد قاضٍ كبير القدر، وهو غزير العلم، وهو أيضاً له رأي، بل آراء في بعض الأمور المهمة التي تتعلق بمصلحة البلاد، أو إجراء بعض الإجراءات فيها.

ولذلك لابد من أن تصدر عنه رسائل أو ترد إليه رسائل ورسائل العلماء- على مر العصور- مثلهم في ذلك مثل الساسة والأدباء تعبر عن أرائهم وأفكارهم وتتعلق بالمصالح العامة.

وشيخنا لم يشذ عن هذه القاعدة، فقد كان أخبرني أنه تلقى رسائل عديدة من الملك عبدالعزيز ومن غيره من كبار رجالات الدولة.

وذلك في وقت مبكر من علاقتي به وهو عام ١٣٦٤هـ، و قد اطلعت على بعضها آنذاك.

غير أنني في ذلك الحين لم أكن أحفل بهذه الرسائل من ناحية كونها ينبغي أن تجمع أو تحفظ، وشيخنا قال لي: إنه يحتفظ بها، ولكن لم يكن يظن أنها تستحق أن تنقل في كتب أو رسائل، وحتى في ترجمته لنفسه، لأنه لم يكن يتصور ولم يكن أحد تصور أنه سوف يترجم للشيخ عبدالله بن حميد بهذه الطريقة، لأنه كان حيّاً عندنا والمعلومات عنه يمكن أخذها منه عن طريق اللقاء والمشاهدة، كما يمكن سؤال بعض تلامذته الذين يقرؤون عليه ليلاً ونهاراً، أو في الوقتين كليهما.

أما الآن فقد أدركنا أن تلك الرسائل لها أهمية كبيرة لأنها مع مضي الزمن صارت جزء من التاريخ ليست جزءاً من تاريخ حياة الشيخ عبدالله نفسه فحسب، وإنما هي جزء من تاريخ بلادنا على وجه العموم.

ولذلك سوف أحاول أن أنقل هنا بعض رسائله ومكاتباته وينبغي تنبيه القارئ الكريم إلى أنني لا أقصد برسائله هنا الكتب العلمية المختصرة التي صارت تسمى رسائل بالإصطلاح فتلك لها مجال آخر في باب (مؤلفاته).

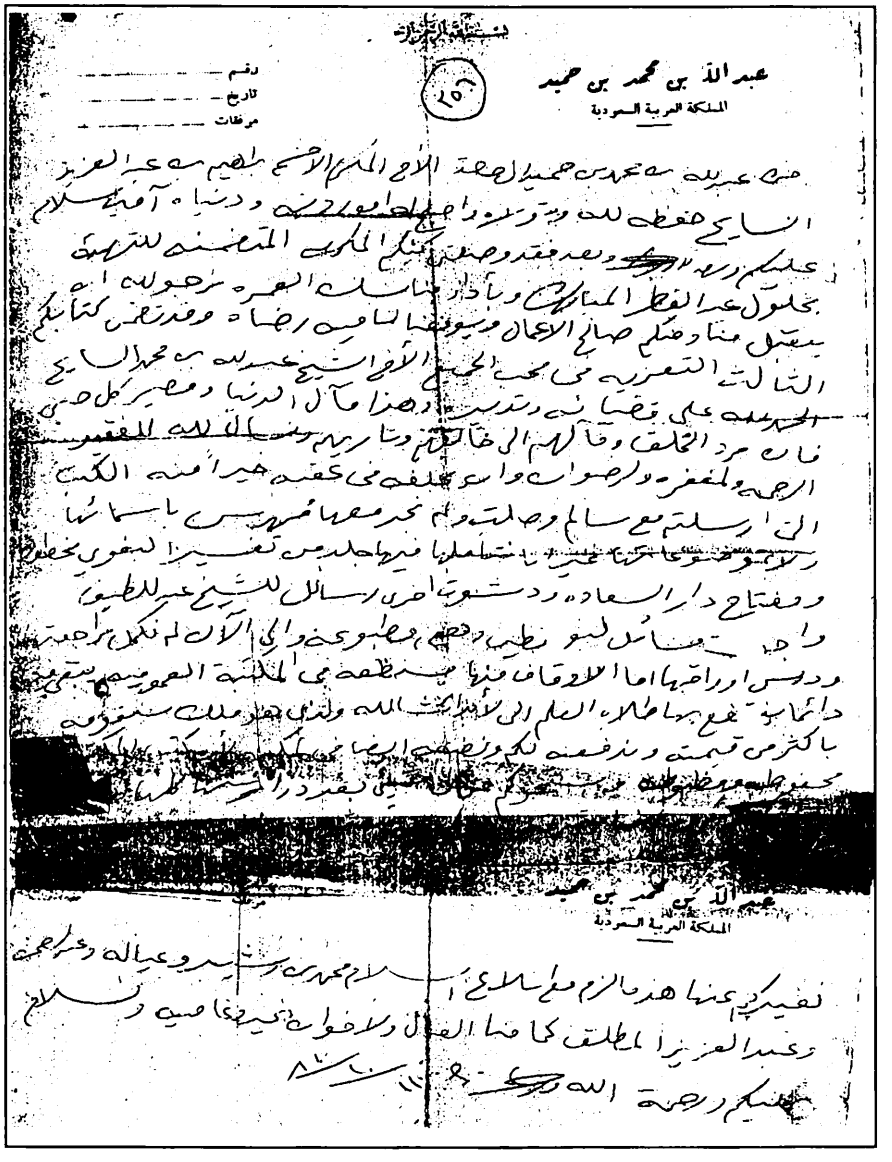

عبد الله بن محمد بن حميد
المملكة العربية السعودية

رقم
تاريخ
مرفقات

(٢٥)

من عبد الله بن محمد بن حميد إلى الأخ المكرم الأخ سليمان بن عبد العزيز
الساعي حفظه الله ورعاه وأهله وذريته ودنياه. آمين سلام
عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني كتابك المتضمن للتهنئة
بحلول عيد الفطر المبارك وبأدار بنا وبكم أعوامًا عديدة ويوم
يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال ويسوغنا فيه رضاه. وقد تلقى كتابك
الثاني التعزية في محب الجميع الأخ الشيخ عبد الله بن محمد الساعي
الحميد على بقياه ورثيته وهذا مآل الدنيا ومصير كل حي
فإن مرد الخلق وقالهم إلى خالقهم وباريهم ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾
أرجو له المغفرة والرضوان واسع الجنان في عقبى خير أمة الكتاب
الذي أرسلته مع سالم وصلته ولم نجد معها مهرس باسمائها
ولو وصفوها لنا لتخيرنا ما نستعملها فيها جلد من تغيرا لبقوي يحفظ
ومفتاح دار السعادة، ودستور أمر رسائل للشيخ عبد اللطيف
واجب مسائل لنور بطيء وهو مطبوع والي الآن لم نكمل مراجعته
ودرس وراجعها أما الأوقاف فإنها محفوظة في المكتبة العمومية بمدينة
دائما بفضل بها أصلاء السلام إلى أبناء الله ولذين هم ملك سعودية
بأكثر من قيمتها وندفعها لكم ونرضيكم [illegible]

عبد الله بن محمد بن حميد
المملكة العربية السعودية

نقبل لي عنها هذا لازم مني سلامي إلى سلام محمد بن رشيد وعياله وعبد الرحمن
وعبد العزيز المطلق كما قبل العيال ولا فوت نبيه فاضيه والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

وهذا نقلها بحروف الطباعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم الأحشم إبراهيم بن عبدالعزيز السايح حفظه الله وتولاه وأصلح له أمور دينه ودنياه آمين.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد وصلني كتابكم المكرم المتضمن للتهنئة بحلول عيد الفطر المبارك وبأداء مناسك العمرة نرجو الله أن يتقبل منا ومنكم صالح ا لأعمال ويوفقنا لما فيه رضاه وقد تضمن كتابكم الثالث التعزية في محب الجميع الأخ الشيخ عبدالله بن محمد السايح، الحمد لله على قضائه وتدبيره وهذا مآل الدنيا ومصير كل حي فإن مرد الخلق ومآلهم إلى خالقهم وباريهم ونسأل الله للفقيد الرحمة والمغفرة والرضوان وأن يخلفه في عقبه خيراً منه.

الكتب التي أرسلتم مع سالم وصلت ولم نجد معها فهرساً بأسمائها ولا بموضوعاتها غير أنا يتأملها فيها جلد من تفسير البغوي مخطوط ومفتاح دار السعادة ودشوت أخرى رسائل للشيخ عبداللطيف وأجوبة مسائل لبو بطي وهي مطبوعة وإلى الآن لم نكمل مراجعتها ودرس أوراقها أما الأوقاف فيها فنضعه في المكتبة العمومية يبقى فيها دائماً ينتفع بها طلاب العلم إلى الأبد إن شاء الله والذي هو ملك سنقومه بأكثر من قيمته وندفعه لكم ونضعه أيضاً في المكتبة لأن كتب المكتبة محفوظة ومضبوطة وسنخبركم عن كل شيء بعد دراستها كلها،

أما الكتب التي عندكم تذكرون أنها متمزقة فالأحسن أن تبعثوا بها إلينا حتى ننظر فيها ونفيدكم عنها.

هذا ما لزم مع ابلاغ السلام محمد بن رشيد وعياله وعبدالرحمن وعبدالعزيز المطلق كما منا العيال والإخوان بخير وعافية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ١١/١٠/١٣٨١هـ.

وهذه رسالة أخرى مرسلة من الشيخ عبدالله إلى الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز السايح:

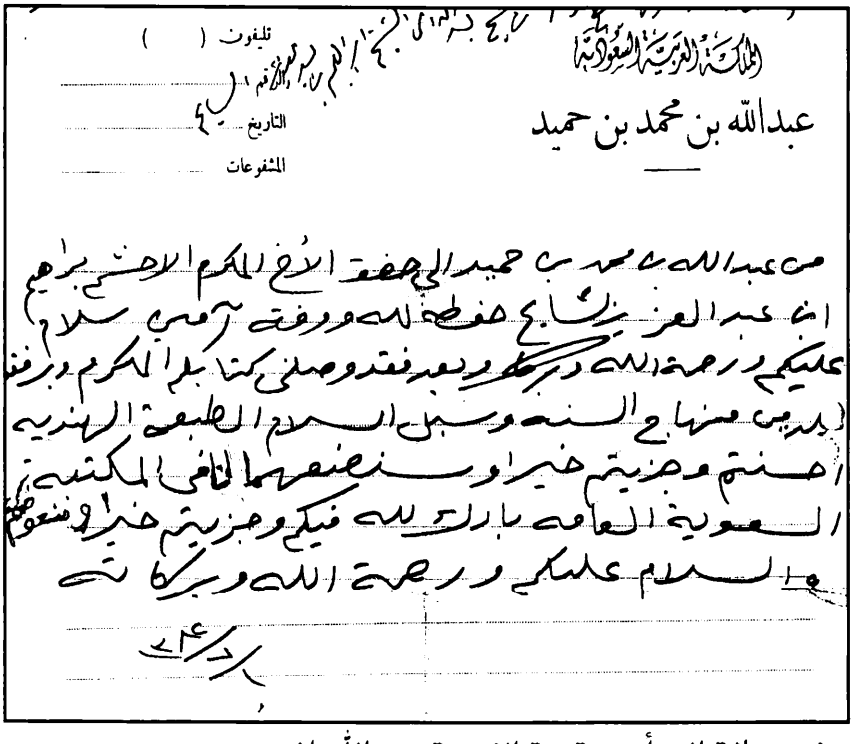
المملكة العربية السعودية

عبدالله بن محمد بن حميد

تلفون ( )

الرقم

التاريخ

المشفوعات

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى حضرة الأخ المكرم الوجيه إبراهيم بن عبدالعزيز السايح حفظه الله ووفقه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم ورفقه المشتمل على منهاج السنة وسبل السلام الطبعة الهندية فشكر الله مساعيكم وجزيتم خيراً وسنضعهما في المكتبة السعودية العامة بارك الله فيكم وجزيتم خيراً وضعوها السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وهذه رسالة إلى أمير قرية النبقية عبدالله المزيد:

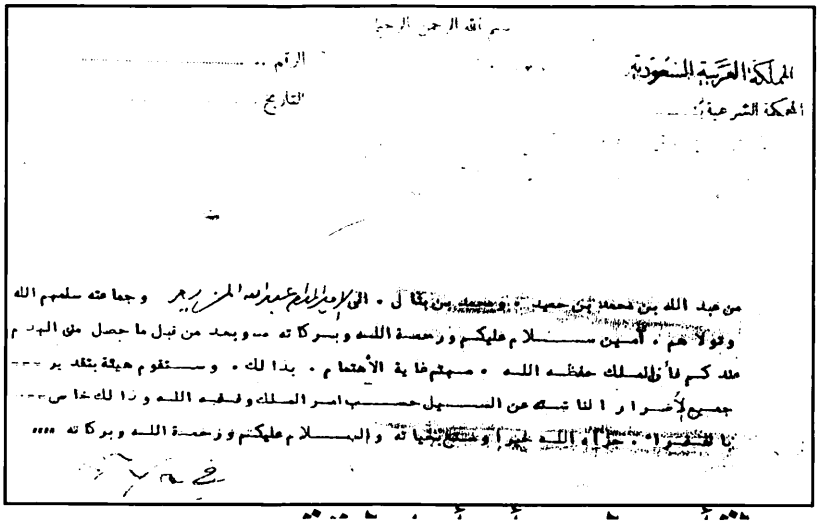

ورسالة أخرى إليه مع أحد أعيان النبقية:

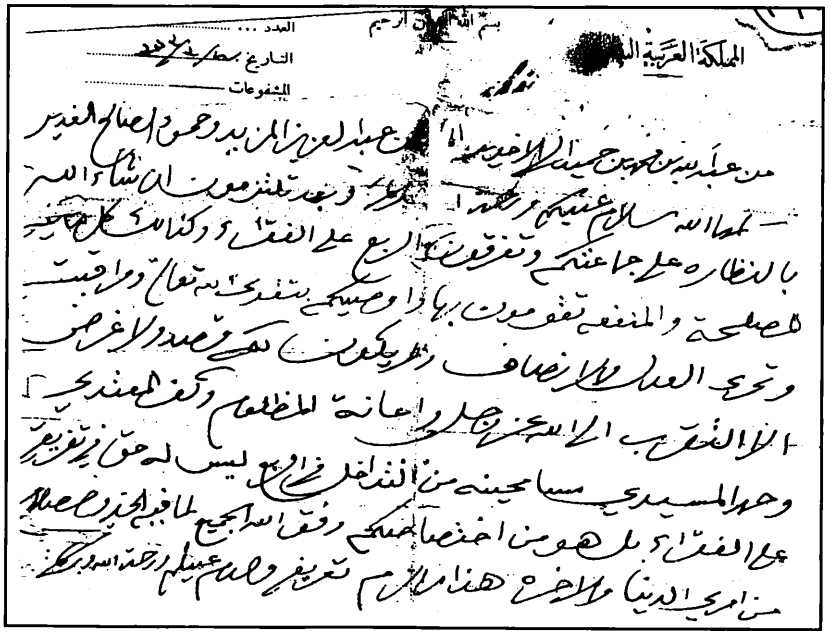

وهاتان رسالتان من الشيخ عبدالله بن حميد إلى أمير بلدة الربيعية محمد بن عبدالله الزَّمَّام:

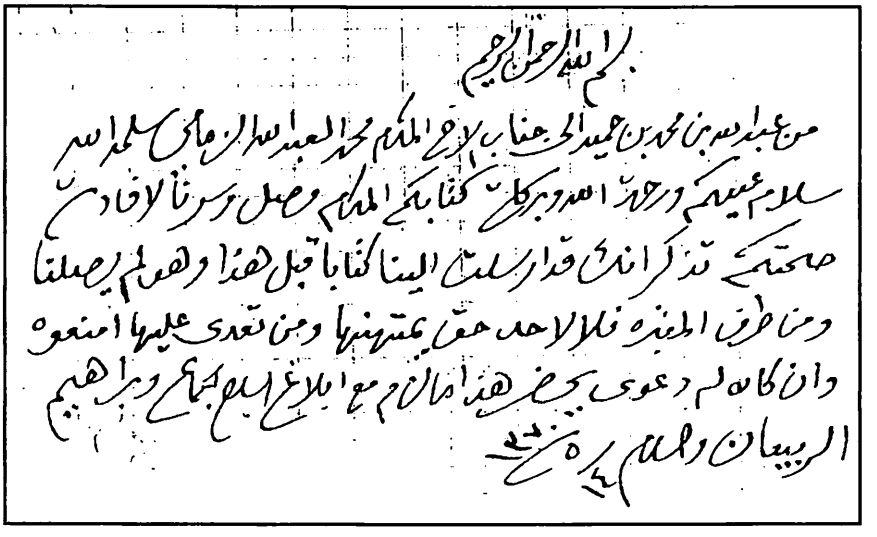

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن محمد بن حميد الى جناب الاخ المكرم محمد العبدالله الزمام سلمه الله
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتابكم المكرم وصل وسرنا الافادة
صحتكم تذكر اندى قد ارسلت الينا كتابا قبل هذا ولعله لم يصلنا
ومناطرق المخيزه فلا لاحد حق يمتهنها ومن تعدى عليها امنعوه
وان كان له دعوى يحضر هذا ما لزم مع ابلاغ السلام لجماعتك وبراهيم
الربيعان والسلام

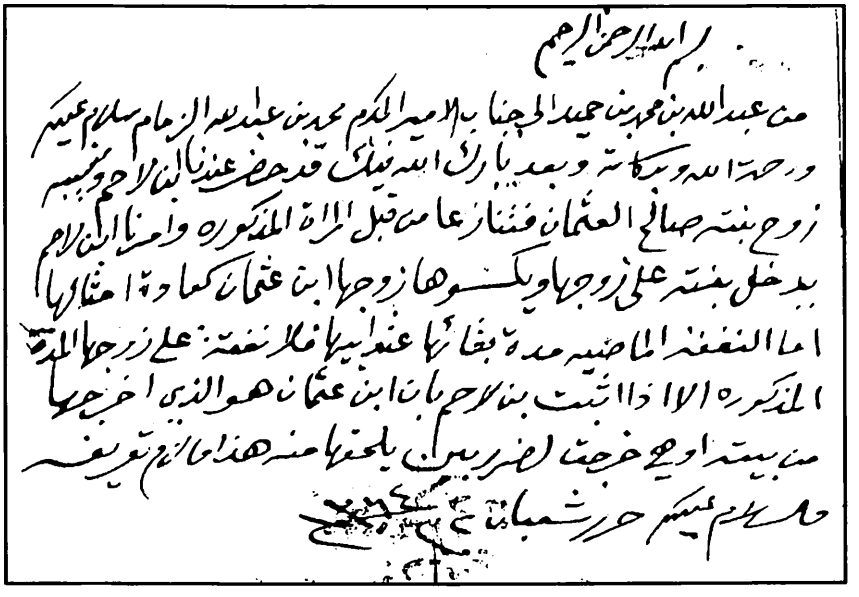

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن محمد بن حميد الى جناب الاخ المكرم محمد بن عبدالله الزمام سلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد يا ذا الله فيك قد حضر عندنا ابن لاحم وبنته
زوج بنته صالح العثمان فتنازعا من قبل الزاة المذكوره واخبرنا ان لاحم
يدخل بنته على زوجها ويكسوها زوجها ابن عثمان كعادة امثالها
اما النفقة الماضيه مدة بقائها عند ابيها فلا نفقة على زوجها المدة
المذكوره الا اذا ثبت بان لاحم بان ابن عثمان هو الذي اخرجها
من بيته او هي خرجت لضرر بين يلحقها منه هذا ما لزم تعريفه
والسلام من حرر شعبان

وأحياناً يكتب الشيخ عبد الله بن حميد رسائل عامة للمسلمين ليست موجهة لشخص أو أشخاص بأعينهم، ويرسلها إلى بعض الإخوان وأئمة المساجد في القصيم- يتقبلها الناس، تقرأ في المساجد ويحصل بعض الناس منها على نسخ.

وهذا أنموذج منها مؤرخ في ٢٥ رجب عام ١٣٧١هـ:

ونلاحظ أن الشيخ عبدالله بن حميد يفتتح رسائله بقوله:

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى:

وهذه هي طريقة العلماء بل طريقة السلف الصالح وهي سنة نبوية وكان الرسول ﷺ يفتتح رسائله بقوله:

من محمد بن عبدالله وأحياناً يقول ﷺ: من محمد رسول الله الخ:

وهذه هي الطريقة نفسها التي يسير عليها علماء أهل نجد والمشايخ العلماء منهم.

وفي عصور المدنية الإسلامية في العصور الوسيطة كان الناس يحاولون أن يجمعوا بين الطريقتين وهما طريقة السنة النبوية التي تبدأ باسم المرسل، وطريقة مجاملة المسؤول في الدولة أو رئيس الجماعة بقولهم:

إلى.... فلان، من فلان بن فلان، ولكن هذه الطريقة لم تكن معروفة عند علماء بلادنا.

ثم يسلم على المرسل .. الخ.

وينبغي أن نذكر هنا أن الشيخ عبدالله بن حميد وإن كانت وظيفته وظيفة قاضٍ والعادة أن القاضي ينتظر حتى يتقدم أحد الناس بدعوى على آخر فينظر فيها.

ولكنه لم يكن كذلك، بل كان يعتبر نفسه مفتياً أيضاً ويعتبره الناس كذلك.

وكان يعتبر نفسه عاملاً على تحقيق مصالح المسلمين أيّاً كان نوعها.

وأذكر من هذا شاهدين يتعلقان بي.

الأول: أنه كان لعمة والدي واسمها منيرة بنت عبدالكريم العبود وهكذا كان اسم أسرتنا آنذاك بدون ياء نسبة- دكان قد أوقفته ذكرته في وصيتها ويسمى الدكان (المخزن) آنذاك وقد أدركنا تسمية الدكان بالمخزن.

تاريخ توقيف هذا الدكان عام ١٢٨٢هـ وكان والدي رحمه الله يتولى تنفيذ ما أوصت به عمته حسبما جاء في وصيتها من دون أن تكون لديه نظارة على ذلك الدكان وقد تولى ذلك بعد وفاة عمة إبراهيم العبودي، ولم يكن يعرف أنه لابد للناظر من ولاية على الوقف يعينه عليها القاضي أو ولي الأمر.

وعمه أيضاً كان تولى النظارة عليه من دون توكيل من القاضي ظناً منه أن الأمر ظاهر لا يحتاج إلى تدخل القاضي.

ولما طلبت العلم وعرفت ذلك عرضت الأمر على شيخنا وقلت له: إن والدي قد كبر سنه، وكان ينفذ شروط عمته الواقفة.

فقال الشيخ ما دام أنه لا يوجد ناظر نصت الواقفة على توليه النظارة فإنني أرى أن تكون أنت الناظر على هذا الوقف.

كان ذلك في عام ١٣٦٥هـ وقد تطورت الأمور بهذا الدكان، إذ كانت أجرته لا تزيد على مائة ريال في عام ١٣٦٥هـ واستمرت تزيد حتى بلغت ١٨ ألف ريال في السنة، وهو دكان من الطين واقع في سوق البيع والشراء القديم في بريدة

الذي ينطلق من شمال الجامع الكبير وعرف آخر ما عرف بسوق الخرايز - أي الخرازين، ثم دخل هذا الدكان في توسعة المسجد الجامع التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله وجزاه خيراً فنزعت ملكيته وعوضنا عنه بـ٤٩٨ ألف ريال وكان رأس ماله الذي اشترى به لأول مرة ١٢ ريالاً فرانسه.

وقد اشتريت بهذه الدراهم وما كنت وفرته من أجرته، زائداً على ما ذكر عمارة واقعة على شارع الصناعة العام بخمسمائة وخمسة وسبعين ألف ريال فيها ثلاث شقق وثلاثة دكاكين صغيرة ومبنية بالأسمنت المسلح وهو يدر الآن دخلاً سنوياً يزيد على خمسين ألف ريال.

الثاني: أن والدي لما توفي رحمه الله في عام ١٣٧٠هـ خَلَّف بيتاً يملكه وقليلاً من النقود وقد وزعنا النقود بعد وفاته على ورثته الذي هم أنا وأخواي سليمان وعبدالكريم وأخت لنا شقيقة هي حصة وزوجتين إحداهما والدتي نورة بنت موسى بن عبدالله العضيب والثانية ابنة عمِّه طرفة بنت إبراهيم العبودي وابنتين غير شقيقتين لنا متزوجتان.

وبعد أزيد من السنة طلبت إحدى أختي غير الشقيقتين نصيبها أي إرثها من البيت، والبيت لا يمكن قسمته بين الورثة فعرض الأمر على شيخنا فقال: البيت لا يمكن قسمته بينها وبين باقي الورثة ولذلك سوف نؤلف لجنة تنظر في قيمته فتأخذه أنت بقيمته وتعطي أختك غير الشقيقة نصيبها.

وكذلك باقي الورثة وكنا جميعاً نسكن في البيت ما عدا اختي الثانية غير الشقيقة.

وقد كتب إلى لجنة فيها عضو يعرفه ويتحقق من عدالته من جيراننا هو صالح بن سليمان الغليقة، و فيها الستاد علي بن محمد الحامد وهو استاد طين يعرف حال البيوت الطينية وأقيامها وخالي عبدالله بن موسى العضيب وهو نائب السوق في بريدة فخرجت اللجنةوفحصت البيت وقدرت ثمنه بستة آلاف ريال، وكنبت بذلك كتابة للشيخ عبدالله بن حميد بخط أحد أعضائها هو خالي عبدالله بن موسى العضيب.

وبذلك حصل كل من كان يريد أن يحصل على نصيبه إرثاً من هذا البيت وصار البيت ملكاً لي ولله الحمد.

وهو بيت عزيز على نفسي لأن الذي بناه هو جدي عبدالرحمن بن عبدالكريم العبودي وسكن فيه حتى مات في عام ١٣٢٣هـ فاشتراه والدي من تركته فسكن فيه حتى مات في عام ١٣٧٠هـ.

أما أنا فإنني بعد ذلك هدمته وبنيته شقفاً بالأسمنت المسلح وأوقفته على المحتاج للسكنى من ذرية والدي ناصر بن عبدالرحمن العبودي.

وهذه صورة ما كتبه الشيخ إلى اللجنة وإفادة اللجنة له.

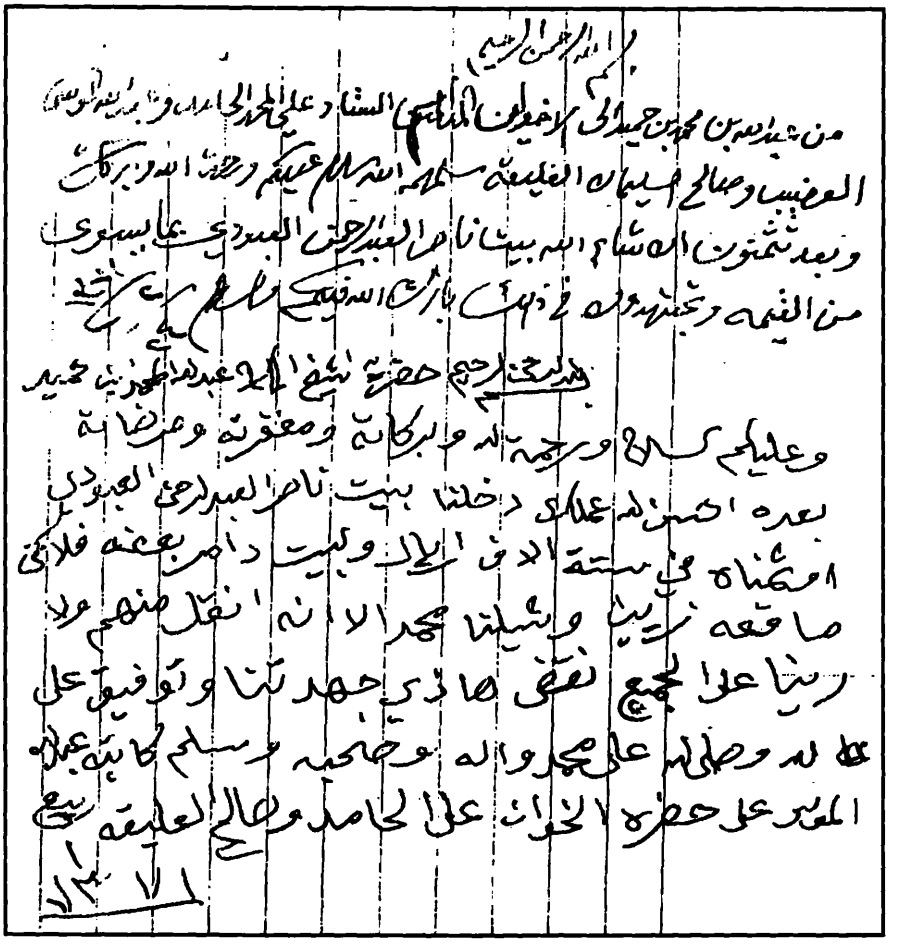

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله بن محمد بن حميد إلى الأخ في الله المناصح السناد علي المحمد الحامد وفقه الله لما يحب ويرضى وصالح أعماله العليمة سلمه الله وعافاه وعليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد تمثلون الله شاء الله بيت ناصر العبدالرحمن العبودي بما يسرك من الفيمة وتجدونه وفه في ذهب بارك الله فيك وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم حضرة الشيخ الأخ عبدالله بن محمد بن حميد

وعليكم سلام ورحمة الله وبركاته وصفوته وعافيته

بعده احسن الله عملك دخلنا بيت ناصر العبدالرحمن العبودي امسكناه في سنة الدف الحال وليت دام بعضه فلاكي صاقعه زين وشيلنا محمد لا انه انقل ضنهم ولا رينا على الجميع نقض ما ذي جهدنا وتوفيق على الله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم كاتبه عبدالله العبود على حضرة الأخوان على الحامد وصالح العليقه سلم

وهذه رسائل مهمة فيها ذكر الشيخ عبدالله بن حميد:

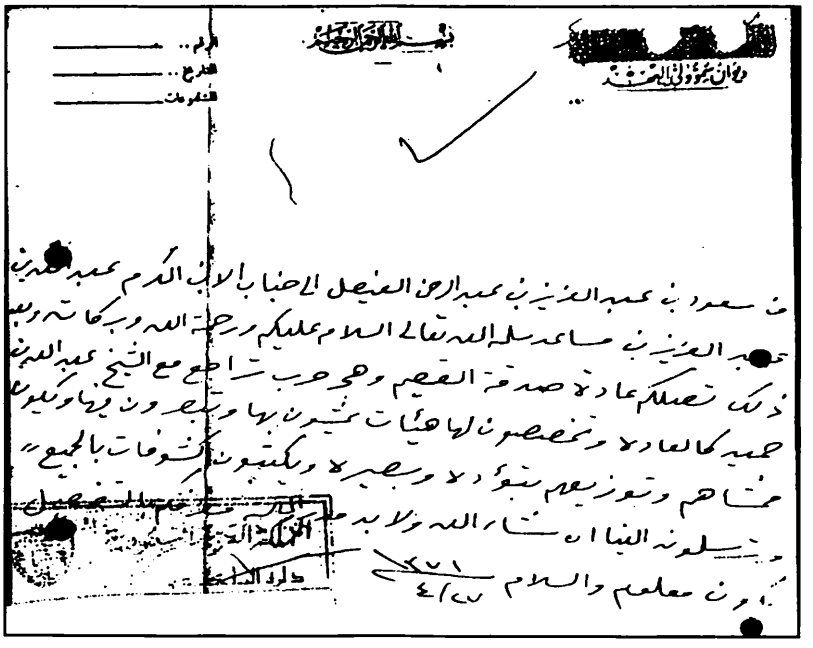

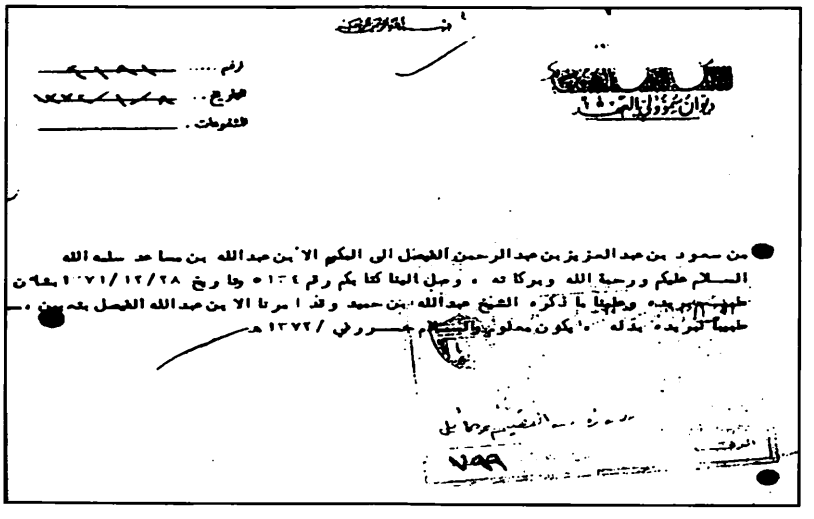

والبرقية التالية موجهة من أهل النبهانية إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سعود بن عبدالعزيز (آنذاك) أن أهل النبهانية في غرب القصيم يذكرون فيها أن الذرة التي زرعوها وهي مهمة لهم لأنها المحصول الرئيسي لزراع الحبوب في القصيم في فصل القيظ قد أصابها برد فأعدمها كلها، أي أتلفها كلها، ويطلبون المساعدة بمعنى التعويض عن ذلك.

وكذلك برقية أخرى بهذا المعنى من أهل (طريف) في ناحية الأسياح الواقعة في شرق القصيم يذكرون فيها أن (الذرة) خُرِصت قبل أن تستوي أي خرصها الخراصون الذين أرسلتهم الحكومة، والخرص تقدير المحصول قبل حصاده من أجل أخذ الزكاة من الفلاحين للحكومة لكي تصرفها مصارفها.

ويقولون: البرد ضرها، وذلك أن الذرة هي من زراعات القيظ فإذا جاء عليها بَرْد ضرها.

ويطلبون النظر في حالهم.

وقد كتب الأمير سعود برقية حول ذلك موجهة إلى وكيل أمير بريدة، وإلى ا لتويجري وهو حمد بن عبدالمحسن التويجري مدير مالية بريدة التي تقبض زكاة الحبوب من المزارعين.

يأمرهما في البرقية بعرض الموضوع على الشيخ ابن حميد، وإفادته بما يقوله الشيخ نحوه.

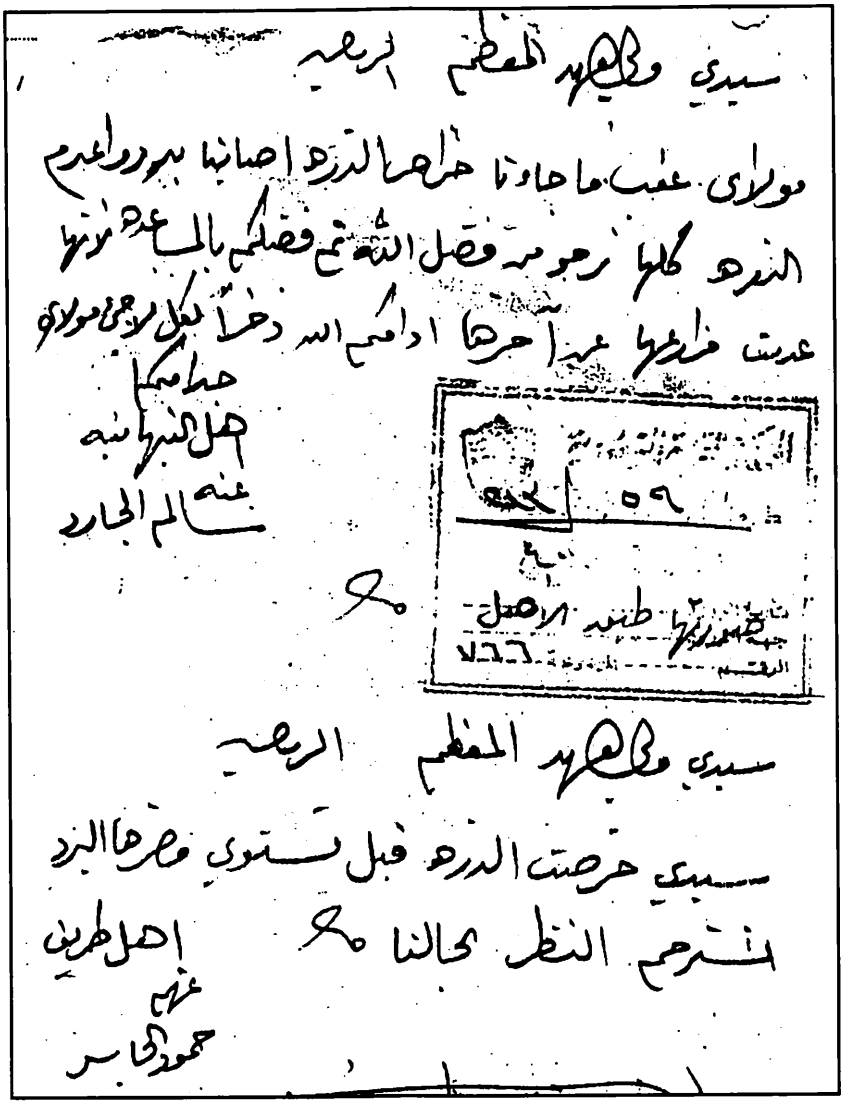

سيدي ولي العهد المعظم الرياض

مورداي عقب ما حاونا حراصا الدره اصابنا بعرور واعدم
الدره كلها زعومه وفضل الله ثم فضلكم بالساعه نوزها
عدت مزارعها غير احرصا ادامكم الله ذخراً لكل
حداكم
اهل البرهانيه
عنه
سالم الجاسر

٥٩
طبق الاصل
٧٦٦

سيدي ولي العهد المعظم الرياض

سيدي حرصت الدره قبل تستوي وضرها البرد
لترحم النظر حالنا
اهل طرين
عنه
حمود الجاسر

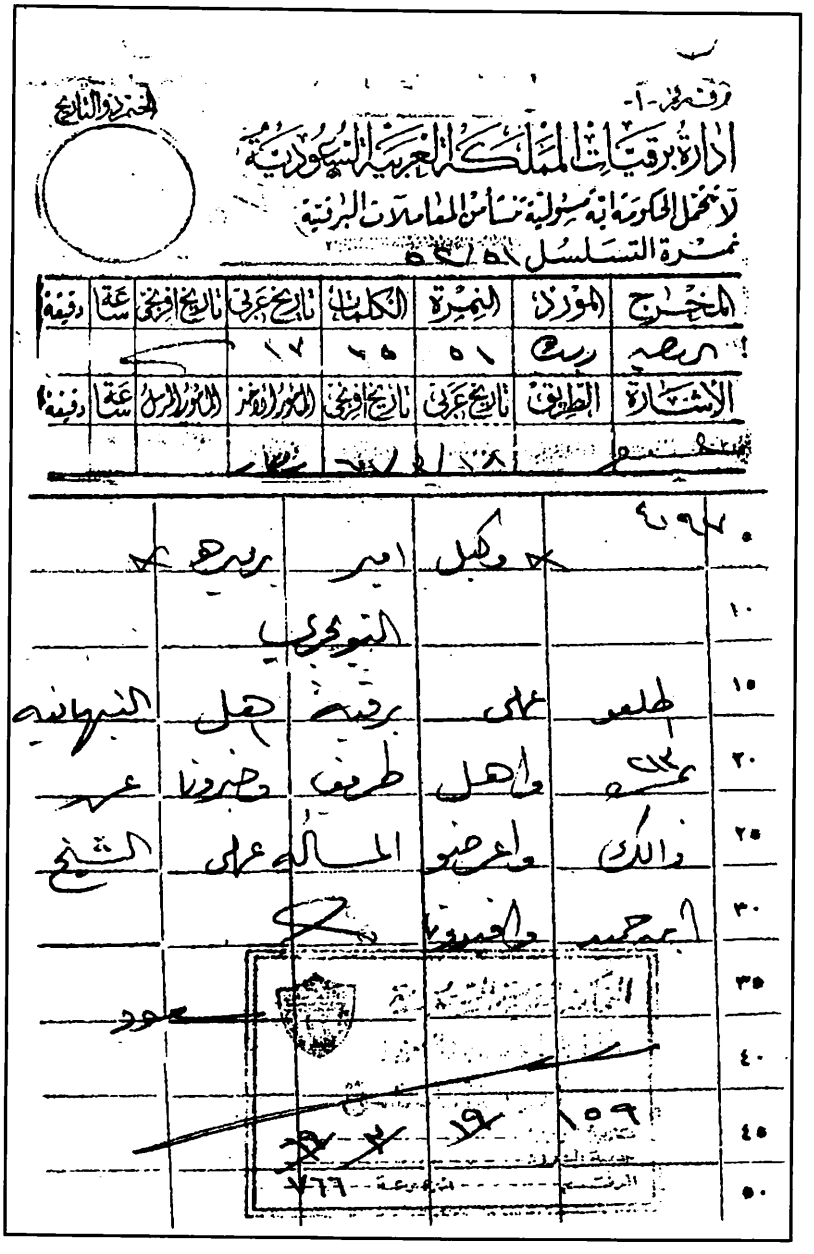

رقم (١)

إدارة برقيات المملكة العربية السعودية

لا تتحمل الحكومة أية مسئولية نتائج المعاملات البرقية

نمرة التسلسل ٥٨ ٤٥٤

المخرج	الوزن	النمرة	الكلمات	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	ساعة	دقيقة
الرصيد	ريال	٥١	٦٥	١٧			
الإشارة	الطريق	تاريخ عربي	تاريخ افرنجي	الوزن الوصل	الوزن المرسل	ساعة	دقيقة

٩٦٧ وكيل امير ريده

التوجري

لهلس على رقيه اهل النبهانيه

بمكه واهل طريف وصروفنا عمر

ذالك واعرضو المساله عالى الشيخ

اعجمي والصورة

١٥٩ ١٩

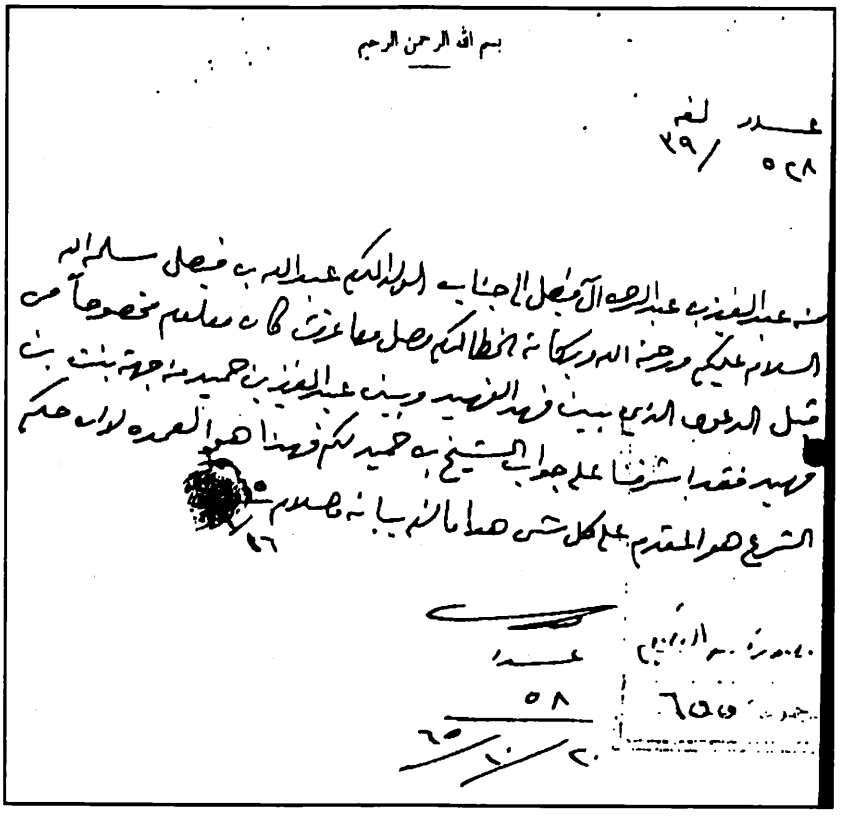

بسم الله الرحمن الرحيم

عدد ٢٩/ ٥٢٨

من عبدالعزيز بن عبدالله آل فيصل الى جناب الوالد الكريم عبدالله بن فيصل سلام الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اخطاكم وصل ومعانوت كان معلوم مخصوصا من
قبل الدوق الذي بين فهد النصيد وبين عبدالعزيز بن حميد ثم جوته بين
وبين فقد اشرنا على جواب الشيخ بن حميد لكم فهذا هو العمده لدى حكم
الشرع هو المقدم على كل شي صدا مالله يا نه سلام

عدد
٥٨

نماذج من فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد:

أولاً: تقدير نسبة الخطأ في حوادث السيارات:

سأله بعض رؤساء المحاكم عما إذا وقع اصطدام أو انقلبت سيارة أو دهست إنساناً أو أتلفت شيئاً فأكدت آثار الحادث وشواهد أحواله أن كلاً من قائدي السيارتين أسهم في حدوثه بمعنى أنه خرج بعض الشيء عن خط سيره أو أنه تصرف تصرفاً سيئاً أو أنه كان مسرعاً أكثر من المعدل أو ناعساً أو مهملاً لما يلزم تفقده وإتقانه من آلات السيارة وما إلى ذلك من عوامل التفريط أو الإفراط وتقرر على ضوء ذلك نسبة مسؤولية كل واحد منهما بمعدل ٥٠٪ أو أقل أو أكثر على حسب ما يتناسب مع مقدار إسهامه أو تسببه في وقوع الحادث الخ.

فأجاب:

تنحصر هذه المسألة في مقامين المقام الأول: تنزيل العلامات البينة والقرائن الظاهرة وشواهد الأحوال الواضحة منزلة البينة حيث لا بينة.

المقام الثاني: ما يلزم كل من قائدي السيارتين ما أتلفاه من مال أو أنفس حيث أسهما في وقوع الحادث نتيجة لتفريطهما.

أما المقام الأول: فإن الشريعة الإسلامية نزلت العلامات الواضحة والقرائن الظاهرة منزلة البينة واعتبرتها مثبتة للحق يحكم القاضي بمقتضاها كما في قصة يوسف عليه السلام في قوله: (إن كان قميصه قُدَّ من قبل فصدقت و هو

من الكاذبين وإن كان قميصه قُدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) فجعل الصدق في جانب يوسف حيث كان قدَّ القميص من دبر مما يدل أنه هرب عنها وهي في أثره طالبة له.

وكما في حديث اللقطة حيث جعل النبي- ﷺ- معرفة العفاص والوكاء دليلاً بيناً على صدق مدعي اللقطة وأنها تدفع إليه بمجرد وصفه لها تنزيلاً لهذا الوصف منزلة البينة.

وكما قال ابن القيم في دلالة القرائن الظاهرة وشواهد الأحوال كما لو ادعى رجل مكشوف الرأس على رجل آخر هارب وهذا الرجل المدعى خلفه يجري وبيد المدعى عليه الهارب عمامة وعلى رأسه عمامة فإنه يقضي لمكشوف الراس الذي يجري خلف المدعي عليه بأن العمامة التي في يده هي عمامة المدعي بناء على القرائن الظاهرة حيث رؤي هذا الرجل مكشوف الرأس ولم تكن له عادة بهذا ويجري خلف الرجل الآخر طالباً لعمامته منه، وبيد الآخر عمامة وعلى رأسه عمامة فلا يلتفت إلى اليد مع وجود هذه العلامات والقرائن وشواهد الأحوال فمثل ذلك في قضية السيارتين التي اتضح إسهام قائديهما في وقوع الحادث فتراعى القرائن والعلامات الظاهرة في ذلك.

قال ابن القيم والحاكم: إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده وفي القرائن الحالية والمقالية كفقيه في جزئيات وكليات الأحكام أضاع حقوقاً كثيرة كغيرها على أصحابها وحكم بما يعلم الناس

بطلانه ولا يشكون فيه اعتماداً منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله.

والمقام الثاني: في حكم ما تلف من مال وأنفس بسببيهما كل يضمن مقدار ما أتلفه على الآخر ويشتركان في الضمان إن عرف نسبة مقدار ما وقع من كل منهما فعليه ضمانه، وإذا لم يعرف فيكون التلف بينهما نصفبين كما يشهد لهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية في حكم قتال أهل البغي قال- رحمه الله- إن جهل قدر ما نهبه كل طائفة من الآخر تساوياً. أهـ.

أي أن كل طائفة من الطائفتين المتقاتلتين تضمن ما أتلفته على الأخرى فلو أتلفت قليلاً ضمنت ما أتلفته فقط والأخرى تضمن ما أتلفته على الطائفة الثانية ولو كان كثيراً.

وإذا جهل ما أتلفته كل منهما تساوياً في الضمان فكان بينهما نصفين وقياساً على واحدة تضمن ما أتلفته على الثانية إذا عرف نسبة ذلك منهم، وإذا جهل تساوتا في الضمان قياساً قول الشيخ تقي الدين في حكم الطائفتين المتقاتلتين.

وذكر أيضاً لو دخل رجل في الصلح بين تلك الطائفتين المتقاتلتين، فقتل فالضمان عليهما جميعاً ما لم تعلم الطائفة التي قتلته فيكون الضمان على مجموعهما إلا إذا علم القاتل بعينه فما يقع بين سائقي السيارات هو على هذا المنوال بحيث إذا جهل مقدار نسبة ما أتلفه أحدهما على الثاني فيكون

التلف بينهما نصفين وإن علم نسبة ما أتلفه كل واحد أو عرف السبب الذي نتيجته التلف والذي هو ناشئ عنه فيكون المتلف بينهم كل على قدر تسببه فإن الضمان ناشيء ومبني على التسبب في هذه المسألة كما أشار في معناه ابن رجب ويدل لهذا أيضاً ما ذكره في الديات، فإذا حفر بئراً قصيرة له فعمقها آخر.... فضمان التالف بينهما لحصول السبب بينهما وإن وضع ثالث فيها سكيناً ونحوها فوقع عليها شخص فمات فالدية أثلاثاً على عواقلهم أي عواقل الثلاثة نصاً لتسببهم في قتله.

وأيضاً حالما تقدم من أن الضمان ناشئ عن قوة السبب وضعفه وأن كلاً يضمن بقدر نسبة تسببه ما صرحوا به- رحمهم الله- حيث قالوا وإن تجاذب حران مكلفان نحو حبل فانقطع فسقطا فماتا فعلى عاقلة كل منهما دية الآخر.

وقيل بل يجب نصفها لأنه هلك بفعل نفسه وفعل صاحبه فيهدر فعل نفسه ويبقى فعل صاحبه.

قال في الإنصاف والنفس تميل إليه فإن كان أحدهما منكباً فنصف ديته على عاقلة المستلقي مغلظة لأن قتل المنكب شبه العمد ونصف دية المستلقي على عاقلة المنكب مخففة لأن قتله شبه الخطأ.

ففي المسألة الأولى لما تساويا في السبب تساويا في الضمان على كلا القولين وفي المسألة الأخيرة فيما إذا كان أحدهما منكباً فنصف ديته على عاقلة

المستلقي مغلظة لقوة السبب من المستلقي ونصف دية المستلقي على عاقلة المنكب مخففة لضعف السبب من قبل المنكب فكان في حقه شبه خطأ.

وبهذا مع ما تقدم يتضح حكم مسألة قائدي السيارتين وأن كلاً منهما يضمن من المال والنفس على قدر تسببه حيث إن الضمان ناشئ عن السبب ونتيجة له ولم يكن كالمباشرة على ما صرح به الأصحاب من الحنابلة وغيرهم والله أعلم ١٣٩٠/٧/١٠هـ.

ثانياً: حكم القول بالاشتراكية:

الاشتراكية وموقف الإسلام منها.

لا شك أن هذه المسألة التي هي ابتزاز أموال الأغنياء بدعوى إعطائها الفقراء تمرد على النظام السماوي الذي جاء في قوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ)، والإسلام بريء من هذه الاشتراكية البغيضة فقد احترم الأموال كما احترم الدماء والأعراض، فقد ثبت أن رسول الله- ﷺ- قال في خطبة حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام حرمة يومكم هذا في بلدكم هذا) فجعل الأموال قرينة للدم والعرض وقد نهى الله- سبحانه وتعالى- المؤمنين بعد أن أمرهم بالعدل وأداء الشهادة الحقة على النفس والوالدين والأقربين ونهى عن الشهادة للفقير لفقره على الغني لقوته وأمر بالعدل ونهى

عن اتباع الهوى وأخبر تعالى أنه أولى بالجميع، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)، فإذا كان الله نهى عن الشهادة للفقير لفقره على الغني لقوته ونهى عن اتباع الهوى وأمر بالعدل في ذلك فكيف بابتزاز أموال الاغنياء بحجة إعطائها الفقراء.

والإسلام حمى أموال المسلمين أعظم حماية فأمر بقطع يد السارق في ربع دينار قال تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)، فكيف يقال بعد هذا بالاشتراكية المهينة والشريعة الإسلامية أمرت بقطع يد السارق في ربع دينار أوما يقابله حماية وحفاظاً وصيانة لأموال الناس وثبت عنه- ﷺ- أنه قال: كل ا لمسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وقال: بم يأخذ أحدكم مال أخيه، وقال: لا يحل مال امرئ مسلم بغير طيب نفس منه.

وقال: من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين وحجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه فهذه النصوص ونظائرها تدل دلالة واضحة على احترام الأموال وتوعد من تعدى عليها بغير حق، نعم في أموال الأغنياء حق أوجبه الله للفقراء ألا وهو الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله فقد ذكرها الله في القرآن في نحو اثنين وثمانين موضعاً، فزكاة التجارة

وعروض التجارة وصدقة الفطر وزكاة المواشي والخارج من الأرض والكفارات ككفارة اليمين والنذر ونحوها مصرفها للفقراء فهذا هو حقهم في أموال الأغنياء غير أن بعض علماء الرسوم آلة السياسة وأعوان الرياسة يحاولون جعل الاشتراكية من الإسلام مستدلين بما لا دلالة لهم فيه ومتعلقين بما لا صلة له بالموضوع يريدون بذلك التزلف لدى رؤسائهم وإلا فأنا أعتقد أنهم يعلمون براءة الإسلام من هذه الاشتراكية.

فأول من قال بها على ما ذكره بعض المؤرخين رجل في فارس يقال له مزدك دعا إلى المساواة في المال والروج بحيث لا يختص أحد بمال ولا زوجة بل كلهم في ذلك على السواء أظهر هذا الرأي ودعا إليه فتبعه كثير من الرعاع ووافقه ملك فارس قباذ لضعف به فدخل مزدك يوماً على الملك وعنده زوجته وهي من أجمل النساء وأحسنهن، و قد تجملت بما يزيدها جمالاً من حلي وثياب فأخرة فوقعت في نفس مزدك فقال أيها الملك، إني أريد هذه المرأة لأن في ظهري نبياً يكون منها فما وسع الملك الضعيف إلا الموافقة كرهاً فأقامها مزدك من عند زوجها الملك إلى مكان آخر ولها ابن صغير أخذته الأنفة والغيرة على أمه فجعل يتلطف بمزدك ويطلب منه ترك أمه له فأبى حتى قبل الصغير قدمي مزدك فتركها له.

ثم لما توفي الملك قباذ تولى الملك ابنه كسرى الذي قبل قدمي مزدك فأول شيء عمله بعد توليه الحكم أن دعا بمزدك فقتله وأصحابه وأبطل الاشتراكية

في المال والنساء، وقال ما زال نتن تلك القبلة لقدمي مزدك في أنفي.

وهذا الملك هو الذي قال فيه النبي- ﷺ- ولدت في زمن الملك العادل، والله الموفق، والهادي إلى سواء السبيل.

ثالثاً: حكم نقل الدم[1]:

وسئل- غفر الله له- عن مريض قرر الأطباء أن لا شفاء له إلا بنقل دم له من بنك الدم أو من أحد أقاربه، فهل يجوز نقل الدم لإنقاذ حياة المريض أم يترك أمره لله؟

فأجاب:

إذا كان الحال على ما ذكر وهو أن الأطباء الثقاة المعروفين قرروا بأن المريض إذا لم ينقل إلى جسمه دم لإنقاذ حياته هلك فلا بأس بنقل الدم وإيصاله إلى جسم المريض متى علم أو غلب على الظن حياته وسلامته بذلك، فقد أجمع العلماء على إباحة أكل المضطر من الميتة كما دلّ عليه القرآن العزيز في قوله تعالى: (فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ) أي جوع (غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)، وقوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ)، فدلت الآية وغيرها من الآيات في هذا المعنى على إباحة أكل الميتة للمضطر إنقاذاً لحياته وسلامة لها من الهلاك إذا علم أو غلب على الظن دفع الهلاك بالأكل من الميتة

(١) نشرت الفتوى في صحيفة البلاد الصادرة في ١٣٩١/٧/٢٧هـ.

ولهذا قال جمع من الأصوليين: إنَّ الرخصة قد تكون واجبة كالأكل من الميتة عند خوف الهلاك لو لم يأكل منه وهو الصحيح من مذهب مالك وهو أحد الوجهين للشافعية قدمه في المغني وهو المذهب.

وسئل الإمام أحمد عن المضطر إذا لم يأكل من الميتة فذكر عن مسروق أنه قال: من اضطر فلم يأكل فمات دخل النار إلا أن يعفو الله وهو قول كثير من أهل العلم يجب الأكل في مثل هذه الحالة، لأن ترك الأكل من الميتة مع التمكن في مثل هذه الحالة إلقاء باليد إلى التهلكة وقتل النفس والله يقول: (وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، ويقول: (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ)، وهذا لا يناف حديث: (عباد الله: تداووا ولا تداوا بحرام)، لأن الحديث هو من باب تعاطي الأدوية التي قد تنجح وقد لا تنجح فممنوع التداوي بحرام بخلاف إذا علم أو غلب على الظن سلامة المريض كأكله من الميتة فيباح ذلك وأيضاً الضرورات تبيح المحظورات، فالحديث يخصص من عمومه حالة الاضطرار إذا قال الأطباء الثقاة: إنه يفيده ذلك كما يقبل قولهم في الفطر في رمضان للمريض وإن كان قادراً على الصيام إذا كان صومه يضر به بحيث إنه يزيد في العلة أو بتأخر البرء.

وقال ابن القاسم المالكي يشرب المضطر الدم ولا يشرب الخمر، ويأكل الميتة ولا يقرب ضوال الإبل وقاله ابن وهب. اهـ.

فبما تقدم تبين جواز نقل الدم إلى جسم المريض الذي يُخشى هلاكه إذا

علم أو غلب على الظن إنقاذ حياته من الهلاك بنقل الدم إلى جسمه بما يقوله الأطباء الثقاة المعروفون، كما يباح للمضطر أكل الميتة باتفاق أهل العلم والله أعلم.

إنتهى.

إلى هنا أقف لاعتقادي أن ما قد مرَّ من قبل يعطينا فكرة متواضعة عن فقه الشيخ- غفر الله له- وقد يسعفنا الوقت لتوضيح قدر أكبر من فكره وعلمه، والله المعين في كل حال.

وحدثني مدير مكتبه وكاتم أسراره الشيخ صالح بن عبدالعزيز الغصن، قال: في سفرته الأولى والثانية لتلقي العلاج في مدينة هيوستن في أمريكا كان رحمه الله يصطحب معه في أسفاره بعض الكتب، وإذا سمع شيئاً يستحق التنبيه أو التعقيب أو التصحيح علق عليه في الكتاب فلا يدع الفرصة حتى وهو على سرير المستشفى في آخر مراحل حياته.

فمن تلك الكتب التي معنا تفسير ابن جُزيّ المسمى (التسهيل) فلما قرأت عليه قول المؤلف في مقدمة كتابه (بحرمة النبي الأواه).

علق عليه سماحة الشيخ بقوله هذه من الألفاظ المبتدعة فإنه لا يسأل الله بحرمة أحد ولا بجاهه وإنما يسأل بما شرعه لعباده من الدعاء بأسمائه وصفاته.

قال ابن جزي في المقدمة الأولى عن مصحف علي ابن أبي طالب أنه لو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير .

قال شيخنا: في هذا نظر فإن الله حفظ القرآن وصانه عن الضياع (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

قال ابن جزي في المقدمة الثانية: والمؤمن في الشرع المصدق بهذه الأمور.

قال الشيخ: لا يكفي مجرد التصديق في الإيمان بل لابد مع ذلك من القول والعمل كما عليه أهل السنة والجماعة وكما دل عليه القرآن.

وعلى قول ابن بطوطة: أنه رأى شيخ الإسلام ابن تيمية يعظ الناس في المسجد الجامع وأن من جملة كلامه أن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا.

علق عليه سماحة الشيخ بقوله: ليس هذا بصحيح ولا يصح نسبته إلى ابن تيمية، فإن ابن تيمية من أشد الناس نفياً لمشابهة الله بخلقه، وكتبه موجودة مطبوعة في متناول كل أحد كشرح حديث النزول وقد قرر فيه وفي غيره أن الله ينزل إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر نزولاً حقيقياً، لكن الله أعلم بكنهه وكيفيته وإنما هو نزول يليق بجلاله كسائر الصفات.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
أول ما عرفت الشيخ عبدالله بن حميد	٢١
من قضاء سدير إلى التدريس في بريدة	٢٥
من بريدة إلى الرياض	٢٨
نسب الشيخ عبدالله بن حميد	٢٩
ولادته وطفولته	٣٤
معكال	٣٧
قول فيما يتعلق بوالد الشيخ عبدالله بن حميد	٤٢
طفولة الشيخ عبدالله بن حميد	٤٤
طلبه العلم	٤٧
قراءة الصغير على المشايخ الكبار	٤٩
شيخه الأكبر	٥٣
كلمة لابد منها	٥٣
العلماء الموسوعيون	٥٦
زوجات الشيخ ابن حميد	٦٥
الشيخ عبدالعزيز بن محمد الوهيبي	٦٧
أولاد الشيخ عبدالله بن حميد	٧٦
أبناء الشيخ	٧٧
البنات	٧٩
ترجمة الأستاذ عبدالرحمن بن الشيخ عبدالله بن حميد	٨٠
صالح بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد	٨٣
ولادته	٨٣
تحصيله العلمي في الكُتَّاب	٨٣
انتقاله مع والده إلى مكة المكرمة	٨٣
المرحلة الجامعية	٨٤
شهادة الماجستير	٨٤
شهادة الدكتوراه	٨٤
وظائفه	٨٥
الإمامة والخطابة في المسجد الحرام	٨٨

الموضوع	الصفحة
الرحلات لنشر الدعوة في الداخل والخارج	٨٨
الدروس بالمسجد الحرام	٨٨
مشاركته في المؤتمرات العلمية والعالمية	٨٩
أشرف على طباعة موسوعات كتب علمية	٨٩
تقدير عمله في رئاسة مجلس الشورى	٨٩
سنوات في مجلس الشورى	٨٩
رسائل إلى الشيخ الدكتور صالح بن حميد	٩٦
تحية عرفان واحتفاء	١٠٣
ابن حميد يجيد الإنكليزية ويفهم الفارسية	١٠٦
الدكتور أحمد بن الشيخ عبدالله بن حميد	١٠٨
أسرة الشيخ عبدالله بن حميد	١٠٩
نبذة في ترجمة عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن حميد	١١١
عودة الشيخ عبدالله بن حميد إلى بريدة	١١٥
بداية طلبي العلم على الشيخ عبدالله بن حميد	١١٩
هل أنت مسافر؟	١٣٥
دعوة كريمة، أو نزهة مطيرة	١٣٧
دعوة رسمية أو على مائدة الأمير	١٣٩
اعتذار عن التطويل في هذا الفصل	١٤٢
نزهة في صحبة الشيخ	١٤٣
العاصفة	١٤٥
المشي على الأقدام	١٤٦
مأساة رجل	١٤٧
فرجة ولكن	١٤٨
عود إلى بدء طلبي العلم على الشيخ ابن حميد	١٥٥
قوة صلتي بالشيخ عبدالله بن حميد	١٥٦
معهد بريدة	١٥٨
على قمة الكثيب	١٥٩
هلال شعبان	١٦٣
مناصب الشيخ عبدالله بن حميد	١٦٤
دروس الشيخ عبدالله بن حميد في المجمعة	١٧١

الموضوع	الصفحة
ومن مذكراتي الشخصية	١٧٦
يطلبون قاضياً	١٧٦
خُلق ليكون قاضياً	١٩٣
وظيفة لم تتم	١٩٨
مبادرات للشيخ عبدالله بن حميد	٢٠٨
مكتبة الجامع	٢١٧
صديق قديم	٢٢١
مكتبة جامع بريدة بمناسبة تجديد عمارتها	٢٢٢
الصيف ضيعت اللبن	٢٢٥
استنباط الارتواز	٢٢٨
التبرع لفقراء البدو	٢٣١
مبادرات أخرى	٢٣٣
عمارة المسجد الجامع بالمسلح	٢٤٠
إنشاء معهد الحرم المكي	٢٤٤
الدين	٢٤٧
جهاز الراديو	٢٥٠
التفرغ لطلب العلم على الشيخ ابن حميد	٢٥٢
مسألتان متعلقتان بي	٢٦٢
التخفيف من طلب العلم	٢٦٥
أول رحلة مع الشيخ عبدالله بن حميد	٢٧١
السفر إلى الرياض	٢٧٣
الشيخ الحازم	٢٧٧
المصيدة	٢٨٢
الوصول إلى قرب الرياض	٢٨٦
الخبر المقلق	٢٨٨
وبالنسبة لما جاء الشيخ من أجله	٢٩٠
على مائدة الملك عبدالعزيز	٢٩٠
وأشياء غير ذات بال	٢٩٢
نظرة عامة	٢٩٢
الصحية أو المستشفى	٢٩٥

الموضوع	الصفحة
فوائد جليلة	٣٠٠
العودة إلى بريدة	٣٠٢
استقالة الشيخ عبدالله بن حميد من القضاء	٣٠٣
رئاسة الإشراف الديني في المسجد الحرام	٣٠٥
محبة الشيخ للإطلاع	٣٠٨
نباهته	٣١٣
معرفته الناس بأصواتهم	٣١٩
وجدت في مذكرتي ما يلي	٣٢٢
فطنته لشبهات المبطلين من الخصوم	٣٢٣
والقضية الثانية	٣٢٧
حكمته في أحكامه	٣٢٨
ويزوج الشريفة بغير شريف	٣٣٩
مؤلفات الشيخ ابن حميد	٣٤١
محبته للكتب	٣٥٣
عدم المجاملة في قول الحق	٣٦٨
اهتمامه بالمصالح العامة للمسلمين	٣٦٩
التشجيع	٣٧٣
الشوارع في الرياض	٣٧٦
حول رحلتي إلى الرياض	٣٧٩
حديث في الإذاعة السعودية	٣٨١
أنموذج	٣٩٠
الخاتمة	٣٩٥
العبودي: كان يتحرى الحق في الخصومات ويناقش الشهود	٣٩٦
رسائل من الشيخ عبدالله بن حميد وإليه	٣٩٨
نماذج من فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد	٤١٦
الفهرس	٤٢٧